عدد خاص

كتاب اليوم



مذكرات شادية

إيريس نظمى

مذكرات شادية

بقلم: إيريس نظمي

تاريخ النشر01/01/2017

الناشر:

دار أخبار اليوم

النوع :ورقي غلاف عادي

حجم 14×20

تقديم:

هذه المذكرات هي المذكرات الكاملة للفنانة شادية والتي سجلتها مع إيريس نظمي في هيئة حوارات صحفية مطوّلة سنة 1976 وتم نشرها في مجلة آخر ساعة على عدة أجزاء بين عامي 1976 و1977.. تمت أيضا إعادة نشر المذكرات في صورة كتاب صدر عن مؤسسة أخبار اليوم وتم إعادة طبعه بعد وفاة الفنانة شادية.

مذكرات شادية

بقلم ايريس نظمي

الحلقة الأولي:

"بعض الفنانين يبهرونك بفنهم.. بتمثيلهم الجيد لأدوارهم.. ولكنك عندما تقترب منهم يضيع انبهارك الشديد لأنك تكتشف فيهم عيوبا مفزعة لم تكن تتوقعها. وآخرون يزداد إعجابك وانبهارك بهم عندما تقترب منهم.. لأنك تكشف فيهم صفات ومزايا إنسانية فريدة.. ومن هؤلاء القلائل جدا.. شادية. ففيها أكثر من صفة إنسانية رائعة.. أولها الصراحة.. فهي ليست من الذين يخفون مشاعرهم وآراءهم الحقيقية وراء الكلمات المعسولة الكاذبة. وثانيها البساطة.. فهي لا تجيد التمثيل في الحياة كما تجيده علي الشاشة. الحقيقة دائما علي لسانها.. والبساطة دائما في سلوكها والرقة دائما في كلماتها. وهذا هو سر احترام الناس لها. احترموها عندما كانت (الدلوعة) التي تردد الأغاني الخفيفة المرحة.. واحترموها أكثر عندما غنت لمصر الأم والوطن. ولم يكن غريبا أن يطلقوا علي صوتها اسم (صوت مصر).. لأنه أرق الأصوات التي غنت لمصر. وسيظل صوت شادية دائما هو أرق الأصوات التي غنت للحب.. وللحياة.. ولمصر. كانت شادية ملكة الحب فى وقت من الأوقات.. أحبت.. وعشقت.. وتعذبت.. وبكت بالدم والدموع ودخلت قلبها لأبحث عن الرجل الذى يحتل قلبها الأن.. ولم أجد رجلا.. ولكنى وجدت شجرة."!

هذه الشجرة الخضراء الكبيرة التي أراها كل يوم من الطابق الثامن.. وهذا النيل العظيم الذي تطل عليه شرفة مسكني.. يذكرني دائما بأجمل أيام العمر.. بطفولتي وأحلامي المبكرة القديمة.. وبراءة الطفولة.. وحنان الأبوين.. وأيام المرح والأمل.. الأيام التي لا أنساها أبدا.

هذه الذكريات القديمة تكاد تملأ كياني كله.. وتغمر روحي ووجداني خصوصا في لحظات الشروق.. وأشعة الشمس تداعب وجه النيل.. الذي أري فوقه ابتسامة تفاؤل مع بداية

يوم جديد.. فأنا أحب شروق الشمس.. أري فيه التفاؤل.. والأمل.. وصفحة جديدة بيضاء.. ورغبة أقوي في الارتباط بالحياة.

أما الغروب فلا أحب أن أراه.. أسرع لأسدل الستائر.. حتي لا أري الشمس وهي علي وشك الرحيل.

الغروب هو الوداع.. الرحيل .. النهاية.. نهاية يوم.. ومع النهايات دائما تأتي المشاعر الحزينة.. وتمتلئ النفس بالتأثر.. خصوصا لو كانت نفسا حساسة تحب الحياة وتحرص علي التمسك بها.

لكن مع الشروق.. تنشط الذكريات في عقلي.. فتشيع في روحي دفء وحرارة الطفولة.. وأيام الصبا التي تبقي دائما راحة للنفس المتعبة المرهقة بذكرياتها وأحلامها.. يكفي أن أتطلع إلي هذه الشجرة الخضراء الكبيرة حتي تتسابق الذكريات إلي عقلي.. لذلك حزنت كثيرا عندما علمت أنهم يفكرون في إزالتها.. شجرتي حبيبتي التي أحببتها حبا يفوق حبي للبشر.. لماذا يزيلونها.. أنها وحي ذكرياتي.. وصديقتي في ساعات الوحدة.. أخلو إليها وأكاد أخاطبها.. بل وأكاد أسمعها وهي تناجيني.. نتذكر معا أيام العمر.. أيام الصبا الجميلة التي قضيتها وسط زميلاتها الشجرات الخضراوات.. اتطلع إلي شجرتي صديقتي حبيبتي التي أخشي يوم فراقها: لا أريد أبدا أن أري المعاول وهي تحطمها بقسوة وبلا رحمة.. لتحطم معها نبع الذكريات السعيدة.. وكل أحلام الصبا التي تظل دائما أجمل وأروع الأحلام.. أتطلع إليها بسرعة تتسابق الذكريات إلي عقلي وتغمر روحي ووجداني.

اتذكر إنشاص.. والحدائق الواسعة الممتدة بلا نهاية.. واللون الأخضر الذي يغطي الأرض.. لدرجة أني كنت أتصور أن اللون الأخضر هو اللون الطبيعي للأرض.. كل أنواع الفواكه حولنا تحيط بنا من كل جانب.. كان منزلنا عبارة عن فيلا مكونة من غرفتين للنوم وصالتين ومطبخ وحمام.. وكان لها بابان مازلت أذكرهما بوضوح.. باب يؤدي إلي الحديقة وباب يوصل إلي المزرعة.. فتحت عيني علي البرتقال والعنب.. وعلي جمال الطبيعة والزهور.. والمروج الخضراء.. وما زالت أذكر هذا

المكان الذي كانت تختاره أمي للجلوس وقت المساء في الليالي الصيفية - بجوار الباب المؤدي إلي الحديقة.. فوق سجادة كانت تجلس عليها دائما.. وكان أخوتي طاهر ومحمد وعفاف وسعاد ينامون عادة في وقت مبكر.. أما أنا فكنت أبقي ساهرة مع أمي.. وأضع رأسي في حجرها.. كانت ساقها وأحضانها الدافئة الوسادة المريحة التي كان يحلو لي دائما أن أضع رأسي عليها.. وسرعان ما تمتد أصابع أمي لتداعب شعري ورأسي الصغير.. وكنت أشعر بمتعة شديدة ورغبة قوية في النوم.. وأنا عادة أحب أن أنام مع الأصوات.. وحتي الآن مازلت أحب أن أنام مع صوت الراديو. وبين اليقظة والنوم كنت أشعر بخطوات أبي وهو يهبط درجات السلم قادما من داخل البيت إلي الحديقة.. لقد انتهي من عمله كمهندس زراعي في التفاتيش الملكية في إنشاص.. وأسمع صوته وهو يتحدث مع أمي.. واتصنع الاستغراق في النوم حتي لا يتوقف عن الحديث.. ماكل هذه الرقة التي كان يتحدث بها أبي لأمي.. ورقة متناهية.. أنه أحلي كلام يقوله زوج لزوجته.. الكلمات التي تحب كل زوجة أن تسمعها من زوجها.. أنه يحكي لها بتفاصيل شديدة كيف قضي يومه.. وبحنان لاحدود له.. لن أقول لك إن كلام أبي كان مثل الشعر حتي لاتتهميني بالمبالغة.

لقد أخذت الرقة من أبي.. وتعلمت منه أيضا أن الشخصية القوية هي أساس الإنسان.

كان أبي صاحب صوت جميل.. وكان أيضا مستمعا جيدا يجيد الإنصات كما يجيد الكلام.. لقد علمني أيضا كيف أحسن الاستماع.. وكيف أحترم نفسي.

ومع أصوات الطيور كنت دائما أسمع صوت أبي وهو يغني مع أصدقائه وسط الحديقة (النيل نجاشي) و(مريت علي بيت الحبايب) ولم أكن أدرك معني كلمة (نجاشي) هذه.. ولم أكن أفهم لماذا يصر علي المرور علي (بيت الحبايب).

وكنت أقضي معظم وقتي في غرفة العرائس الخاصة بي التي جمعت فيها أسرة كاملة من العرائس الجاهزة التي كان أبي يشتريها لي دائما كلما ذهب إلي القاهرة.. ومن العرائس المصنوعة التي تعدها لي أمي إرضاء لهوايتي المحببة إلي

نفسي.. أما الصناديق فكنت أحولها إلي أسرة تنام فوقها هذه العرائس التي مازلت أذكرها حتي الآن لأني قضيت معها أيام الطفولة البريئة الرائعة.

الطفلة الشقية سرقت فواكه الملك

لكني كنت طفلة شقية جدا.. أو هكذا كانوا يسمونني (العفريتة).. قد يكون السبب أني كنت أحب الضحك والمرح والانطلاق أكثر من بقية إخوتي وأخواتي.. بل لقد أصبحت أكثر (شقاوة) من أخوتي طاهر ومحمد.

كانت تستهويني الرغبة في تسلق الأشجار العالية مثل القرود.. ويبدو أني كنت حريصة علي التمسك ببعض العادات والتقاليد التي يجب مراعاتها في وجود الأب احتراما وتقديرا له.. فمثلا لم أكن أتمسك بالموعد الثابت للغداء.. ولا أنتظر حتي يحضر أبي.. وآكل عندما أجوع.. بل وألعب وأتشاجر أمام أبي.. وهذا في رأي أخوتي عمل طائش يستحق العقاب.. لكن أبي لم يكن يغضب مني.. ويبدو أن تسامحه معي هو الذي دفعني إلي المزيد من (الشقاوة).

ولا أنسي أبدا (المقلب) الذي دبرته لشقيقي محمد.. وكان من نتائجه إصابته بجرح عميق في يده.. وندمت علي ذلك واعتذرت له.. فهو أخي الأكبر ولابد أن أحترمه.

وإذا كانت غرفة العرائس هي أفضل الأماكن التي أحبها فإن (المرجيحة) أيضا كانت المكان الذي أحرص علي التواجد فيه لألهو وألعب بكل نشاط ومرح الطفولة.

ويبدو أنهم كانوا يغفرون لي كل هذه الشقاوة.. لأني أصغر أفراد الأسرة.. والطفل الآخر الذي يسمونه (آخر العنقود) يعامل دائما معاملة خاصة في أسرنا المصرية.. وهكذا استفدت من هذه الميزة الكبيرة.. ميزة أني (آخر العنقود).. واستمتعت بأيام طفولتي.. وساعدني علي ذلك مناظر الطبيعة وسط حدائق إنشاص التي شاءت الظروف أن أقضي فيها طفولتي بحكم عمل والدي هناك.. لقد كانت فعلا طفولة سعيدة.. فيها المرح.. والحب.. حب الأسرة المتماسكة المترابطة.

وأذكر أننا كنا نقيم مسرحا أثناء اللعب.. فنحضر ملاءة السرير ونضعها كأنها ستار ثم نقوم من خلفها بالتمثيل والغناء.. ولم يكن أحد ينهرنا أو يؤنبنا لأننا نمثل ونغني.. لقد كان أبي صاحب صوت جميل كما قلت.. وكان دائما يغني وسط الحديقة عندما يأتي أقاربنا لزيارتنا.. ولم يكن هو وحده صاحب الصوت الجميل.. فعفاف أختي صوتها جميل.. وأيضا شقيقي محمد له صوت جميل.. وأذكر أن أبي اشتري لنا عودا.. وبدأ أخي محمد يعزف عليه ليزيد من جو المرح والحب الذي كنا نعيش فيه.

ورغم أن حديقة المنزل كانت مليئة بكل أنواع الفواكه إلا أنه كان يحلو لنا نحن (الشياطين الصغار) أن نقترب من حدائق الملك.. ونحاول أن نتسلق السور الملكي لنسرق الثمار من حديقة الملك.. كنا نشعر بمتعة غريبة وشعور بالانتصار لأننا نجحنا في سرقة ثمار حديقة الملك دون أن يقبض علينا أحد.

وكان هذا يرضي غرورنا المبكر كأطفال ليسوا جبناء بدليل أنهم فعلوا ما لم يكن يجرؤ علي فعله الكبار.. فتسلقوا أسوار حدائق الملك.. وأكلوا من نفس الفواكه التي يأكل منها الملك شخصيا.

ومرت أيام الطفولة مرحة سعيدة في إنشاص.. يكللها تآلف وتحاب الأسرة الواحدة.. ورقة الأب.. وحنان الأم .. وبدأنا نكبر.. وكان هذا اليوم الذي لا أنساه.. اليوم الذي عرفت فيه أننا سنترك إنشاص.. كان لابد أن نذهب إلي القاهرة لكي نلتحق بالمدارس.. فأبي حريص علي أن نكمل تعليمنا.

وبكيت.. وأنا أدوع إنشاص.. والأشجار الخضراء التي قضيت وسطها أجمل أيام العمر.. أيام البراءة والمرح والشقاوة.. بكيت وأنا أري حدائق إنشاص وهي تختفي بالتدريج من أمام عيني.. وظللت أجفف دموعي حتي اقتربت السيارة من القاهرة.

إيام شارع طوسون

استأجر لنا أبي مسكنا في حي شبرا.. وفي شارع طوسون.. والتحقت بمدرسة شبرا للبنات.. وأيضا التحق بقية إخوتي بالمدارس.. وبدأت مرحلة جديدة من حياتي تختلف عن حياتي الأولي في إنشاص.. إنه الفارق بين حياة المدينة المزدحمة.. وحياة المناطق الريفية والحدائق الواسعة والمرح

والانطلاق.. لذلك حرصنا علي أن تستمر علاقتنا بإنشاص.. وكنا نتعجل انتهاء الموسم الدراسي لكي نذهب إلي إنشاص.. إلي الحدائق وأيام المرح مع أبي الذي كان يقضي معظم أيام الأسبوع هناك بحكم عمله ليعود إلينا في القاهرة كل يوم خميس.

وبدأت أحاول أن أتقبل هذه الحياة الجديدة.. حياة القاهرة التي تختلف كثيرا عن حياة إنشاص.

وأصبح لي صديقات في المدرسة.. أقربهن إلي قلبي هاتان التلميذتان اليتيمتان.. كنت أتولي مهمة الدفاع عنهما باستمرار.. خصوصا أني نجحت في أن أصبح (زعيمة) لمجموعة البنات من زميلاتي في المدرسة.

وبعد انتهاء الدراسة أعود إلي المنزل.. وأخلع ملابس المدرسة بسرعة لأنزل إلي الشارع لأمارس هوايتي الجديدة.. لعب (الحجلة) أو (الأولي)، كما كنا نحب أن نسميها.. وأظل ألعب (الحجلة) مع بقية صديقاتي الصغيرات أمام باب البيت في شارع طوسون.. ومن وقت لآخر كانت أمي تطل علينا من شرفة الدور الخامس لكي تطمئن علينا أو لتنادينا أنا وإخوتي لكي نصعد لتناول الطعام أو لمساعدتها في حمل أي شيء.

كانت حياتي في شارع طوسون متواضعة بسيطة (علي قدنا).. لكنها رغم ذلك كانت حياة لها طعمها الخاص ولها حلاوتها ونشوتها. وكنت أنتظر يوم الخميس بلهفة شديدة لأنه اليوم الذي يصل فيه أبي حبيبي من إنشاص لكي يأخدنا معه إلي سينما دولي.. ومازلت أذكر أول فيم شاهدته في حياتي.

كان فيلم (ليلي) المأخوذ عن قصة (غادة الكاميليا) وكان البطل هو حسين صدقي.. أما البطلة فهي ليلي مراد التي تأثرت جدا بها.. وكنت أقف بالساعات أمام المرآة لكي أقلدها وأمثل وأغني مثلها.. ولكن أحدا لم يكن يهتم بصوتي.. لم يلتفت أحد منهم أبدا للأغاني التي أرددها أحيانا.. ولم أسمع أحدا يشجعني ويقول لي برافوا يافاطمة.. صوتك جميل.. جملة كنت انتظرها لكني لم أسمعها.. لأن أختي عفاف كانت قد سرقت كل إعجاب الأسرة.. فالمعروف أنها هي صاحبة الصوت الجميل.. وكانت دائما تغني في المناسبات واللقاءات

العائلية وسط استحسان وإعجاب وتشجيع كل الأقارب الذين لم ينتبهوا أبدا إلي صوتي الذي ضاع إلي جانب صوت أختي عفاف الجميل.. بشهادة الجميع واعتراف الجميع.. وأنا نفسي كنت أعرف ذلك.. لذلك لم أكن أحاول أن أغني كثيرا خصوصا في حضور صاحبة الصوت الجميل أختي عفاف.

الحلقة الثانية:

تزوجت عفاف.. ويبدو أن زواجها وابتعادها من البيت كان في صالحي.. فعلي الأقل لن أجد منافسة خطيرة تسرق مني الإعجاب.. وبالتأكيد فإن كل الأهل والأقارب سيضطرون إلي سماعي بعد زواج ورحيل عفاف من البيت .

تيزة حكمت.. اكتشفتني!

وكان لنا قريبة تركية اسمها (حكمت) عرفت بإجادتها للعزف علي الجميش والعود أيضا.. وذات مرة جمعت (تيزة حكمت) كل نساء العائلة في منزلنا.. وبدأت في العزف بمهارة.. وفوجئت بها وهي تعلن أن (فاتوش) ومعناها فاطمة بالتركية - ستغني.

وبدأت فعلا أغني.. (بتبص لي كده ليه) و(حجبت نورك ليه عني.. يابدر في وسط الغمام) وهي أغنيات لليلي مراد حفظتها من فيلم (ليلي).

وقرأت علي وجوه الأقارب إعجابهم الواضح بصوتي.. وكان ذلك أول اعتراف عائلي بصوتي بفضل (تيزة حكمت) مكتشفتي الحقيقية التي لولاها ما كان أفراد العائلة قد انصتوا بمثل هذا الاهتمام لصوتي.

وبصراحة فأنا لم أكن تلميذة متفوقة في دروسها.. لن أقول أني كنت من أوائل الناجحات.. بالعكس كنت تلميذة (بليدة) جدا.. وكانت (المحفوظات) هي المادة الوحيدة التي أنجح فيها.. ليس بسبب اجتهادي وحبي لها.. ولكن بسبب إعجاب مدرسة المحفوظات (أبلة ليلي) بصوتي.. كانت تجبني جدا خصوصا بعد أن سمعت صوتي.. وعندما وقفت لأغني أمامها (بتبص لي كده ليه) رأيت النشوة الشديدة علي وجهها والانفعال والتأثر علي ملامحها.. ويبدو أنها كنت تمر بتجربة عاطفية في هذه الأيام.. وكان ذلك من سوء حظي.. لأنها كانت تصر علي أن تغلق باب الفصل بعد انتهاء الدراسة.. واضطر لأن أقف أمامها لأغني وأغني.. وكان نتيجة ذلك هو نجاحي في مادة المحفوظات.. وتقدمت بي نحو غرفة حضرة

الناظرة.. وشعرت بالخوف يسري في جسدي كله.. فقد كانت هذه الناظرة مخيفة وعنيفة.. وبدأت أفكر وأنا أسير خلفها.. ماذا فعلت.. ولماذا تريد أن تعاقبني أبلة ليلي.. رغم أني أغني لها (بتبص لي كده ليه).. هل هذا جزائي؟

لن أدعها تغلق باب الفصل بعد انتهاء الدراسة لتجبرني علي الغناء لها إذا كانت تصر علي اقتيادي واصطحابي معها إلي هذه الناظرة الرهيبة.

ووجدت نفسي أقف أمام الناظرة التي نظرت لي بلا حماس.. وسمعت (أبلة ليلي) وهي تقول لها (هذه هي فاطمة شاكر التي حدثتك عنها يا حضرة الناظرة).

وشعرت بخوف أكثر.. لماذا كل هذا الرعب.. إنني لم أفعل شيئا يستحق العقاب.. إن الدخول إلي غرفة حضرة الناظرة ليس له إلا معني واحد هو أما التأنيب والضرب.. أو المطالبة بإحضار ولي الأمر.

وبدأت أتصور والدي وهو يتسلم في إنشاص خطابا من المدرسة يطالب بالحضور لمقابلة الناظرة التي ابتسمت أخيرا وقالت لي.. (سمعت أن صوتك حلو.. سمعينا كده يا فاطمة).

وبدأت أغني وأنا أرتعد من الخوف (بتبص لي كده ليه).. وهنأتني الناظرة وشكرتني.. وعندما خرجت من غرفتها وجدت الفضول في عيون زميلاتي اللاتي تصورن أني مفصولة.. مفصولة.. وسألنني.. ما الذي حدث.(

قلت لهن بثقة شديدة.. أبدا.. كنت باغني لحضرة الناظرة.. وظنت زميلاتي أني سأنجح بالتأكيد آخر العام وسأحصل علي الدرجات النهائية مائة ف المائة.. ألست أغني للناظرة شخصيا.. الناظرة التي يخشاها الجميع ويخفون بطشها تستدعيني أنا بالذات من بين كل طالبات المدرسة لكي أغني لها.. وأصبح معروفا في المدرسة أن حضرة الناظرة تحبني وأني ناجحة بالتأكيد مائة في المائة في آخر العام.. وأنا نفسي صدقت ذلك.. فلم أعد أهتم كثيرا باستذكار دروسي.. وكانت المفاجأة أني رسبت في كل المواد رغم كل هذه الأغاني التي غنيتها لحضرة الناظرة.

وتعلمت كثيرا من هذه التجربة.. وبدأت أهتم بدروسي .. وبدأت أيضا أكبر.. وفي الثالثة عشرة من عمري زاد تأكدي من جمال صوتي.. وظهر (حب الشباب) علي وجهي.. لقد بدأت أدخل مرحلة جديدة في حياتي.. مرحلة المراهقة.. كانت أختي سعاد قد تزوجت.. وتروجت أختي عفاف..وذات ليلة نادتني أمي وهي تقول لي: لقد جاءك عريس يطلب يدك من أبيك.

قلت بدهشة.. لي أنا؟

قالت: نعم.. أنه شاب في الثانية والعشرين من عمره وهو يعمل مهندس طيران.

أن أبي مثل كل الآباء يريد أن يطمئن علي وأن يزوجني كما زوج سعاد وعفاف.. كان يريد أن يتخلص من هذه (الأروبة) التي هي أنا.. وكان الزواج أيامها يتم عن طريق العائلات.. ووافق أبي علي زواجي من هذا الشاب مهندس الطيران.. ولم أكن أملك حق الرفض.. وشعرت بأن أحلامي قد انهارت.. كنت أحلم بالغناء والتمثيل.. كنت أشعر بأن الفن يجري في عروقي.. وأن مستقبلي الصحيح مع الفن وليس مع مهندس الطيران.

إن كل من يسمعني كان يقول لي (هايل يا فاطمة.. صوتك ولا صوت ليلي مراد).. لكن يبدو أني لن أكون ليلي مراد.. ولن أكون أسمهان.. بل لن أكون أبدا شيئا له قيمة.. سأكون فقط زوجة تزوجت رغم أنفها بإنسان لا تعرفه ولا تحبه.. وستعيش مقهورة حزينة طول العمر.. لأن حبها الحقيقي للفن.. الغناء والتمثيل.. ثم أني مازلت صغيرة.. فلماذا هذا الإسراع في تزويجي.. إنني أحب أبي واحترمه جدا.. كانت هذه هي المرة الوحيدة التي غضبت فيها منه.. وجاء العريس.. وقدمت له الشربات لكي يراني دون أن أراه.. فقد كانت نظراتي ضائعة خلف ضباب الدموع التي ملأت عيني.. وبكيت كثيرا.. ولم أنم في هذه الليلة إلا بعد أن اتخذت قرارا من أخطر وأجرأ القرارات التي اتخذتها في حياتي.. قررت أن أرفض.. أن أقول لا.. أن أخالف أوامر أبي لأول مرة.. لا.. لن أتزوج.. هذا الشاب الذي لا أحبه.. لن أتزوج وليحدث ما يحدث يا أبي العزيز.

كانت خطبتي لمهندس الطيران الشاب أشبه بالقصص التي نراها دائما علي الشاشة.. فتاة صغيرة يوافق أهلها علي تزويجها لأول من يتقدم إليها.. ويطلبون منها أن تحمل أكواب الشربات لتدخل بها إلي العريس.. حتي تكون أمامه فرصة لكي يراها ويطمئن علي اختياره لها.. وبصراحة فإن مهندس الطيران كان شابا لطيفا.. وهو كزوج لا خلاف عليه.. ولكن المشكلة كانت في داخلي أنا في عقلي الذي لم يعد يفكر إلا في الفن، إن الجميع يقولون إن صوتي جميل.. كلهم يطربون ويتمايلون إعجابا كلما استمعوا إليّ.. إنني أخرج بعد مشاهدة الأفلام الغنائية لكي أغني وأقلد المطربين والمطربات خصوصا ليلي مراد.

إن الفن بدأ يشغلني عن كل شئ.. حتي عن مهندس الطيران الذي بدأ يلاحظ أني غير مقبلة عليه.. وأني لست متحمسة للزواج منه.. سلوكي معه كان يؤكد ذلك.. وأن عقلي لايفكر فيه.. ويبدو أنه ظن أني أريد الزواج من إنسان آخر غيره.. فلابد أن وراء شرودي الدائم وصمتي الطويل وابتساماتي القليلة جدا أمامه.. لابد أن وراء ذلك كله سببا آخر.. أو إنسانا آخر أحبه وأسعي للزواج منه.. وقرر مهندس الطيران أن يطير وينسحب بسرعة بعد أن تأكد من انصرافي وانشغالي عنه.

لكن أهلي لم يفهموا الحقيقة.. ظنوا أن هذا العريس لم يعجبني.. وأن العريس القادم لابد سيروق لي.. ولم أجرؤ علي التصريح لهم برغبتي الخفية في الارتباط بالغناء والفن.. لم أستطع الاعتراف لهم بأن الفن هو سبب رفضي للعريس الشاب مهندس الطيران الذي فضل الانسحاب في هدوء بعد ثلاثة أشهر فقط من بدء الخطبة..

تحول إعجابي بمحمد فوزي إلي حب عميق

هددت بالانتحار!

وبدأت أنشغل جدا بالغناء.. كنا نجتمع أنا وبقية صديقاتي وكنا حوالي 21 فتاة.. كنا نجتمع في بيت إحدانا ونلتف حول البيانو.. وأبدأ أنا في الغناء وأستمر كلما رأيت علي وجوههن الإعجاب.. وأشعر بسعادة غامرة عندما يسمعن يقلن لي «ياسلام يافاطمة.. صوتك ولا ليلي مراد» لماذا لا أكون

أسمهان! لماذا لا أكون ليلي مراد؟ وبدأ الحلم الكبير يكبر ويسيطر علي حياتي كلها.. حلم رائع ممتع بأن أكون مطربة ناجحة مثل أسمهان أو ليلي مراد.

وكنت أخشي ألا يتحقق هذا الحلم.. هل سيوافق أهلي؟ صحيح أن أبي يحب الموسيقي والغناء وهو الذي اشتري لنا العود.. ولكن أن يشجعنا علي حب الموسيقي والغناء شيء.. وأن تصبح ابنته مطربة شيء آخر.. الغناء داخل الحمام أو وسط أفراد الاسرة يختلف عن الغناء أمام الجمهور في الحفلات العامة.

وتحققت مخاوفي التي كنت أخشاها.. لقد جاء عريس آخر يطلب الزواج مني.. كنت قد بلغت الخامسة عشرة من عمري.. سن الزواج المناسب في رأي أهلي.. وكان العريس في هذه المرة مدرسا.. وإذا كنت قد لجأت إلي المقاومة الصامتة في المرة الأولي.. فكنت أكتفي بالصمت وعدم الرد علي العريس حتي ييأس ويدرك أني غير متجاوبة معه إلا أني قررت هذه المرة أن ألجأ إلي أسلوب وطريقة أخري للرفض.. أن أتكلم وأقول بصراحة أني لاأريد الزواج الآن لأنني مازلت صغيرة ولأنني لا أقبل الزواج من رجل لا أحبه.. فالمسألة هذه المرة ليست مسألة خطبة فقط.. بل هذا عقد قران.. لقد أصبحت علي بعد خطوة واحدة من بيت الزوجية وهذا معناه انهيار أحلامي انهيارا كاملا.

وبدأت أبكي ليل نهار.. وعندما وجدت أن البكاء لم يخدم موقفي هددت بالانتحار.. إذا زوجتموني رغما عني فإني لن أجد حلا آخر غير الانتحار وأنا جادة جدا فيما أقول.. إنه ليس تهديدا بل هو قرار سأضطر إليه إذا أجبرتموني علي الزواج وإذا لم تتنازلوا عن إصراركم الشديد علي هذا الزواج.

ونجحت الخطة.. وتراجع أبي العزيز أمام دموعي.. لقد كنت أعلم مدي حبه لي هو وأمي.. وكنت واثقة أنهما سيوافقان علي مطالبي.. وبعد بضعة أشهر تم الطلاق دون زواج من العريس الثاني المدرس.

وبدأت أشعر بالراحة.. ولم يعد أحد في الأسرة يحدثني أبدا عن الزواج لأنهم يعلمون أني أرفضه ولا أريده الآن واقتنع

الجميع برفضي للزواج بعد أن فشلت أختي عفاف في زواجها وبعد أن تم طلاقها وانفصالها عن زوجها.. وخشي أبي وأمي أن تتكرر نفس المأساة معي إذا أصرا علي تزويجي من رجل لا أحبه.. وفي وقت لا أميل فيه للزواج.

الحلقة الثالثة:

واعترف أبى بصوتى!

لكن كيف بدأت الخطوة التالية.. كيف أقول لهما أنى أريد أن أكون ممثلة؟ وأن الفن هو السبب الحقيقى فى رفضى للرجلين اللذين تقدما للزواج منى.. لم تكن عندى الشجاعة لأقول ذلك.

لكن أختى عفاف أنقذتنى من حيرتى الشديدة..

لقد قررت بشجاعة كانت تنقصنى أن تخوض تجربة التمثيل.. قررت أن تفعل ما أتمناه وأحلم به.. أرادت أن تكون ممثلة.. وغضب والدى غضبا شديدا بل وقاطعها مقاطعة كاملة لمدة عام.. وبدأ الناس يحدثون أبى عنها.. وكنت أنتظر رأيه فى تجربة عفاف وأنا أرتعد خوفا.. وإن حكمه عليها هو نفس الوقت حكم على أنا.. على أحلامى التى حققتها عفاف.. ولم أقدر على تحقيقها.

وانتهزت فرصة إقامة هذا الحفل العائلى الذى كان سيحضره المطرب التركى المعروف (منير نور) الذى كان أبى من أشد المعجبين به.. وكانت شهرته فى تركيا مثل شهرة عبدالوهاب عندنا.

أنتهزت هذا الحفل العائلى الذى أقامه أبى لصديقه المطرب التركى المعروف واقتربت من (تيزه حكمت) الوحيدة التى كانت مقتنعة بصوتى وسط العائلة وقلت لها (اطلبى منى أن أغنى.. أريد أن أغنى أمامهم).. وكان من بين الحاضرين أيضا الفنان مدحت عاصم الذى جاء مع المطرب التركى.

ونادتنى (تيزه حكمت) حسب الاتفاق وطلبت منى أن أغنى.. وغنيت أغنية ليلى مراد (بتبص لى كده ليه).. وعندما انتهيت من الأغنية فوجئت بالمطرب التركى الكبير وهو يقف مكانه ويتجه نحوى ويقبلنى بإعجاب شديد.. وتطلع نحو أبى وقال له..(ان فرصتها كبيرة فى عالم التمثيل والغناء).. وقال كلمات أخرى كثيرة تعبر عن إعجابه الكبير بصوتى..

وتنبه أبى لأول مرة.. وكأنه اكتشاف اكتشافا خطيرا.. لكن إعجاب المطرب التركى كان سببا فى إعجاب والدى وإيمانه الشديد بصوتى.. لدرجة انه بدأ يطلب أن أغنى باستمرار أمامهم.. ليس ذلك فقط.. بل لقد قرر أن يستدعى مدرسا لكى يعلمنى أصول الموسيقى.. وكأن والدى كان يريد الاعتذار عن تجاهله الطويل لصوتى.. وبدأت أتعلم العزف على العود.. وكدت أصبح مترددة وسط البيت لأن أبى يعطينى كل هذا الاهتمام الكثير..

أزهار و أشواك..

و تصادف أن كان مدرس الموسيقى صديقا للمخرج أحمد بدرخان.. وبعد أن لاحظ اهتمامى الشديد بالموسيقى والغناء.. وحبى المجنون للتمثيل والسينما.. فاجأنى ذات مرة بعد انتهاء درس الموسيقى بقوله: سأقدمك للمخرج أحمد بدرخان.. إنه صديقى.. وكدت أطير من الفرح.. أخيرا سألتقى بمخرج سينمائى.. وبمن؟ أحمد بدرخان شخصيا.. ولم أصدق إلا عندما وجدت نفسى جالسة أمام المخرج الكبير الذى طلب ان يستمع إلى صوتى.. وملأ الخوف قلبى.. إنه امتحان صعب سيترتب على نتيجته مستقبل حياتى.. وشجعنى مدرس الموسيقى وبدأت أغنى.. وكانت سعادتى لا توصف عندما رأيت ابتسامة الرضا والإعجاب على وجه المخرج أحمد بدرخان الذى قال (إنها تصلح ممثلة ومطربة) هذه هى الجملة التى كنت انتظرها.. أخيرا.. سيتحقق الحلم الذى تصورته صعبا ومستحيلا..

ووقعت أول عقد فنى فى حياتى وعمرى خمسة عشر عاما.. وكان العقد يقضى بأن أحصل على مائتى جنيه.. وفى أول كل شهر كنت أحصل عشرين جنيها من المبلغ المتفق عليه وظهرت فى لقطة واحدة على الشاشة فى فيلم اسمه (أزهار وأشواك) الذى أخرجه حسين حلمى المهندس مثلت دور كومبارس.. وكانت معى هند رستم أيضا التى ظهرت مثلى فى دور كومبارس.. أما بطلة الفيلم سناء سميح. لم أكن قد قرأت القصة ولا السيناريو، وظننت أنى سأكون من بين أبطال الفيلم. وفى يوم الافتتاح ذهبت مع هند رستم وجلسنا معا فى

(اللوج).. وجاءت سناء سميح ورفضت أن تجلس معنا نحن الكومبارس.. وفضلت أن تجلس فى لوج أخر بعيدا عنا.. وشعرت بالإهانة الشديدة.. وبكيت.. لكن هند رستم قالت لى (ماتزعليش بكرة تبقى أحسن منها).

وبدأ الفيلم.. وجدت نفسى لا أظهر إلا فى لقطة واحدة.. تصورنى وأنا أتظاهر بالغناء وافتح وأغلق فمى وكأننى أغنى بينما صوت مطربة أخرى غيرى هو الذى نسمعه وهى تغنى باللغة العربية الفصحى. وكان منظرا مضحكا - فكيف تغنى هذه الفتاة الصغيرة التى هى أنا بهذا الصوت العريض الذى هو صوت المطربة الأخرى؟ ان صوتها العريض غريب على شكلى وجسمى وعمرى الصغير.. وضجت السينما كلها بالضحك. وسمعت أبى يقول هامسا لى فى الظلام.. ياللا نخرج قبل ما الجمهور يضربك .

الحلقة الرابعة:

كانت هذه أول تجربة لي مع السينما.. وكان أسمي الفني «هدي».. لكن من حُسن حظي أن هذا الفيلم الفاشل مر بسلام ولم يشعر به أحد.. وحاولت أن أنسي هذا الفيلم نهائيا بل حاولت أن أخرجه من حياتي نهائيا.. حتي أستطيع أن أستمر وأبدأ صفحة جديدة علي شاشة السينما،

كنت أتمني أن أظهر في فيلم ناجح مع فنانين مشهورين معروفين يحبهم الناس.. وكنت أحلم بأن أقف أمام فنان مشهور مثل محمد فوزي الذي كان له ألوف المعجبين والمعجبات.. كنت أنا أيضا من المعجبين به.

وكانت المرة الأولي التي عرفته فيها يوم أن شاهدت فيلم «مجد ودموع» وهو يمثل مع نور الهدي.. وذهبت مرة أخري.. بل ومرات كثيرة لمشاهدة نفس الفيلم.. أعجبتني ملامحه كما أعجبني صوته الجميل.. وأحببته أكثر مع أغاني «الماضي المجهول» التي غنتها ليلي مراد وكانت من ألحانه هو.

ولم أكن أعرف أن القدر سيحقق لي أمنية كبري.. أمنية الوقوف وجها لوجه أمام مطربي المفضل محمد فوزي في فيلم واحد.. كان حلمي رفلة يبحث في ذلك الوقت عن وجه جديد يسند إليه البطولة الغنائية أمام محمد فوزي في فيلم «العقل في أجازة».. وهو أول إنتاج سينمائي لمحمد فوزي..وأيضا أول إخراج لحلمي رفلة.. وكان بالنسبة لي أول فرصة بطولة علي الشاشة.

والذي حدث أن أحمد بدرخان تحدث عني مع حلمي رفلة قال له إنها تجيد الغناء وصوتها جميل.. واستدعاني حلمي رفلة وأجري لي إختبارا أمام الكاميرا.. وكادت أعصابي أن تحترق وأنا أنتظر النتيجة.. وقلت لحلمي رفلة إنني أجيد الغناء أيضا.. وغنيت له «بتبص لي كده ليه».. وقلت له أيضا أنني أمثل في فيلم يخرجه «محمد عبدالجواد».. لكن حلمي رفلة رد قائلا..

«مش معقول أرشحك لدور بطولة في الوقت الذي تظهرين فيه ككومبارس في فيلم آخر..«

وأسرع حلمي رفلة إلي التليفون وطلب محمد عبدالجواد واستأذنه في عدم ظهوري في فيلمه.. وقال له محمد عبدالجواد.. «إن المشهد الذي تظهر فيه لايستغرق سوي دقائق معدودة ولو حذفناه فإن الفيلم لن يتأثر بشئ.«

ووافق محمد عبدالجواد علي إنسحابي من فيلمه من أجل حلمي رفلة الذي وقع معي عقدا ولكني عندما وقعت علي العقد باسمي «فاطمة شاكر» قال لي حلمي رفلة.. أكتبي الشهيرة بشادية.. وكان حلمي رفلة هو الذي أطلق علي اسمي الفني الجديد «شادية».. وقال مبتسما «مبروك ياشادية».. وأصبحت شادية.

وكان دوري في الفيلم هو دور فتاة ريفية تحضر إلي القاهرة لتقيم مع أقاربها ولكن الكراهية تملأ قلوب هؤلاء الأقارب عندما تصبح فجأة (وارثة) وغنية جدا أما (محمد فوزي) أبن الأسرة فقد كان الوحيد المتعاطف معي.. ويتزوجني في نهاية الفيلم.

وأحببت محمد فوزي

ومازلت أذكر ذلك اليوم الذي وقفت فيه لأول مرة تحت الأضواء الساطعة.. كان حلمي رفلة يدخلني من باب لأري ديكور الشقة التي يجري فيها التصوير ثم يخرجني من باب آخر.. واستمر الحال بهذه الصورة لمدة ثلاثة أيام.. وهو يدخلني ويخرجني دون أن أتكلم أو أنطق بكلمة واحدة.. لدرجة أن والدي فقد صبره وتقدم من حلمي رفلة قائلا:

إيه ده ياأستاذ حلمي.. هو دور صامت وألا إيه؟ والله بنتي بتعرف تتكلم..

ورد حلمي رفلة بدهشة..

أنا أعلم أنها تجيد الكلام.. ولكني أتعمد ذلك معها حتي تتعود علي الوقوف أمام الكاميرا وتحت الأضواء لكيلا تشعر بالرهبة والخوف.. وعلي أي حال فهي ستتكلم اليوم..

وفرحت جدا لأني سأتكلم أمام الكاميرا.. وجاء مساعد المخرج وكان أيامها عاطف سالم لكي يعلمني الجملة التي سأقولها والتي مازلت أذكرها حتي اليوم.. كنت أوجه كلامي إلي ليلي فوزي قائلة وأنا أجلس فوق السلم:

عال قوي.. أدي اللي ناقص.. بتشاغلي السواق.. مافاضلشي غير السواق كمان.

كانت هذه الجملة التي من المفروض أن أقولها.. لكني كنت أقول «عال قوي».. ثم يضيع صوتي بعد ذلك ولا أنطق.. لأن الكلمات كانت تخرج من بطني.. وتضيع الكلمات من فمي لأقول آخر الجملة «سواق كمان» كنت أقول بداية الجملة وآخرها فقط.. ويسألني حلمي رفلة لماذا لاتتكلمين؟

فأقول له:

والله باقول ياأستاذ حلمي..

وأوقف حلمي رفلة التصوير وجاء ليشجعني بحب وعطف حتي استطعت أخيرا السيطرة علي أعصابي.. وبدأت أتكلم بطريقة طبيعية.. كان الموقف صعبا بالنسبة لي.. لكنه موقف لا ينسي أبدا.

وجاء اليوم الذي تحققت فيه أحلامي.. اليوم الذي وقفت فيه لأول مرة أمام مطربي المفضل محمد فوزي.. ووجدته إنسانا رقيقا مهذبا.. وكاد الإعجاب يتحول إلي حب.. لكنه حب التلميذة للأستاذ الذي كان دائما يوجهني بإرشاداته وانتزع من قلبي الخوف.. وشعرت معه بالأمان تحت الأضواء الساطعة.. ولم أعد أتهيب الكاميرا وأخشاها وهي تقترب من وجهي..

ولم أعد أيضا أشعر بتلك القشعريرة التي كانت تسري في جسدي كلما وقفت أمام محمد فوزي.

وليلة عرض الفيلم لأول مرة سمعت الجمهور وهو يهتف باسمي الجديد «شادية».. «شادية» وكانت لحظة من لحظات العمر الرائعة.. وبكيت من شدة الفرح.. فقد كان يوم عرض فيلم «العقل في أجازة» هو يوم ميلادي الفني..

ولم يكن آخر فيلم ألتقي فيه مع الفنان محمد فوزي.. بل إلتقينا بعد ذلك في فيلم «الروح والجسد».. وفيلم «صاحبة

الملاليم» وكانت أول أغنية يلحنها لي هي «وقفوا الخطاب علي الباب ياأمة».. وكانت أيضا أول تسجيل بصوتي.. وأول اسطوانة تحمل اسمي في الأسواق..

وكونا معا «دويتو» وظللنا فترة نغني معا.. وأصبحت صداقتنا أقوي بهذا الارتباط الفني مع إنسان أحترمه كثيرا.

لكن هذا النجاح كان مشكلة لأمي وأبي.. لأنهما كانا يخشيان أن يتركاني وحدي.. كانت أمي تحرص علي الذهاب معي في الصباح لتتولاني برعايتها وتحضر لي الغذاء والفيتامينات لمقاومة الإرهاق والتعب.. فقد كنت ماأزال صغيرة السن ولم تكن صحتي تتحمل الوقوف لساعات طويلة أمام الكاميرا والتنقل من مكان إلي مكان وبذل كل هذا المجهود الكبير.

أما أبي حبيبي فكان يحضر إلي البيت بعد انتهاء عمله ليتناول الغداء ويستريح قليلا ثم يتجه إلي الاستوديو حاملا لي الشيكولاتة والحلوي ويظل معي في الاستوديو حتي ينتهي التصوير وأعود معه إلي البيت.. لقد تعلمت من والدي الكثير.. تعلمت منه كيف أحب عملي.. وأيضا تعلمت منه الرقة والحنان.. وبقدر ماكان قاسيا معنا بقدر ماكان رقيقا.. وهذه القسوة سببها أنه كان يحب أن يربينا تربية صحيحة. وأذكر أنه ذهب معي إلي استوديو الأهرام.. وكان مدير التصوير أمين عطا الله وهو إنسان ممتاز يحب أن يداعبني مداعبات بريئة طيبة فهو في مثل سن أبي.. وأحيانا كان يجري ورائي لكي يغيظني.. وكنت أفعل ذلك من وراء أبي.. لكن ذات مرة شاهدني وأنا أضحك مع أمين عطاالله وأستجيب لمداعباته البريئة.. وعندما عدنا إلي البيت لقنني درسا لن أنساه أبدا قال لي يجب أن تعلمي كيف تحترمين نفسك.. وأنا أحب أن تكون ابنتي محترمة أمام زملائها.. لا أحب هذه «الحركات الصبيانية» غضبت طبعا لكني تعلمت منه كيف أحترم نفسي.

أما أمي فقد تعلمت منها الصبر الجميل.. الصبر بكل أنواعه.. وكان نجاحي في فيلم «العقل في أجازة» سببا في انتشار اسمي.. ووجدت متعهدي الحفلات يطلبونني للاشتراك في الحفلات الغنائية.. وكانت أولي حفلاتي الغنائية غريبة جدا..

ومضحكة جدا لدرجة أني أشعر بالخجل كلما تذكرتها.. لكن هذه قصة أخري..

إلى اللقاء فى الحلقة الخامسة

لينكات الحلقات السابقة فى أول تعليق

ملحوظة: لا أعلم من أين جاء خطأ أن من أطلق عليها اسم شادية فى هو حلمى رفلة. فى أكثر من لقاء إذاعى وتليفزيونى قالت شادية أنها من أطلقت على نفسها هذا الاسم تيمناً باسم مولودة جديدة بنت واحدة صاحبة والدتها.

الحلقة الخامسة:

قلدت أم كلثوم فضحك الجمهور!

بعد ساعات قليلة سأقف أمام الجمهور لأغنى فى أول حفل غنائى اشترك فيه.. لم أكن قد تعودت على الغناء أمام الأعداد الكبيرة من الناس.. فكل الأغانى التى قدمتها كانت أمام أقاربى وسط اللقاءات العائلية فى انشاص ثم فى شارع طوسون بشبرا.. أو أمام صديقاتى وزميلاتى فى الدراسة.. أما الغناء أمام جمهور كبير فكان شيئا جديدا وغريبا بالنسبة لى رغم أنى كنت أنتظر هذا اليوم وأحلم به.

لكن من الصعب التراجع.. فنقابة السينمائيين أعلنت عن الحفل الذى سيقام فى "الحلمية بالاس".. ولم أكن وحدى التى سأغنى فيه.. هناك نجوم كبار معروفون مثل عبدالعزيز محمود ورجاء عبده.. وهناك أيضا تحية كاريوكا التى سترقص.. وهذا ما جعلنى أشعر بالخوف أكثر.. فماذا سأفعل أنا إلى جانب هؤلاء المشاهير؟!

لقد نجح فيلمى "العقل فى اجازة" الذى قدمته مع محمد فوزى.. لكن ليس معنى ذلك أنى أصبحت مثلهم معروفة.. إنها فقط أول خطوة فى طريق النجاح الذى وصلوا هم إلى نهايته.. إن عبدالعزيز محمود سيقدم بعض أغانيه الناجحة المعروفة التى يحبها جمهوره الكبير.. ورجاء عبده ستقدم أشهر أغانيها "اشهدوا يا ناس".. وأنا ماذا سأقدم؟

ليست لى أغان معروفة مثلهم.. وليس من المعقول أن أظهر أمام الجمهور وفى أول حفل غنائى اشترك فيه لأغنى ذلك الدويتو الذى قدمته مع الفنان محمد فوزى "متشكر اه" فى فيلم "العقل فى اجازة".

هل سأقف أمام الناس لأغنى لهم "متشكر اه".. وكيف سأغنى وحدى.. أنه لحن خاص بالفيلم ولا يصلح للتقديم فى حفلات عامة.. هل أعتذر عن عدم الاشتراك فى الحفل؟

لا.. لا.. انها فرصة بالنسبة لى.. فلما أهرب من الجمهور الذى سأقف أمامه لأغنى له فى يوم من الأيام سواء أردت أو لم أرد.

إن الوقت يمر بسرعة.. ولابد أن أستقر على أغنية معينة.. وبعد تفكير وقلق قررت أن أقدم أغنية أم كلثوم "غنى لى شوى شوى".. وبدأت أحفظ وأتدرب على اللحن مع الفرقة الموسيقية.. لقد أردت أن أنقذ الموقف وأجد حلا سريعا.. ولم أكن أعلم أنى أضع نفسى بنفسى فى مأزق ومتاعب جديدة.. لقد تسرعت فلم أحسن الاختيار.. ولم أتأكد من الخطأ الذى وقعت فيه وتسرعى إلا فى يوم الحفل نفسه.. عندما وقفت أمام جمهور "الحلمية بالاس".

وبعد أن بدأت الفرقة الموسيقية فى العزف.. وعندما بدأت أغنى "غنى لى شوى شوى".. كان صوتى مسرسع.. وليست له علاقة بصوت أم كلثوم.. بل ولا يتناسب كذلك مع حجم الأغنية. ولم أكن مقنعة أبدا.. وضحك الجمهور وهو يستمع إلى هذه المطربة صاحبة الصوت المسرسع التى تحاول تقليد أم كلثوم.

وشعرت بالحرج الشديد عندما ارتفعت ضحكات الناس.. وكأن أحدا قد صفعنى ولطمنى على وجهى بشدة.. وأحسست أنى أذوب من الخجل.. وكدت أن أترك الميكروفون والفرقة الموسيقية لأجرى وأهرب من هذا الموقف الغريب الذى وضعت نفسى فيه.

شعرت بأنى لابد أن أختفى من الأنظار.. ولا أعرف كيف أكملت الأغنية بعد ذلك أمام الجمهور الذى لم يقتنع أبدا بى وأنا أقلد أم كلثوم.. وكانت ضحكاته الساخرة هى الصفعة التى هوت على وجهى لتجعلنى أفيق طويلا قبل الظهور فى أيه حفلة غنائية أخرى.. وأصبح عندى عقدة نفسية من هذه الحفلات الغنائية.. وقررت ألا أقلد أحدا بعد ذلك.. وقررت أيضا عدم الظهور فى أية حفلة غنائية أخرى مهما كانت المغريات.. لن اشترك فى هذه الحفلات إلا بعد أن تصبح لى أغان خاصة

ترتبط باسمى أنا وليست بأسماء المطربات الأخريات.. وبدأت أرفض كل العروض التى تدعونى للاشتراك فى الحفلات الغنائية العامة.

ومرت الأيام.. وقدمت فى الأفلام الجديدة أكثر من أغنية ناجحة مثل "يا دبلة الخطوبة" التى حققت نجاحا كبيرا.. ومثل أغنية "واحد اتنين أنا وياك يا حبيب العين".. واقنعتنى تحية كاريوكا بتكرار تجربة الغناء فى الحفلات العامة.. وفى هذه المرة لن أغنى بلا خوف لأن هذه الأغانى التى سأقدمها تحمل اسمى أنا ولأنى لن اضطر إلى تقليد المطربات الكبيرات.

ولم أشعر بأن عقدتى النفسية فى الحفلات الغنائية قد زالت.. إلا يوم أن وقفت فى حفلتى الغنائية الثانية.. هذه المرة لم أسمع ضحكات الجمهور الساخرة.. بل وجدت صمتا واحتراما وتصفيقا طويلا بل وإلحاحا فى إعادة بعض الأجزاء الغنائية التى قدمتها.

وكان ذلك يوم ميلادى الحقيقى كمطربة.

بدأت رسائل المعجبين تصلنى.. وكلها تتحدث عن جمال صوتى ونجاح أدوارى.. ولا أنسى أبدا أول رسالة وصلتنى من معجب. كنا قد انتقلنا من شارع طوسون فى شبرا إلى حى عابدين.. وأذكر أن إحدى المجلات الفنية نشرت عنوانى.

وجاء البوسطجى يدق بابنا ويحمل لى أول خطاب قادم باسمى.. إن كل الخطابات التى تصلنا دائما تكون باسم أبى.. ولكن هذه أول مرة يأتى خطاب صريح باسمى أنا.. نظرت إلى الخطاب بدهشة.. والتف أخوتى حولى وهم يسألون بشىء من الخبث.. ما الذى فى هذا الخطاب؟.. ومن الذى أرسله.. قلت لا أعرف.. ليس فى حياتى شخص معين وأنتم تعرفون ذلك.

الحلقة السادسة:

وفتحت الخطاب.. وما إن بدأت في قراءة سطوره حتي استغرق أخواتي في الضحك.. وضحكت معهم بل وأكثر منهم.. فهو خطاب من أحد المعجبين بالأغاني والأدوار التي أقدمها.. إنه تاجر جلود وأحذية.. وهو لايكتفي بالتعبير عن إعجابه بي كفنانة.. بل ويطلب يدي أيضا.. ويصر علي الزواج مني بعد موافقتي طبعا .

وبعد خطاب المعجب الأول تاجر الأحذية والجلود جاءت خطابات أخري كثيرة من معجبين آخرين.. لكن إخوتي وأخواتي لم ينسوا أبدا خطاب تاجر الأحذية والجلود الذي أصبح سببا لإغاظتي ومداعبتي.. وأضحك وأنا أسمعهم يقولون (من أولها جزم).

ولم تكن هذه الخطابات تضايق أهلي لأنهم يعرفون أن ما فيها ليس إلا إعجابا بريئا بممثلة ومطربة يحبون مشاهدتها علي الشاشة وسماع أغانيها المرحة الخفيفة خصوصا (دبلة الخطوبة) لم يشعروا بالضيق لأنهم يعرفون أني لم أعرف الحب بعد.. وأن قلبي لايزال خاليا فارغا ولم يدخله الإنسان الذي سأحبه ولم أصادفه أو أقابله حتي الآن.

مشاعر مراهقة!

كانت فترة المراهقة في حياتي مختلفة عن فترات المراهقة في حياة فتيات كثيرات.. كان العمل يمتلكني ويسيطر علي كل وقتي.. حياتي كلها داخل الاستوديوهات وأمام الكاميرات وتحت الأضواء القوية.. ولا وقت للحب الذي أصبحت أعيشه فقط علي الشاشة.. فكل القصص والأدوار التي أقدمها تتكلم عن الحب.

وكل يوم أعيش قصة حب جديدة ولكن علي الشاشة فقط.. أمثل أدوار الحب دون أن أعرفها.. أتكلم عن متعة الحب دون أن أعرفه.. كنت أذهب إلي الاستوديو وكأني ذاهبة إلي بلد أحبه.. كأنها رحلة إلي بلد أحب أن أعيش فيه، وكنت أسافر كل يوم من بلد إلي بلد.. أقصد من استوديو إلي استوديو.. وأصبحت أعيد عملي داخل هذه الاستوديوهات فأنا لم أعمل بالفن بقصد الشهرة أو الثراء.. لكن بسبب حبي الشديد للفن.. هذا الحب الذي ملأ قلبي في سن مبكرة جدا.. الحب الذي جعلني أرفض الزواج مرتين من مهندس الطيران ثم من العريس الثاني المدرس.

لكني أكون كاذبة لو قلت إن حبي الشديد للفن كان كافيا لإسعادي.. فوسط زحمة العمل المتواصل كنت أشعر أحيانا برغبة قوية في أن أكون محبوبة لإنسان وصديق مخلص أضع يدي في يده بعد انتهائي من عملي المرهق.. ونذهب بعيدا عن الأضواء.. نذهب مثلا إلي السينما.. أسمعه وهو يتكلم ويسمعني وأنا أتكلم.. يحكي لي متاعبه وأحكي له متاعبي وأشعر بالراحة إلي جانبه. أمنية كانت تضيع في زحمة العمل الشاق داخل البلاتوه.. ولم أكن أعرف أن هذا الحب الحقيقي يقترب مني بسرعة دون أن أشعر.

كان ابن الجيران هو أول من خفق له قلبي عندما كنا نقيم في شارع طوسون بشبرا.. وكان عمري في ذلك الوقت 13 عاما.. وكان حبا صامتا بلا كلام.. كان هو يقيم في الدور الأول وكنت أقيم في الدور الخامس.. والتقت نظراتنا.. وتفاهمنا بالإشارات وعن طريق النوافذ.. ففي ساعة معينة نفتح النوافذ لنتفاهم من بعيد بالإشارات.. أما عندما تكون نافذتي ونافذته مغلقتين فذلك معناه أننا في حالة خصام.. كانت يداي تصبحان باردتين مثل الثلج.. وكان قلبي يخفق بشدة عندما أراه من بعيد.. وكنت أخشي أن تعرف أمي مشاعري الصامتة نحو ابن الجيران ساكن الدور الأول.. لكنها كانت مشاعر مراهقة.. ولم يكن ذلك هو الحب الأول الحقيقي في حياتي.. فحكاية شارع طوسون بشبرا لم تكن حبا لأنها لم تزد عن إعجاب النوافذ دون لقاء ودون كلام.

حبي الأول من الصعيد

أما الحب الحقيقي.. أول قصة حب في حياتي فقد حدثت عندما كان عمري 17 عاما.. فقد حدث أن دعيت ذات مرة للغناء في حفل زواج أحد الجيران.. وكان من الصعب أن أعتذر فعلاقتنا بهؤلاء الجيران كانت تسمح لهم بأن يطلبوا مني الغناء في مناسبة سعيدة مثل حفل الزواج.

ووقفت لأغني.. ووقعت عيناي علي شاب أسمر وسيم.. وأحسست أن نظراته قد اخترقت قلبي.. وبعد انتهاء حفل الزواج فوجئت به يتقدم نحوي ويهنئني ويمتدحني، وعبر عن إعجابه بصوتي بكلمات رقيقة قليلة.. لم نتكلم كثيرا وافترقنا بسرعة.. لم أنم في تلك الليلة.. فصورة ذلك الشاب الأسمر لم تفارق عقلي أبدا.. إنني لا أعرف عنه شيئا بل ولا أعرف حتي اسمه.. من هو؟ وأين هو؟ وأين يعمل؟ وأين يقيم؟ وهل يبادلني هذا الإعجاب؟ أم أنه فقط إعجاب بصوتي.. وهل سأراه مرة أخري.. وكيف؟

وبقيت أياما حائرة.. حتي جاءني أول خطاب منه.. وعرفت من خطابه أنه طالب بالسنة الأخيرة بالكلية الحربية.. وأن هذا الخطاب قادم من الصعيد حيث يعيش هناك مع أسرته.. وكان خطابا رائعا مليئا بالمشاعر الرقيقة.. وشعرت بالراحة والسعادة لأنه يبادلني نفس المشاعر.. وجاء إلي القاهرة مرة أخري والتقيت به وسلمته كل خطاباته التي كانت تصلني بعد ذلك علي صندوق بريد إحدي صديقاتي.

ورأيت القلق علي وجهه عندما مددت يدي لأسلمه كل الخطابات التي أرسلها لي.. لكني قلت له إن هذا إجراء وقائي يحميني.. فأنا أخشي أن يكتشف أهلي أمر ومكان هذه الخطابات العائلية.. لأن اختفاء هذه الخطابات يعتبر مشكلة كبيرة بالنسبة لي.. وفهم ما أقصده ولم يغضب.. وقال لي إنه لا يريد أن يكون سببا في مضايقتي.. فهدفه الوحيد هو إسعادي.. كانت مشاعري نحوه قوية وعنيفة جدا لدرجة أني كنت أخشي أن يعرف أهلي كل شيء من عيني الحائرتين وتصرفاتي المرتبكة وشرودي الدائم وصمتي الطويل.

وفوجئت بخطاب جديد منه.. لكنه ليس لي أنا بل لوالدي.. ماذا يقول في هذا الخطاب.. هل سيفشي قصة حبنا.. وماذا سيكون موقفي أمام والدي الذي أحبه وأحترمه وأطيعه دائما؟ إنه ليس شابا طائشا بل هو إنسان عاقل.. فلماذا يتسرع بإرسال هذا الخطاب؟

وعرفت أنه يطلب يدي.. يريدني زوجة له..

وكان ذلك أعز خطاب تسلمته في حياتي.. لدرجة أني مازلت احتفظ به حتي الآن.

إنه يقدم نفسه لوالدي ويقول له كل شيء عن نفسه بصراحة ويطلب تحديد موعد للقاء معه للاتفاق علي كل شيء.. وجاءني أبي وهو يحمل الخطاب.. ولم يكن في حاجة لأن يحاول إقناعي فقد كنت مقتنعة جدا بذلك الشاب (الصعيدي) الأسمر الوسيم الذي كان أول حب حقيقي في حياتي..

وازداد حبي له وأصبح غراما مشتعلا.. وفي اليوم الذي تخرج فيه من الكلية الحربية وضع دبلة الخطوبة حول إصبعي.. وقال لي: لا أحب أن تستمري في الغناء.. ولا أريدك أن تظهري مرة أخري علي الشاشة.. فأنت ملكي أنا وحدي.. أريدك شريكة لحياتي..

ولم أعترض أنا التي رفضت من قبل رجلين خوفا من أن يبعدني الزواج عن الفن الذي أحبه.. لكني لم أقدر علي الاعتراض أمام حبيبي (الصعيدي) الأسمر الوسيم.. هززت رأسي موافقة وأنا مسحورة به وبكلماته رغم أن هذه الكلمات ستحرمني من عملي الفني الذي أعيش من أجله.. ولم أناقشه أبدا في قراره بإبعادي عن الغناء والشاشة.. فقد كنت مستعدة لأن أفعل أي شيء من أجله.. وكل ما يسعده يسعدني وكل ما يرضيه يرضيني.. أريد فقط أن أعيش معه حتي إن كان ذلك داخل كوخ.. أريد أن أكون دائما إلي جواره حتي لو حرمني ذلك من تحقيق أكبر آمالي الفنية التي بدأت أقترب منها.

قتلوا حبيبي

لكن السعادة عمرها قصير جدا.. كأنها حلم رائع لابد أن أفيق وأصحوا منه فجأة.. فقد حدث أن استدعي حبيبي فجأة للدفاع عن الوطن والاشتراك في حرب فلسطين عام 1948.. وكان يوما عصيبا قاتما يوم أن جاء ليودعني وهو يرتدي ملابسه العسكرية.. وكان قلبي يشعر بالذي سيحدث.. لا أعرف لماذا أحسست أن هذا هو آخر لقاء بيننا.. وأنني لن آراه بعد الآن. وحبست الدموع في عيني حتي غاب عني.. وظللت أبكي بكاء مريرا متواصلا.. وصدقت مشاعري.. فقد ذهب ولم يعد أبدا.. استشهد في ميدان القتال.. سقط حبيبي شهيدا واسمي يلف حول إصبعه فوق دبلة الخطوبة.

وتحطمت كل أحلامي.. وشعرت بأن قلبي قد تمزق.. وبأنه ينزف دما.. فقدت أي شعور بالحياة وبالناس من حولي.. فبدونه ليس للحياة معني.. لأنه كان حياتي نفسها.. وظللت أياما طويلة لا أنام.. وشريط الذكريات يملأ عقلي منذ أول لقاء لنا يوم أن غنيت أمامه في حفل الزواج حتي آخر لقاء يوم أن ودعته وهو ذاهب لميدان القتال.

وإذا نمت أري منظرا بشعا.. صورته وهو يقتل بالأسلحة الفاسدة التي كان يحارب بها.. وأصرخ مفزوعة.. ولولا حنان أبي وعطف أمي.. لولا وقوف أهلي إلي جانبي في محنتي.. لكانت حياتي نفسها قد انتهت.. وتحول صدر أمي الحنون إلي بحر من الدموع.. دموعي الحزينة علي حبيبي الذي ذهب ولم يعد..

لقد قتلوا حبيبي.. ذهب ضحية في حرب الخيانة والأسلحة الفاسدة.. وكرهت قصر عابدين وكل الذين أرسلوه إلي هذه الحرب ليموت ضحية لتصرفاتهم الطائشة.. وحتي الآن كلما مررت بحي عابدين وكلما اقتربت من قصر عابدين أشعر بانقباض شديد.. وأشعر بأن جرح قلبي القديم يؤلمني.. ذلك الحب الحقيقي في حياتي.. ومازلت أذكر حبيبي الشهيد لو كان قد عاش لكانت حياتي كلها قد تغيرت ولكنت أصبحت الآن زوجة سعيدة وأما لأربعة أو خمسة أطفال.

وكلما شعرت بالضيق والوحدة.. أسرع إلي جهاز التسجيل لأستمع إلي صوته.. إلي شريط التسجيل الذي كنت قد

سجلت عليه حديثا دار بيننا.. أسمعه وأسمع نفسي وأنا أتحدث معه.. فتضيع من نفسي كل مشاعر الضيق والوحدة.. كلما عشت مع الذكريات الغالية.. مع أيام السعادة القليلة في حياتي.

الحلقة السابعة:

أصعب موقف يتعرض له الإنسان أن يجد نفسه فجأة غارقا فى الأحزان.. فى الوقت الذى يتصور أنه قد حقق فيه كل السعادة التى يتمناها!

وهذا ما حدث معى.. كنت أتصور أنى قد حققت كل أحلامى عندما خفق قلبى بحب ذلك الضابط الصعيدى الشاب.. ولم أكن أعرف أن الأيام تعد لى مفاجأة كادت أن تحطم قلبى الذى امتلأ بالحب والأمل.

ولم يعد وجهى ضاحكا كما كان.. فكيف أضحك والرجل الوحيد الذى أحببته ذهب بلا عودة.. مات شهيدا وتركنى لمواجهة الحياة وحدى.. ولكن كيف أشعر بالحياة وهو ليس بجانبى، إن سعادتى استمدها من سعادته هو.. بل إن حياته نفسها هى حياتى.. وحياته ضاعت وانتهت لذلك شعرت بأن حياتى أنا أيضا قد ضاعت وانتهت.

وتمر الأيام.. والأحزان تطاردنى.. والدموع لا تفارق عينى.. والذكريات السعيدة القليلة التى عشتها معه لا تترك عقلى الذى أصبح عاجزا عن التفكير فى أى شىء ماعداه هو. وكدت أنسى السينما التى أحببتها وتمنيت أن أصل إلى شاشتها. وكدت أرفض الفرص وعقود العمل الجديدة التى كانت تعرض على.

لكنى اكتشفت أن الاستغراق فى العمل هو الطريقة الوحيدة للنسيان.. أما الاستسلام للأحزان فهو الموت نفسه.. هذا ما

قاله لى كل أهلى وأقاربى وكل الذين أشعر أنهم يكنون لى الحب والتقدير.. لابد أن تستمرى فى العمل.. اشغلى نفسك بأدوارك وأفلامك.. فهذا سيمنعك على الأقل من الاستغراق الطويل مع ذكرياتك القديمة.. ومادمت تعملين فستضطرين لتركيز كل حواسك فى عملك.

وبدأت أنفذ نصيحة أهلى وأقاربى.. وقررت أن أعود للعمل الذى كدت انقطع عنه.. بل وكنت مستعدة للابتعاد عنه لو ظل حبيبى الضابط الشاب حيا.. فهذه كانت رغبته.. ولم أرفض أول اتفاق للغناء فى إحدى الحفلات الغنائية العامة.

ضاع صوتى فى الإسكندرية

ركبت القطار المتجه إلى الإسكندرية.. وعندما وقفت لأغنى أمام الجمهور السكندرى.. بدأت أشعر بشىء غريب.. أنى غير قادرة على التحكم فى صوتى.. ماذا حدث؟ أن صوتى يضيع.. أنى أغنى بصعوبة شديدة.. لا.. لم أعد قادرة على الغناء.. يجب أن أتوقف فورا لأن صوتى لم يعد يخرج من حلقى.

وتركت الحفل وأنا أكثر حزنا.. لقد حاولت أن أنسى حبيبى شهيد حرب 1948.. لكنى حتى لا أقدر على الغناء.. واصطحبنى أبى إلى الدكتور على المفتى أستاذ الأنف والأذن والحنجرة الذى قال لأبى أن صوتى لن يعود طبيعيا كما كان إلا إذا سافرت إلى الخارج.

وقد رحب أبى بهذه الفكرة.. فهو يعرف أسباب حالتى النفسية المتدهورة.. ويبدو أنه اقتنع بأن السفر للخارج هو العلاج الوحيد لحالتى. وقالت لى أمى يمكنك أن تسافرى لتقيمى عند خالك فى اسطنبول، ومع أنى لم أر أبدا هذا الخال إلا أننى وافقت على السفر.

وكانت المرة الأولى التى أذهب فيها بعيدا عن مصر.. ومن الاسكندرية ركبت الباخرة مع أبى وأمى.. وعندما تحركت الباخرة وابتعدت عن أرض الميناء بدأ قلبى يدق بعنف.. وعندما يدق قلبى فهذا معناه الحب.. شعرت بحبى الشديد لمصر وأنا ابتعد عنها.. أنه شعور لا يعرفه إلا كل من تضطره الظروف للسفر والابتعاد عن وطنه الذى عاش فيه أيامه الحلوة والمرة والذى يخرج منه بذكريات سعيدة وحزينة.. لم

أكن أعرف أنى أحب بلدى كل هذا الحب إلا عندما بدأت الإسكندرية تبتعد وتغيب عن ناظرى.

وفى لبنان قضينا ليلة واحدة فى فندق طنوس.. وهناك التقينا مع الزعيم رياض الصلح الذى دعانا لتناول طعام الغداء .

ووصلنا إلى اسطنبول ولكن صوتى لم يصل.. ظل محتبسا رافضا الظهور مرة أخرى.. وبدأت أشعر بالقلق على نفسى بل على مستقبلى كله.. فصوتى هو كل ما أملكه وأعتمد عليه وبدونه لن يكون لحياتى معنى.. فكيف أغنى بلا صوت!

وبدأت أتخيل صورا متشائمة لمستقبلى وللأيام القادمة من عمرى.. هل سأظهر فى الأفلام صامتة لا أتكلم.. هل سأصبح بطلة للسينما الصامتة وكل الأفلام أصبحت ناطقة؟ ومن الذى سيقبلنى صامتة فى أفلامه؟

ولابد أن أقاربى الذين رأيتهم لأول مرة فى اسطنبول قد أحسوا بأحزانى الصامتة.. وحاول أهل أمى أن يخففوا عنى وأن يمدونى بالأمل.

وفى اليوم الأخير من الزيارة.. وعندما بدأت أستعد للعودة لمصر فوجئت بأن صوتى الضائع يعود.. ورأيت السعادة على وجهى وأبى وأمى.. لقد عاد صوتى وأستطيع الأن أن أغنى وأمثل وأن أستعيد نشاطى من جديد.

عندما فكرت فى الزواج

وانهمكت فى العمل.. وبدأت فترة مليئة بالنشاط وحاولت أن أشغل نفسى بأدوارى وأفلامى الجديدة.. ولم أعد أفكر فى الزواج.. فالمرة الوحيدة التى قررت أنا أختار فيها الرجل الذى أحبه انتهت نهاية لم أكن أنتظرها.

لن أجازف مرة أخرى وأفكر فى الزواج.. ولا أعرف لماذا شعرت بأن هذه النهاية الحزينة ستتكرر لو فكرت فى الزواج.. وكأن القدر يعاندنى ويصر على حرمانى من السعادة التى كنت أظن نفسى قريبة منها فوجدت نفسى فجأة بعيدة، بعيدة عنها.

وبدأ المنتجون يرشحوننى لبطولة أفلامهم الجديدة.. وكانت أصداء النجاح الذى حققته مع محمد فوزى فى أفلام "العقل

فى إجازة" و"صاحبة الملاليم" و"الروح والجسد" كانت سببا فى هذا الاهتمام الكبير الذى بدأ المنتجون يختصوننى به.

وأصبحت أمثل أكثر من فيلم فى وقت واحد.. أخرج من أستوديو لأدخل إلى أستوديو أخر.. هذا طبعا غير البروفات التى كنا نجريها على الأغانى.. وأصبح نهارى وليلى عملا دائما متواصلا.

وفى هذه الفترة بدأت أتعرف على شخصيات فنية جديدة لها وزنها فى ذلك الوقت خصوصا الفنان الكبير سليمان نجيب.

أذكر أنى كنت مشغولة بتمثيل دورين فى وقت واحد فى فيلمين مختلفين.. وبعد أن أنتهيت من أداء دورى فى الفيلم الأول.. أسرعت متجهة إلى الأستوديو الثانى الذى أمثل فيه الفيلم الثانى الذى يشترك فى بطولته سليمان نجيب.

ووصلت إلى أستوديو الأهرام.. ودخلت بسرعة إلى غرفتى انتهى من وضع الماكياج اللازم للدور.. وفجأة وجدت باب الغرفة يفتح ويطل منه وجه سليمان نجيب. كانت هذه المرة الأولى التى أراه فيها.. لكن الذى أدهشنى أنه كان غاضبا وثائرا.. وفوجئت أكثر وهو يرفع صوته ويصرخ فى وجهى وهو فى قمة الانفعال.

إذا كنت عايزة تستمرى فى التمثيل.. فيجب أن تحترمى مواعيدك.. وأن تحترمى أيضا الذين تعملين معهم.. وقبل ذلك كله لابد أن تحترمى العمل نفسه.. أنت تأخرت عن موعدك أكثر من نصف ساعة وهذا تعطيل لنا جميعا.. وهذا معناه عدم الاحترام لكل الذين تعملين معهم.. أنصحك إذا كنت تودين الاستمرار فى هذا المجال أن تتعلمى كيف تحترمين الذين يعملون معك.

قال هذه الكلمات الغاضبة ثم أختفى دون أن يتيح لى حتى فرصة الرد عليه.. ودون أن يتركنى لأدافع عن نفسى.. لقد كنت أسمع عن الفنان الكبير سليمان نجيب وانتظر اليوم الذى سألقاه فيه.. فقد كان من الشخصيات التى أحب أن أتعرف بها.. ولم أكن أتصور أبدا أن لقائى به سيتم بهذه الصورة.. لقد أساء فهمى.. لابد أنه ظن أنى إنسانة مغرورة وأنى

تعمدت هذا التأخير.. وأنا لست مغرورة ولم أتعمد أبدا هذا التأخير أو هذه الإساءة لفنان كبير مثله.

الحلقة الثامنة:

ووجدت نفسى أبكي.. فأنا لم أتعود أبدا على مثل هذه المواقف.. أنا الطفلة الشقية التى يبتسم فى وجهها كل الناس والتى يعاملها الأب والأم معاملة خاصة.. أنا التى لا أحب أن ينهرني أحد بهذه الصورة ولا أقبل أبدا أن يعاملني أى إنسان مهما كانت قيمته بهذه الطريقة التى صدمتني وجعلت دموعي تنهمر بغزارة.. ولم أعد قادرة على السيطرة على نفسي.

واقترب منى المصور الحاج وحيد فريد الذى كانت تربطني به صداقة قوية والذى تأثر جدا وهو يرى دموعي.. وحاول أن يخفف عنى.. بل وذهب إلى سليمان نجيب نفسه ليشرح له الموقف.. وليقول له إن تأخيري كان بسبب انشغالى بالعمل فى فيلم أخر.. وأنى أحاول أن أوفق بين العمل فى الفيلمين ولكن بدون جدوى.

وجفت دموعي.. وبدأت أعيد وضع الماكياج على وجهي استعدادا للدور الذى سأؤديه أمام سليمان نجيب.. وفتح الباب مرة أخرى.. وأطل منه وجه باسم هادىء ودود.. أنه وجه سليمان نجيب الذى تقدم مني معتذرا وهو يربت على كتفي.

"حد يزعل من عمه.. أرجوك لا داعى للبكاء.. أنا لم أقصد أبدا مضايقتك.. ولكنى قلت هذا الكلام من أجل مصلحتك التى تهمني".

واكتشفت أنه إنسان حنون ولطيف ومهذب جدا.. ومنذ ذلك اليوم أصبحنا صديقين.. وأصبح لا يحضر إلا ومعه قطع الشيكولاتة التى أحبها.. وأصبحت أنا أذهب فى موعدي بدون تأخير دقيقة واحدة.

احترام الناس ضروري

لقد ضايقني فى أول الأمر.. لكننى تعلمت أن احترامى للناس هو من فى نفس الوقت احترام لنفسي.. ولم أحاول أن ارتبط بأكثر من عمل بل سعيت إلى تركيز نشاطي فى عمل واحد فقط حتى لا أسيء إلى الأخرين.. لقد علمنى سليمان نجيب كيف احترم مواعيدي وكيف احترم الفن وكل الذين أعمل معهم وحدثت ألفة شديدة بيني وبين العاملين معى الذين أعتقد أنهم أصبحوا يكنون لي كل الاحترام بعد أن أصبحت مواعيدي سليمة وبعد أن أصبحت أراعي شعورهم قبل أى شىء أخر.

وهذه الألفة حدثت أيضا مع الاستوديوهات نفسها التى كان يتم فيها تصوير أفلامى خصوصا استوديو جلال الذى كنت أشعر وأنا جالسة وسط ديكوراته بأنى جالسة داخل بيتى.

وقد يكون سبب هذا الشعور هو المنتجة مارى كويني زوجة الفنان الكبير أحمد جلال.. كانت تقيم مع زوجها فى الطابق العلوي من الاستوديو.

وكنا نحن نعمل فى الطابق السفلي.. وأذكر أنه كلما كان يحين موعد الغداء وبعد أن انتهى من التمثيل.. كانت مارى كويني تدعونا لتناول الغداء معها.. وأحيانا كانت تدعونا لتناول الغداء والعشاء.. ولقد مثلت أمام ماري كويني فى فيلم "الزوجة السابعة" قبل أن تترك التمثيل لتتفرغ للإنتاج السينمائي.

أن للشقيقتين آسيا وماري كويني دورا كبيرا فى تطوير صناعة السينما المصرية.. وكان لهما أيضا دور خاص فى تشجيعي ومساندتي فى بداية حياتى الفنية.

وكان يحدث أحيانا أن ترشحني كل منهما لأداء دور فى أحد أفلامها.. ولم تكن الأخرى تشعر بالضيق لأن عملي مع فيلم شقيقتها سيؤثر أو يعطل فيلمها. بل كان هناك نوع من التعاون الرائع بينهما أسعدنى وأراحني جدا.. فكانت آسيا تطلب أختها فى التليفون تسألها "إنتى حتبعتيها الساعة كام؟".. و"عايزاها تانى امتى؟".. لذلك لم يحدث أبدا اضطراب أو ارتباك بسبب عملي فى فيلمين فى وقت واحد.. والسبب هو تعاون وتفاهم الأختين المنتجتين آسيا وماري كويني اللتين لعبتا دورا كبيرا فى حياتي.

دويتو فوزي وشادية

كانت ليلى مراد تكون مع أنور وجدي ثنائيا فنيا ناجحا.. فإسم أنور وجدي مع ليلى مراد فوق إعلانات أى فيلم جديد دليل مؤكد على نجاح هذا الفيلم.. وكنت أحلم بتكوين مثل هذا الثنائي.

لقد حرصت على ذلك مع محمد فوزي فقدمنا معا أكثر من فيلم ناجح.. لكن ذلك لم يستمر طويلا. لكن هذه الرغبة تحققت مع ظهور كمال الشناوي.. وأصبحنا معا ذلك "الدويتو" الفنى الناجح وقدمنا معا سلسلة من الأفلام الغنائية الناجحة.

فبعد ليلى مراد لم تكن هناك الممثلة التى تغنى.. فقد كان الدوبلاج هو الذى يلعب الدور الأكبر فى مثل هذه الأفلام الغنائية.. ويكفى أن تحرك اللمثلة شفتيها لتتصنع الغناء.. وليصاحبها صوت مطربة أخرى.. لتصبح بعد ذلك ممثلة ومطربة .لذلك كانت الفرصة أمامي سهلة لأنى أجيد التمثيل مع الغناء.. وقدمت مع كمال الشناوي مجموعة من الأفلام المرحة الخفيفة "ليلة الحنة" و"فى الهوا سوا" و"أرحم حبى" و"عش الغرام" و"وداع فى الفجر."

وانتشرت الأغاني التى قدمتها مع كمال الشناوى خصوصا "سوق على مهلك" و"خمسة فى ستة" و"واحد اتنين". وارتبط اسمى بكمال الشناوى.. وارتبط اسم كمال الشناوى بى.. لدرجة أن الناس كانوا كلما شاهدوني وحدي يسألونى: أين

كمال الشناوى؟ وكانوا كلما شاهدوه وحده يسألونه: أين شادية؟

وفى هذا الوقت أطلقوا على لأول مرة كلمة "البطلة" وأطلقوا على كمال الشناوى اسم "البطل" ولم يكن كمال الشناوى بالنسبة لي مجرد زميل.. بل كان كذلك الصديق الذى كنت أسعد بتوجيهاته المخلصة لي.. لم يكن بيننا أي حواجز.. وكان يهمه جدا نجاحي كممثلة.. وهذا ما جعلني أقترب منه أكثر.

وبعد خمس سنوات كاملة من الارتباط الفنى.. وبعد أن قدمنا عددا من الأفلام الناجحة.. بدأنا نشعر بأننا سنكرر أنفسنا لو ظللنا نقدم نفس هذا النوع من الأفلام المرحة الخفيفة.. ونفس الأدوار التى قدمناها فى أكثر من فيلم.

وبدأ هو يشعر بأنه لابد أن يغير نفسه وأن يبحث عن أدوار أخرى.. وبدأت أشعر بأنه لابد لي من تغيير نفسى ومن البحث عن أدوار أخرى لم أقدمها من قبل على الشاشة. لذلك قررنا الانفصال فنيا فقط من أجل أن يجد كل منا نفسه بصورة أحسن على الشاشة.

ورغم الانفصال.. إلا أننا التقينا مرة أخرى على الشاشة.. ولكن فى نوع أخر من الأفلام والأدوار تختلف عن أفلامنا وأدوارنا السابقة المرحة الخفيفة.. التقينا بعد سنوات من الانفصال فى فيلم "وداع فى الفجر" ثم التقينا بعد ذلك فى فيلم "المرأة المجهولة" وظهرت أنا عجوزا فى الفيلم فى السبعين من عمرها.. وظهر هو أيضا كإنسان بلطجي شرير قضى معظم عمره داخل السجون.. دوران يختلفان عن كل أدوارنا السابقة.. وكانت قمة نجاحنا نحن الاثنين فى ذلك المشهد الذى لا أنساه عندما طعنته فى فيلم "المرأة المجهولة" بفوهة زجاجة مكسورة حتى سقط قتيلا أمامي.

بل إن كمال الشناوى يريدني أن أعمل معه فى فيلم جديد يحكى قصة حياتنا.. حياة ممثلة وممثل كانا يعملان معا أمام الكاميرا.. وسارا معا فى طريق النجاح والحياة خطوة خطوة.. حتى تزوجا فابعدهما الزواج وفرق بينهما.. وأصبح كل منهما يعمل وحده بعيدا عن الأخر.. ثم شاءت الصدفة أن يلتقيا مرة

أخرى ولكن وسط ظروف جديدة مختلفة عن ظروف العمل فى أفلامهما القديمة.

لكن هذا الفيلم يحتاج إلى كاتب سيناريو جيد أولا.. ولو حدث ذلك فسنبدأ فورا فى تصوير وتمثيل هذا الفيلم الذى سأؤدي فيه دور البطولة مرة أخرى أمام كمال الشناوى.

لقد ظهرنا معا فى أفلام المراهقة.. ومن الطبيعي أن نظهر معا مرة أخرى على الشاشة لنمثل مرحلة النضج فى حياتنا. إن هذا الارتباط الفنى الطويل بينى وبين كمال الشناوي.. صور للكثيرين قصصا وحكايات عن أصل هذه العلاقة الإنسانية والفنية.. لقد كانت علاقة حب الفن.. ونجاح وكفاح مشترك.. علاقة تفاهم ودور عميق.. وكانت أيضا علاقة أسرية.. فقد لا يعرف الكثيرون أن كمال الشناوي الذى ارتبطت به سنوات طويلة على الشاشة كان زوج أختي عفاف!

الحلقة التاسعة:

وجاء اليوم الذى تركنا فيه حى عابدين.. هذا الحى الذى ماتزال ذكرياته تملأ عقلى.. يوم أن وقفت لأغنى فى حفل زواج جارنا (غلبت أصالح فى روحى) لأرى فى أحلامى وسط المدعوين.. الشاب الأسمر صاحب العينين السوداوين.

وأذكر أيضاً أول خطاب منه.. ويوم أن جاء ليلتقى بوالدى ليطلب يدى.. ويوم أن ودعته الوداع الأخير.. ويوم أن تلقيت خبر استشهاده فى حرب عام 1948.

ذكريات ارتبطت فى عقلى بحى عابدين الذى أستعد الأن لتركه وهجره.. وإذا كانت إنشاص قد شهدت أيام وسنوات الطفولة الأولى.. وإذا كان شارع طوسون قد شهد أيام وذكريات الصبا.. فإن حى عابدين قد ارتبط فى ذاكرتى بمرحلة المراهقة وبداية النجاح.. ولكنى مضطرة لترك هذا الحى العزيز.

فقد كان لابد أن نبحث عن مسكن أخر أكبر.. فحياتى بدأ يطرأ عليها شىء من التغيير.. أصبحت ممثلة ومطربة معروفة..

وبطلة لكثير من الأفلام الناجحة.. وكانت الخطوة التالية أن نجد مسكناً أخر يلائم حياة (البطلة).. واستقر رأينا على الإقامة فى الزمالك.. من إنشاص إلى شارع طوسون فى شبرا إلى عابدين إلى الزمالك.

رحلة طويلة وذكريات لا تنسى ليست كلها سعيدة.. بل اختلط فيها الأحزان مع السعادة.. ومرارة الفشل مع حلاوة النجاح.

وبدأنا نستعد للانتقال إلى الزمالك.. وانشغلنا جداً بأخبار المزادات.. كنا نذهب إلى أى مزاد نسمع أو نقرأ عنه.. واستطعنا أن نملأ هذه الشقة الجديدة بأثاث جديد جمعناه واشتريناه من فرص المزادات.. وبدأت أحاول أن أذوب فى ذلك الحى الجديد.. لكن ذكريات عابدين لم تكن تبرح ذاكرتى أبداً.

وكان لابد أن أحاول إقناع نفسى بأنى سعيدة بهذه الحياة الجديدة.. ومع مرور الأيام بدأت فعلاً أحب حى الزمالك.. لقد كانت مرحلة جديدة وهامة فى حياتى.. ليس فقط بسبب انتقالى إلى حى أرقى وأحسن.. لكن أيضاً بسبب انتقالى من الأفلام الخفيفة إلى الأفلام والأدوار الصعبة المعقدة.

فبعد انفصالى الفنى عن كمال الشناوى حاولت أن أجد نفسى فى أدوار تختلف عن الدور الذى نجحت فى تقديمه فى أكثر من فيلم.. دول البنت الشقية (الدلوعة).

وبدأت أجد هذه الأدوار الجديدة مع بداية إقامتى فى حى الزمالك.. فكان انتقالاً فنياً ومكانياً فى نفس الوقت.

وأذكر أن نجاة كانت جارتى حيق أقامت فترة فى بنسيون وكنا نلتقى أحياناً فى الشارع عندما أخرج لشراء لوازم واحتياجات المنزل.. ولم تكن نجاة هى الفنانة الوحيدة التى تعرفت عليها فى ذلك الوقت بل تعرفت أيضاً على فاتن حمامة.

ذكريات مع فاتن

كانت فاتن حمامة ممثلة كبيرة فى ذلك الحين.. أما أنا فكنت أقدم أفلامى الأولى.. لم يكن قد مضى على اشتغالى بالسينما سوى أربع سنوات فقط.. أما هى فقد كانت فى قمة نجاحها.

ولا اذكر الأن اسم أول فيلم التقينا فيه لأول مرة.. وإن كنت أذكر أنه كان من إنتاج ماري كويني.

ولم أكن أشعر أبداً بالخوف من فاتن حمامة مثل الأخريات ولم أكن أخشى الظهور معها فى فيلم واحد رغم كل هذه الشهرة التى حققتها.. فاللون الذى أقدمه يختلف عن اللون الذى تقدمه هى.. والأدوار التى تناسبنى بعيدة عن الأدوار التى تناسبها.. أنا مطربة وعندى موهبة التمثيل وهى ممثلة كبيرة.. لذلك لم أشعر بالخطر أو الخوف منها.

وكانت فاتن متزوجة فى ذلك الوقت من المخرج عزالدين ذوالفقار بل وكانت قد أنجبت أبنتها نادية.

وأستطيع القول أن أحسن الأفلام التى استمتعت فيها بالتمثيل هى التى اشتركت مع فاتن حمامة فى تمثيلها.. أنها منافسة رائعة جداً.. لأنها كممثلة كبيرة تدفع من يقف أمامها للإجادة وبذل المجهود الكبير.. ولا أنكر مشاعر الغيرة التى كانت تملأ قلبينا.. لأنها كانت غيرة التنافس الفنى وليست غيرة الكره والحقد.. لدرجة أنى كنت حينما أؤدى مشهداً جيداً أضحك لأغيظها.. فتقول لى (طيب.. طولى بالك.. وشوفى المشهد اللى جاى).

لم تكن عندنا أية عقد نفسية.. وكان الوقت يضيع فى الحديث عن العمل.. تحدثنى هى عن دورها وأحدثها أنا عن دورى.. مناقشات كانت دائماً فى صالح الفيلم نفسه.. وظهرنا معاً فى أربعة أفلام.. الفيلم الأول الذى نسيت اسمه وفيلم (اشكى لمين) وفيلم (موعد مع الحياة) الذى كان أول إنتاج لفاتن حمامة.. ثم فيلم (المعجزة).

أننى لا أستطيع أن أمنع نفسى من الضحك كلما تذكرت فيلم (أشكى لمين).. كان المفروض أن أغنى (كسفتينى يا سنارة) وأنا اصطاد السمك بينها يظهر عماد حمدى وفاتن على الشاطىء الأخر وهما مندمجان فى موقف غرامى.. فكان حسن الصيفى مساعداً للمخرج فى ذلك الوقت.. وهو الذى اقترح أن اصطاد (حذاء قديماً) بدلاً من السمك.. وهى إضافة من عنده لم تكن موجودة فى السيناريو.. وفعلاً انتشلت السنارة التى اصطادت حذاء وليست سمكة.. وكان موقفاً

ضاحكاً جداً لدرجة أن حسن الصيفى سقط فى الماء من كثرة استغراقه فى الضحك.

وإذا كان هذا الفيلم قد ترك لى هذه الذكرى الضاحكة.. فإن الفيلم الأخر (موعد مع الحياة) الذى اشتركت أيضاً مع فاتن فى بطولته.. فقد ترك لى ذكرى مؤلمة وليست سعيدة.

كانت شخصية فاتن فى الفيلم تحتم أن تظهر مريضة بالقلب.. وكان المفروض أن أغنى أنا أغنية (ليالى العمر معدودة) تعبيراً عن هذا الموقف.. لكن هذه الأغنية الحزينة ولدت وسط ظروف صعبة جداً.. كان الملحن محمود الشريف هو المرشح لتلحينها.. لكنه كان يمر فى ذلك الوقت بمحنة نفسية.. فزوجته مريضة بالسرطان ولا أمل فى شفائها.. وكانت أيام عمرها معدودة فعلاً.. بينما زوجها الملحن محمود الشريف جالس بجانبها ولا يستطيع أن يبتعد عنها وهى تودع الحياة.

وذهبت مع فتحى قورة لنزور زوجة الملحن محمود الشريف.. وأنفعل فتحى قورة بهذا الموقف الحزين.. وفى اليوم التالى عاد إلى بيت محمود الشريف حاملاً معه كلمات الأغنية الحزينة..

ليالى العمر معدودة

وليه نبكى على الدنيا

وكانت هذه الكلمات تصويراً لحالة محمود الشريف النفسية وتعبيراً عن قلقه وأحزانه وهو يرى زوجته فى هذا الموقف المؤلم.

وأخذ الملحن محمود الشريف الكلمات من فتحى قورة.. وحمل عوده ودخل غرفته وأغلق عليه بابها وأخذ يبكى بكاء مريراً.. وجلسنا فى الخارج ننتظره.. وبعد ساعتين خرج ومعه اللحن.

ولقد عشت هذا الموقف الحزين لحظة بلحظة.. لكنى كتمت دموعى فى قلبى.. وغنيت (ليالى العمر معدودة) بإحساس صادق عميق.

أما فيلم (المعجزة) فقد كان أخر لقاء فنى مع فاتن حمامة على الشاشة.. وبعد أن علمت باختيارى للدور قلت لفاتن (أنا مشغولة يا فاتن بفيلم أخر.. وأنا أثق فيك جداً.. وأرجو أن تقرأى الدور الذى سأمثله وأن تهتمى به.. وكأنه دورك بالضبط.. وإذا كانت فيه أية عيوب فنية فأرجوك أن تقوليها للمخرج ولكاتب السيناريو حتى يمكن تلافيها.. إننى معتمدة عليك يا فاتن.. فليس لدى وقت الأن لمراجعة الدور.. ولكننى واثقة فيك).

إن الثقة متبادلة بيننا.. وقبل التصوير كنا نشترك فى بيتها فى مناقشات فنية طويلة عن العمل.

والحقيقة أن فاتن نفذت كل ما طلبته منها.. اهتمت بالدور اثناء كتابته وراجعته وناقشت مزاياه وعيوبه مع المخرج وكاتب السيناريو.. ولم أشعر أنى كنت بعيدة.. بل إن اهتمامها بدورى كان يفوق اهتمامى أنا به.. اعتبرته دورها هى واعطته نفس الاهتمام الذى توليه لأدوارها.. ولذلك جاء الدور جيداً وملائماً لى.. بل إنى أعتبره من أنجح أدوارى بسبب اهتمام فاتن به أثناء الكتابة وأثناء غيابى وانشغالى بدور أخر فى فيلم أخر.

ملحوظة: اسم أول فيلم اشتركت فيه شادية مع فاتن حمامة هو (ظلمونى الناس) بطولة شادية وفاتن حمامة وكمال الشناوى.

الحلقة العاشرة:

وأثناء تصوير الفيلم كنا نقيم معاً فى غرفة واحدة داخل استوديو نحاس.. وطبعاً هذا لا يحدث أبداً هذه الأيام.. فمن النادر أن تجد فناناً يقيم مع زميل له فى نفس الغرفة ولكن حب العمل المشترك هو الذى جمعنا وجلسنا نشاهد كل مشهد بالتفصيل قبل بدء التصوير.. لأن نجاح الفيلم لن يكون فقط نجاحاً لفاتن أو نجاحاً خاصاً بى أنا.. بل كان نجاحاً مشتركاً للجميع.

وأذكر أن المخرج حسن الإمام ذلك الإنسان خفيف الظل كان كعادته دائماً يريد أن يسيطر على العاملين معه من أجل المحافظة على مستوى العمل الفنى.. لكنه كان يفاجأ فى كل مرة بأننى متفقة جداً مع فاتن.. وبأن فاتن متفقة جداً معى على كل مشهد فيصرخ ضاحكاً (انتوا جايبين لي ريا وسكينة علشان يشتغلوا معايا).

وكان فيلم (المعجزة) هو أول فيلم أظهر فيه بدون غناء.. لم أقدم فيه أغنية واحدة وأديت دول النشالة.. وكان دوراً جديداً بالنسبة لى.. فأنا أحب الأدوار الصعبة ولا أحب أن أؤدى الأدوار العادية.. وظللت أتمرن لفترة طويلة على طرق النشل حتى أجدتها.

وأصبحت يدى (خفيفة جداً) لدرجة أنى نشلت عبده نصر مصور الفيلم فى أول يوم بدأنا فيه التصوير.

كان المشهد الذى نصوره فى حديقة الأسماك.. ومددت يدى إلى جيب عبده نصر وسرقت حافظته دون أن يشعر.. ثم أعدتها له.. لكنه أطلق على اسم (حرامية المحفظة).

وعمر الشريف..

أما عمر الشريف فقد كان أول فيلم مثلته معه (غلطة حبيبى) وأذكر انه كان خائفاً جداً.. ولاحظت أن يديه ترتعشان.. أما وجهه فكان يتصبب عرقاً بصورة تثير الإشفاق عليه.. ورغم ارتباكه وخوفه إلا انه كان حريصاً جداً على دوره.. يراجع السيناريو أكثر من مرة.. ويناقش دوره ويبذل مجهوداً كبيراً فى حفظ الحوار.. لاحظت إخلاص عمر الشريف وحبه لعمله.. كان شيئاً جديداً بالنسبة لى أن أرى ممثلاً خائفاً بهذه الصورة.. لكنه كان يتحايل على المخرج لكى يقنعه بأن يعيد تصوير المشهد مرة أخرى لانه لم يكن راضياً عن أدائه. وكان يحرص على إجادة تمثيل المشهد قبل بدء التصوير.

أما (لوعة الحب) فقد كان ثانى فيلم أمثله مع عمر الشريف.. وكان عمر قد تزوج من فاتن ولاحظت فى الفيلم الثانى مدى تطوره وتقدمه جداً فى عمله.

عبد الحليم.. ومعبودة الجماهير

نفس الشىء حدث مع عبد الحليم حافظ.. فقد كان لقاؤنا الأول فى فيلم (لحن الوفاء).. ثم التقينا مرة أخرى في فيلم (دليلة) الذى أخرجه شيخ المخرجين محمد كريم.. وكان معروفاً عنه حرصه الشديد على المواعيد.. وأنا أحرص دائماً على الحضور فى مواعيدى المحددة.. أما عبد الحليم فكان يحضر متأخراً.. وهذا التصرف كان يضايق محمد كريم جداً.. لكن عبد الحليم يقول ضاحكاً (شادية لسه بتعمل رموش عينيها).. واغضبنى هذا الرد ونزلت لأقول فى عصبية شديدة (ايه ده يا أستاذ أنا هنا بقالى ساعتين فى انتظارك).

ويضحك الجميع.. ويبتسم عبد الحليم.. فعبد الحليم معروف عنه مداعباته الطريفة.

وفى هذه الفترة ظهرت أفلام عبد الحليم التى تقدم لوناً جديداً من الغناء يختلف عن الأغانى المنتشرة فى ذلك الوقت.. وغنينا معاً أغانى مشتركة ناجحة.

وقد كان لفيلم (معبودة الجماهير) ظروفه الخاصة.. فقد حدث أن أصبح عبد الحليم يسافر إلى الخارج لفترات طويلة بهدف العلاج.. وصورنا فى البداية جزءاً من الفيلم استغرق عشرة أيام.. ثم سافر عبد الحليم على أثر نزيف مفاجىء.. وتوقف العمل فى الفيلم حتى عاد عبد الحليم.. لكنه سافر من جديد من أجل العلاج.. واستمر تصوير الفيلم لفترات طويلة منتظمة.

وبعد ثلاث سنوات انتهى تصوير الفيلم الذى يعتبر أطول فيلم من ناحية إجراءات التصوير.

وعبد الحليم منذ أن رأيته وعرفته يعتبر صديقاً حميماً.. انه دائماً يسأل عنى وعن أمى.. انه يحب أمى جداً وهى تبادله نفس الشعور.. انه انسان مخلص لاصدقائه وكاذب من يقول انه إنسان خبيث وماكر.. بالعكس انه إنسان ذكى ووفى جداً لأصدقائه.. لكن البعض يخلطون دائماً بين الذكاء والخبث.

وعندما أتذكر عبد الحليم.. أتذكر معه حفلات (أضواء المدينة) التى كان يقدمها جلال معوض الذى لن (يعوض) أبداً.. كانت (أضواء المدينة) عبارة عن مهرجانات فنية متواصلة وليست مجرد حفلات غنائية عادية.. وليست مثل

حفلات هذه الأيام.. اننى لا أؤمن بحفلات الفنان والنجم الواحد الأوحد.. كنا نسافر مجاميع فى الطائرات إلى البلاد العربية.. إلى سوريا والسودان ولبنان وحلب وبقية البلاد الأخرى.

وفى السودان غنت أغنية باللهجة السودانية لحنها منير مراد فى يوم واحد (يا حبيبى عد لى تانى).

وشعب السودان شعب مهذب وطيب.. كنا نترك الفندق ونسير فى الشوارع وكأننا نتحرك ونسير وسط أهلنا فى القاهرة.. وكان السودانيين يطلقون على اسم (شدوية).

أحب الوشوشة

كان فيلم (ليلة من عمرى) مرحلة فنية جديدة فى حياتى.. لم أقدم فيه سوى أغنية واحدة (أحب الوشوشة) التى أحدثت ضجة فى ذلك الوقت.. فبعد أغانى مثل (دبلة الخطوبة) و (واحد اتنين) بدأت أهتم بتقديم الأغنيات التى تحكى مواقف إنسانية. وكانت أغنية (أحب الوشوشة) تحكى فى الفيلم موقف الحب بينى وبين عماد حمدى.

وكانت فكرة الأغنية جديدة اسعدتنى جداً.. لكن للأسف أن الإذاعة رفضت إذاعتها بعد انتشارها على الرغم من انها بعيدة عن الخلاعة وبالرغم من أنها كانت ناجحة جداً.

ومن المفارقات الطريفة أن مجرج الفيلم رفض فى البداية هذه الأغنية وقال ايه الكلام الفارغ ده ولكنى صممت على تقديمها لاقتناعى الشديد بها.

وغنيت الأغنية التى كانت من بين أسباب نجاح ليلة من عمرى وأذكر أن الجماهير التى شاهدت الفيلم خرجت تردد اللحن بل وأقبل الناس على الفيلم لسماع هذا اللون الجديد من التلحين وكنت مشتاقة لمعرفة رأى الناس الذين التفوا حولى يهتفون: عاوزين أحب الوشوشة.. وبعد أيام كانت جميع محطات الإذاعة تذيع هذه الأغنية لجميع المستمعين الذين طلبوها.

ولكن للأسف جاءت لجنة من اللجان التى تشكل من وقت لأخر ومنعت إذاعة أغنية أحب الوشوشة التى كانت من الأغانى التى لها الفضل لتحقيق شهرتى كمطربة.

لقاء فى قطار الرحمة

فى أحد أيام عام 1952.. اتفقت مجموعة من الفنانين والفنانات كنت أنا من بينهم على الاشتراك فى ذلك المشروع الانسانى الذى كان معروفا باسم قطار الرحمة) والذى كانت أهدافه إنسانية كبيرة والتقينا جميعاً داخل قطار الرحمة الذى تحرك بنا متجهاً إلى أقصى الصعيد.. إلى أسوان لكى نساهم نحن الفنانين فى جمع التبرعات من المواطنين.. وخصصت كابينة لكل منا ينام ويبدل ملابسه بداخلها وكانت أمى فى هذه الرحلة.. وماجدة أيضاً جاءت معها أمها.. وفاتن وزوجها.. ومحمد فوزى وهدى سلطان وشكرى سرحان وعماد حمدى وأحلام وزوجها وجلال البندارى وغيرهم كثيرون.

تحرك بنا القطار فى الليل وفى ظهر اليوم التالى وصلنا إلى أسوان.. ومع رحلة العودة بدأنا ننزل إلى كل قرية وكل بلد لجمع التبرعات حيث كنا نجد السرادقات فى انتظارنا المليئة بمظاهر كرم الصعايدة الزائد.. وبعد أن ننتهى من جمع التبرعات نعود إلى القطار الذى ينتهى بنا إلى بلدان أخرى.. وهكذا.. وكان المفروض أن نغنى فى كل بلد من داخل القطار.. والحقيقة أننى بدأت أشعر بالتعب والإجهاد.. واقترح الفنان محمد فوزى –رحمة الله عليه– أن نذيع الأغانى المسجلة بشرط أن أحرك شفتى.. فوجئت بل فوجئنا جميعاً بالتوقف المفاجىء لجهاز التسجيل الذى يذيع الأغانى التى أتظاهر بأننى أقدمها.. وكان موقفاً صعباً لا أنساه واضطر محمد فوزى إلى إغلاق نافذة القطار إنقاذاً للموقف بحجة منع تسرب الغبار.

لكنها كانت أياماً رائعة.. لم نكن ننام إلا ساعات قليلة جداً.. ومضينا بقطار الرحمة ستة عشر يوماً كانت مليئة بالنشاط والتعب.. لكنه الإرهاق من أجل عمل إنسانى كان لى شرف القيام به.

وبعد ضجيج القطار.. وبعد رحلة طويلة.. عدت إلى بيتى لأفكر من جديد فى قطار الرحمة الذى لولاه ما تزوجت عماد حمدى.. فبداية علاقتى بعماد حمدى بدأت داخل هذا القطار.. قطار الرحمة.. لكن هذه قصة أخرى!

إلى اللقاء فى الحلقة الحادية عشر

ملحوظة: أغنية "يا حبيبى عُد لى تانى" ألحان سودانية لكن اللهجة بالمصرية العامية وليست لهجة سودانية.

الحلقة الحادية عشر:

قبلة الوداع أشهر قبلة فى حياتى !

أخيراً وصل قطار الرحلة إلى القاهرة.. بعد رحلة طويلة مرهقة فى مدن وبلاد الوجه القبلى.. ساهمت فيها مع بقية زميلاتى وزملائى من الفنانين والفنانات فى جمع تبرعات للاجئين العرب فى غزة.

كنت مرهقة بعد الغناء الطويل وساعات النوم القليلة.. وبدأت استعد مع أمى للنزول من قطار الرحمة.

ورأيت عماد حمدى يتقدم منى وعلى وجهه نفس الابتسامة التى كنت أراها دائماً على وجهه طوال فترة الرحلة.. وفى عينيه نفس البريق العجيب الذى كان يلمع بشدة كلما اقترب منى أو كلما أصبح فجأة معى وحدى.

وبعد أن تركنا القطار.. وبالقرب من باب الحديد محطة مصر مد يده وصافحنى.. وضغط على يدى.. ورأيت فى عينيه نفس البريق الذى حيرنى.. ضغط على يدى بقوة وهو يودعنى وسط الزحام.

وعدت إلى البيت وأنا أفكر فى ذلك الذى حدث فى قطار الرحمة.. ذلك البريق العجيب فى عينيه كلما رأنى.. وتلك الابتسامة السعيدة كلما تقدم نحوى.. وذلك الحنان فى كلماته كلما تحدث معى.. كان واضحاً أنه يعاملنى معاملة خاصة تختلف عن معاملته لبقية زملائه وزميلاته من الفنانين والفنانات الذين اشتركوا معنا فى رحلة قطار الرحمة.. وكان يشعر بالضيق إذا وجدنى مرهقة من كثرة الغناء والحركة فى كل البلاد التى جمعنا منها التبرعات.. وهذا الضيق كنت أشعر به فى كلماته الحانية "لابد أن تتعبى وانت تجمعين هذه التبرعات.. ولكن ليس إلى هذا الحد.. اهتمى بصحتك.. حاولى أن تنامى بالقدر الكافى."

لم يحدث بيننا أكثر من ذلك.. لكن كان هناك شىء ما يجذبنا.. شىء لم نتصارح به ولم نجرؤ حتى على الإشارة إليه.. هل هذا هو الحب؟

ولم أنس يده وهى تضغط بقوة على يدى وهو يودعنى فى محطة الوصول.. هل هذا هو الحب؟

أذكر أنى كنت أتأمله كثيراً وهو يقف خطيباً أمام الناس بقامته المشدودة وجسده الفارع وصوته الوقور.. وشخصيته الرزينة.. أتطلع إليه وكأنى أراه للمرة الأولى.. وقد لاحظ هو أكثر من مرة أنى أطيل النظر إليه.. وكنت أنا أيضاً ألاحظ أن عماد حمدى يطيل النظر عندما أقف لأغنى أمام الناس أو عندما أتقدم لجمع التبرعات.. عيناه تحملقان فى وجهى باستمرار وكأنه يرانى للمرة الأولى.

إن قطار الرحمة وحد مشاعرنا وقرب كل منا إلى الأخر أليس الحب نوعاً من الرحمة؟

إنه قطار الحب.. قطار الرحمة.. ذلك الذى التقينا وتعارفنا فيه.. وظلت ليالى طويلة أفكر فى هذا الذى حدث داخله.

الذين يتحدثون بلا رحمة

ومرت أيام.. ووجدته فجأة أمامى.. وعلى وجهه ابتسامة سعيدة.. نفس الابتسامة التى كانت تغمر وجهه كلما رأنى.. ولم يقدر عماد على اخفاء مشاعره وأنا أدخل الاستوديو.. وكأنه عثر على كنز ثمين.. وقفز قلبى فرحاً بين ضلوعى وهو يقول لى:

"أنا قررت حاجة يا شادية"

"قررت ايه يا عماد؟"

"بس ما أعرفش انتى هتوافقى ولا لأ؟"

ثم صمت محرجاً.. وصمت أنا أيضاً من شدة الإحراج.. لم يقل عماد أكثر من ذلك.. لكننى فهمت ما يريد أن يقوله.. وهو أيضاً فهم أنى فهمت ما يعنيه.. ورأيت على وجهه شعور بالارتياح.. لقد قرأ فى عينى الموافقة والقبول والإجابة على سؤاله الذى لم يفصح عنه.

ويضطر عماد حمدى للسفر إلى الإسكندرية لارتباطه بالعمل فى أفلام يجرى تصويرها هناك.

وأرسلت له خطاباً.. ثم خطابين.. اسأل فيها عن حالته الصحية والنفسية.. هل انت سعيد؟ كيف تقضى أوقاتك فى الإسكندرية بعيداً عن العمل؟ لا ترهق نفسك كثيراً فى العمل..

نفس النصيحة التى وجهها لى فى قطار الرحمة أوجهها له أنا الأن.

لقد بدأت أشعر بالارتياح نحوه.. وهو أيضاً يبادلنى نفس هذا الشعور بالارتياح.. خصوصاً بعد أن بدأ يحدثنى بصراحة عن ظروفه العائلية وبعد أن بدأت أحدثه عن حياتى وظروفى العائلية.. ولم أعد أشعر بالخوف وأنا أتحدث إليه.. لكن الخوف من الناس هو الذى بدأ يقلقنى ويزعجنى.

بدأت الأقاويل تنشر عن قطار الحب.. قطار الرحمة.. حكايات خيالية عن علاقتى بعماد حمدى داخل قطار الرحمة يحكونها بلا رحمة.

وحتى الحكايات الحقيقية التى حدثت لا يحكونها كما وقعت بل يضيفون عليها ويبالغون فيها بطريقة تثير الغيظ.

اختفت الرحمة من قلوب الذين يتحدثون عن قطار الرحمة.. أشياء لا يجب أن تحكى أو تقال.

ولم تعد قصة تعارفنا ملكنا.. بل أصبحت ملكاً ومشاعاً لكل الناس الذين يحبون الإساءة للأخرين.

تهديد بنشر الرسائل!

وكان لابد أن يأتى ذلك اليوم الذى أخشاه وأخافه.. اليوم الذى تقع فيه رسائلنا العاطفية المتبادلة بيننا فى أيدى من لا يرحمون.. لماذا يشعر بعض الناس بالضيق إذا ما سمعوا عن قصة تفاهم وحب بين إنسانين.. فلا يشعرون بالراحة ولا يغمض لهم جفن إلا إذا دمروا هذه العلاقة.. لماذا يكرهون الحب؟

لماذا يتعمدون الإساءة إلى المحبين؟

إن الحب من حق كل إنسان.. المهم ألا يسىء إلى الأخرين.. ومادام حبه ليس فيه اساءة لمن حوله.. فلماذا يقذفونه بهذه الأحجار.. بهذه الكلمات القاسية التى تحطم كل أمالهم فى الحياة.

هؤلاء الذين لا يرحمون بدأوا يهددون بنشر خطاباتنا المتبادلة على صفحات المجلات والصحف اليومية.. إنهم يريدون أن يحولوا قصتنا إلى فضيحة يلذ لهم أن يحكوها ويتحدثوا عنها.

وكان الزواج هو الحل!

وكان لابد أن نتحرك بسرعة حماية لسمعتنا وكرامتنا.. لابد أن ندافع عن هذه العلاقة التى تضايق بعض الحاقدين.. ولذلك قررنا أن نضع نهاية سعيدة وسريعة لها.

وكان قرار الزواج هو الحل السريع السعيد لهذه القصة التى ولدت فى قطار الحب.

قطار الرحمة.. قطار الزواج

حلم يراودنى

هذه النهاية السعيدة كنت أعيشها فقط على الشاشة.. فمعظم أدوارى كانت أدوار الفتاة التى تحب.. جوليت التى تحب روميو.. وعبلة التى تحب عنتر.. الفتاة الباحثة عن الحب والزواج.

فى نهاية كل فيلم كنت ارتدى ملابس الزفاف أمام الكاميرات فقط.. وأشعر بالأسى عندما اضطر لخلعها بعد انتهاء التصوير.

وأحلم بذلك اليوم الذى سأرتدى فيه ملابس الزفاف.. وأجلس فيه وسط الكوشة والمدعوين بدون تمثيل وكاميرات وبدون أن يقولوا كلاكيت أول أو أخر مرة.

كنت أريد أن أعيش هذا الموقف بدون تمثيل.

أنه حلم قديم كان يراودنى وأنا طفلة صغيرة ثم وأنا فتاة مراهقة.. كنت دائماً أتصور نفسى وأنا جالسة فى الكوشة إلى جانب خطيبى الضابط.. وأتخيل أننا نعيش فى فيلا حولها حديقة واسعة وأحلم أكثر وأتصور نفسى وأنا أسير وسط الحديقة وأشجارها الخضراء وزهورها الحمراء بملابس الزفاف وفوق رأسى الطرحة البيضاء.. وأتمادى أكثر فى الأحلام وأسمع الموسيقى العسكرية وهى تصدح من حولى بينما سيوف الفرسان ممدودة ومتلاقية فوق رأسينا وأنا أسير تحتها أنا وعريسى ووسط الزغاريد والورود التى تتساقط فوقنا.

وأذكر دائماً موقفاً طريفاً يذكرنى دائماً بذلك الحلم الذى كنت أحب أن أعيشه.. كنت اشترك فى بطولة فيلم من إنتاج منير مراد.. وكان مصوره الحاج وحيد فريد.. أننى لا اذكر اسم

الفيلم.. لكننى أذكر أنى ارتديت ملابس الزفاف فقد كان من المتفق عليه أن يصور فى ذلك اليوم حفل زفافى على الشاشة طبعاً لبطل الفيلم.. وارتديت ملابس الزفاف.. وجلست انتظر بدء التصوير الذى تأخر بسبب انشعالهم باعداد المكان الذى سيتم فيه تصوير حفل الزفاف.. ومرت ساعتان دون أن يبدأ التصوير.. وأحسست بالجوع الشديد.. فقد نسيت أن أتناول أى طعام بسبب انشغالى بالعمل فى فيلمين فى وقت واحد.. وكدت أبكى من شدة الجوع.. وقلت لوحيد فريد..

"لماذا لم تتركنى انتهى من تصوير دورى فى الفيلم الأخر.. إذا كنتم غير مستعدين.. أننى أجلس هنا أكثر من ساعتين بدون تصوير.. ثم أنى بدأت أشعر بالجوع الشديد."

وضحك وحيد فريد.. وأخذنى إلى سيارته المكشوفة التى ركبها معنا منير مراد وبعض العاملين فى الفيلم.. وتحركت بنا السيارة نحو ميدان التحرير وأمام مطعم متخصص فى عمل الفول والطعمية توقفت بنا.. والتفت حولنا الناس وهم يضحكون ويشيرون إلى هذه العروس التى ترتدى ملابس الزفاف.. والتى دعاها عريسها فى يوم زواجها إلى تناول الفول والطعمية.. وإذا كانت ستأكل الفول والطعمية فى أول أيام زواجها فماذا ستفعل بعد ذلك؟

ولم ينتبه الناس إلى أنى ممثلة ترتدى ملابس الزفاف من أجل التصوير والتمثيل فقط.. وراحوا يسخرون من هذا العريس الذى يدعو عروسه لتناول الفول والطعمية فى أول أيام الزواج.

وتقدموا منى وأخذوا يوجهون لى كلمات التهنئة بزواجى السعيد، وامضينا وقتاً مرحاً قبل أن أعود إلى الاستوديو لأخلع ملابس الزفاف وأرفع الطرحة البيضاء من فوق رأسى بأمر المخرج بمجرد انتهاء التصوير.

لكنى كنت أحلم بأن أخلع ملابس الزفاف بإرادتى وليس بأمر المخرج.

الحلقة الثانية عشر:

لم أرتدى ملابس الزفاف.. يوم زفافى!

ولكن هذا الحلم لا يتحقق أبداً.. لقد تزوجت من عماد حمدى ولكن بلا سيوف ولا موسيقى ولا ملابس الزفاف التى كنت أحب أن أرتديها بعيداً عن الشاشة.

واختار عماد شقة جميلة فى الجيزة.. وبدأنا نؤثثها تأثيثاً فاخراً.. وودعت حى الزمالك الذى عشت فيه عامين مع أهلى.. إنها أول مرة أعيش فيها بعيداً عن أبى وأمى وأخوتى.

وذهبت إلى مقر الزوجية فى الجيزة بدون حفل زفاف.. وبدون طرحة بيضاء.. وبدون حتى باقة ورد.

وتبدأ مرحلة جديدة وغريبة من حياتى.. أحسست فيها لأول مرة بالمسئولية.. فقد كان أهلى يفعلون كل شىء من أجلى حتى دون أن أطلب.. أما الأن فأنا مسئولة عن بيت الزوجية.

بدأت أعيش الواقع بعيداً عن الأحلام وخيالات المراهقة..

الواقع بدون رتوش.. وأصبح كل تفكيرى منحصراً فى بيتى الجديد الذى أعيش فيه مع زوجى عماد حمدى..

ماذا سنأكل اليوم؟

سؤال جديد لم أكن أفكر فيه أبداً فى بيت أهلى.. فقد كنت أعود من الاستوديو لأجد كل شىء معداً وجاهزاً.. أما الأن فكل شىء يتغير.. لكنى أحب هذه الحياة.. أميل للحياة الأسرية المستقرة.. لقد ولدت وعشت وسط أسرة مترابطة.. وهذا هو السبب الذى يجعلنى أحب الاستقرار وأميل إليه مع زوج يحب زوجته.. وهو بالنسبة لها الأب والأم وكل العطف الذى تحتاجه وتعيش عليه.

إن المسئولية صعبة.. لكن لها حلاوتها.. شعورك بأنك تفعل شيئاً بتعبك ومجهودك.. إن الشعور بالمسئولية صعب لكنه ممتع ومريح للنفس.

وبدأنا نعمل معاً ونفكر فى تقديم الأفلام المشتركة التى تجمعنا معاً.. وكوّنا شركة لإنتاج الأفلام باسمى وباسمه لنمثل أفلاماً نقوم معاً ببطولتها.

كان عماد يعمل مديراً لحسابات استوديو مصر.. فهو خريج كلية التجارة.. وقلت أنه سيهتم بالحسابات حسب تخصصه وسيرفع عنى عبء التفكير فى الحسابات والأمور الاقتصادية التى لا أحسن التفكير فيها.

أيام معه

وأمضيت مع عماد أياماً سعيدة قضيناها فى الرحلات الدائمة.. فكنا نحرص دائماً على قضاء الويك اند فى الاسكندرية لكى نستيقظ فى الخامسة من صباح اليوم التالى لنتجه بسرعة إلى الشاطىء ولنأخذ مكاننا داخل القارب الذى كنا نقضى فيه كل اليوم من قبل شروق الشمس حتى غروبها.

كانت هوايتى المحببة لنفسى هى صيد السمك.. هواية قديمة كنت أمارسها وأنا طفلة شقية مرحة فى أنشاص.

وكبرت هذه الهواية معى.. وحاولت أن أشجع عماد على ممارسة صيد السمك، لكن لم يكن يعرف كيف يصطاد سمكة واحدة.. أما الأن فقد أصبح خبيراً فى صيد السمك بل وتفوق على أنا التى علمته هذه الهواية. لم نكن نشعر بالملل ونحن جالسين فى قلب القارب الذى تداعبه وتلاطفه وتحركه أمواج البحر.. الوقت يمضى بسرعة والشمس تغرب دون أن نشعر.

إنها هواية جميلة أتاحت لنا فرصة الاستمتاع بالهواء والشمس.. وهى أيضاً تعلم صاحبها الصبر.. أيام رائعة قضيتها مع عماد حمدى فى قاربنا المفضل وسط البحر فى أيام الأجازة الأسبوعية التى كنا نعود بعدها إلى القاهرة والاستوديوهات أكثر نشاطاً وحباً للعمل.

مطبخنا أصبح جنة

وكان فيلم "ليلة من عمرى" امتداداً لهذه الذكريات الجميلة التى قضيتها مع عماد..

كان المخرج عاطف سالم قد اختار مزارع جاناكليس مكاناً لتدور فيه أحداث "ليلة من عمرى."

وكان مكاناً جديداً على الشاشة فلم يسبق أن صُورت فيه أية أفلام أخرى.. والطبيعة هناك جميلة فاتنة.. لكن المشكلة التى واجهتنا هى الإقامة.. هل نقيم فى الاسكندرية لنقضى بها الليل ثم نذهب فى النهار إلى مزارع جاناكليس ثم نعود فى المساء إلى الاسكندرية مرة أخرى؟

هذا سيكون على حساب العمل.. لذلك كان الاقتراح الأخير الصحيح أن نقيم وسط مزارع جاناكليس التى يتم فيها التصوير.

واستأجرنا فيلا هناك.. ولكن كيف نقيم كلنا فيها.. كان لابد من إجراء القرعة حتى لا يغضب أحد وحتى لا نظلم أحداً.. واختارتنى القرعة أنا وعماد لكى نقيم فى مطبخ الفيلا.. ولم نعترض فنحن الذين طالبنا بهذه القرعة.. لقد رأيت فى ذلك المطبخ الفقير جنة.. فهو يطل على المزارع الممتدة على مدى البصر.. وأصبح المطبخ بين يوم وليلة مثل قمرة فى سفينة حالمة وسط هذه الأمواج الخضراء.. وكنا نقضى اليوم فى عمل متواصل فإذا ما أقبل علينا المساء وحل بنا الإرهاق عدنا إلى مطبخنا الأنيق.. إن الأخرين فازوا بالحجرات الأنيقة الواسعة لكنهم لم يعرفوا كيف يهتمون بهذه الحجرات على عكسى أنا.. لقد أصبح المطبخ أحسن من كل هذه الحجرات الأنيقة الواسعة التى لا يهتم أحد بترتيبها وتنظيفها والاعتناء بأثاثها مثلما أفعل مع هذا المطبخ المتواضع.

وكان فى الفيلا حوض مياه واحد نغتسل منه جميعاً.. ولم يكن أمامنا سوى حل واحد أن نقف كل صباح فى طابور طويل أمام حوض الماء لكى نغسل وجوهنا بالدور وكان منظرنا ونحن نحمل الفوط فوق أكتافنا وسط هذا الطابور الطويل مضحكاً جداً.

كان عماد حمدى حنوناً جداً ولم يكن يرفض لى أى مطلب.. فدائماً ينفذ لى كل شىء أريده.. ولا أذكر أبداً أن شيئاً كان يشين أخلاقه.. انه مثال للرجل الذى ترتاح إليه المرأة وتشعر إلى جانبه بالاطمئنان.

وكنت أتمنى أن أنجب أطفالاً فى ذلك الوقت.. لكنى ترددت وفكرت كثيراً.. فأنا لا أزال صغيرة ولابد أن أهتم أولاً بعملى

السينمائى وبعد ذلك أفكر فى الإنجاب الذى سيعطلنى وسيهدد ارتباطاتى الكثيرة بالعمل فى كل هذه الأفلام المعروضة على.. ورغم حبى الشديد للأطفال ورغم مشاعر الأمومة القوية فى داخلى إلا أننى قررت أن نؤجل فكرة الإنجاب إلى أيام وسنوات أخرى قادمة.

وحولت حبى الشديد للأطفال إلى ليلى ابنة اختى التى كنت أحرص دائماً على مشاهدتها فى كل يوم تقريباً.

أما إذا وجدت نفسى فى الاستوديو بلا عمل فإنى أرسل فى طلبها لتقضى معى معظم الوقت فى الفترات التى تمر بلا عمل.

فتى الشاشة.. بعيداً عن الشاشة!

ولكن السعادة عمرها قصير.. قصير جداً.. لقد قضيت مع عماد أربع سنوات ذقت فيها حلاوة الحياة ومرارتها.

عرفت السعادة فى رحلاتنا الدائمة وفى سهراتنا مع الأصدقاء وفى الحنان الذى كان عماد يغدقه على بلا حساب.

ولكن الغيرة كان العيب الوحيد لعماد حمدى.. غيرة قاتلة بدأت تهدد حياتنا السعيدة.. وعندما تدخل الغيرة القاتلة قلب الزوج تبدأ المشاكل والمتاعب وتهرب السعادة من البيت.

وهذا ما حدث معى.. فعماد أصبح يغضب بسرعة كلما شاهدنى أتحدث مع شخص أخر.. أو عندما تقتضى الظروف أن يداعبنى أحد ولو كان مداعباته بريئة.. وكانت هذه السهرات السعيدة فى بيوت أصدقائنا تنتهى دائماً نهاية حزينة لأننا نتشاجر بمجرد وصولنا إلى البيت.

إننى بطبيعتى إنسانة أحب الضحك والمرح.. وهو بطبيعته إنسان جاد ووقور.

كنت أرى فيه الإنسان الطيب.. بل وكنت مبهورة به كفتى أول للشاشة.. ولكنى بعيداً عن الشاشة والأضواء بدأت أحلامى تنهار.. مع ظهور عيوب لم أكن أراها فيه وسط الأضواء خصوصاً الغيرة القاتلة التى أصبحت تهدد حياتنا الزوجية.

إن حياة الممثل على الشاشة تختلف عن حياته داخل البيت.. ثم إن فارق السن بيننا كان له دور فى ظهور هذه الغيرة وهذه المشاجرات التى لم يعد يمر يوم دون حدوثها.

ولم يكن هناك سوى حل واحد؛ الانفصال.. الطلاق.. وكان لابد أن يتوقف قطار الرحمة الذى ركبناه معاً ذات يوم.

لم تكن زوجته الأولى هى السبب.. بالعكس.. إننا صديقتان الأن.. وابنه نادر مازال يناديني باستمرار يا ماما.. لم تكن زوجته الأولى هى السبب.. بل هى مجموعة تراكمات سببها الأول فارق السن والغيرة القاتلة.

وبدأت هذه الخلافات والمشاجرات تصل إلى صفحات الجرائد والمجلات الفنية.. وانتشرت الإشاعات والأقاويل عن حياتنا وأصبحنا فى حالة توتر دائمة.

ووجدنا أن الطلاق هو الحل الوحيد..

وكان موقفاً صعباً

فليس من السهل الانفصال بعد كل هذه السنوات التى قضيناها معاً.. لقد عشنا أياماً سعيدة ليس من السهل نسيانها.. وتركت بيت الزوجية لأعود إلى بيت أهلى.. وجاء يوم الطلاق والانفصال بكل قسوته ليس بالنسبة لى وحدى بل بالنسبة لعماد أيضاً.

حدثته بالتليفون لأذكره بموعد الطلاق..

وفى غرفة الاستقبال بمنزل والدى جلست مع عماد وأبى وشقيقى طاهر ومعنا المحامى الخاص.. وأرسلنا فى طلب المأذون.. وتم كل شىء فى هدوء.. ووقع والدى وشقيقى على قسيمة الطلاق.. وعاد عماد إلى بيت الزوجية حيث قام بجمع ملابسه وبقية حاجاته.

وفى المساء التقيت به مرة أخرى فى مكتب المحامى حيث اتفقنا على كل شىء.

ورفضت أن أدلى بأية أحاديث صحفية حول الطلاق.. وكانت قبلة مشهورة هذه القبلة التى طبعها عماد على خدى وهو يودعنى أخر وداع.

إنها قبلة الوداع.. وافترقنا..

سافر عماد إلى بورسعيد.. وعدت أنا إلى منزلى وانتهت قصتى مع عماد..

وتوقف قطار الرحمة فى محطة الفراق قبل أن يكمل رحلته التى انتهت فجأة بسبب الغيرة القاتلة!

هذه التجربة الحزينة عبر عنها الشاعر عبد الرحيم منصور بهذه الكلمات التى تحكى قصتى مع عماد حمدى والتى غنيتها بكل أحاسيسى الصادقة من ألحان محمود الشريف.. إنها ليست مجرد أغنية.. هذه التى عشتها مع عماد حمدى.

حكايتى كانت وياك حكاية

قصة طويلة مالهاش نهاية

قضيت حياتك فى نار وغيرة

وقلبى ياما حيرته حيرة

ياما.. ياما.. ياما..

إلى اللقاء فى الحلقة الثالثة عشر

ملحوظة: اسم الشاعر الذى كتب الأغنية هو كمال منصور وليس عبد الرحيم منصور فلم يكن عبد الرحيم منصور ظهر على الساحة وقت هذه الأغنية. كمال منصور هو شاعر مغمور وكتب الأغنية وفقاً لتوجيهات شادية وقصتها. المذكرات بها بعض الأخطاء كما وضحنا من قبل لأنها ليست كتابة شادية وإنما كتابة أيريس نظمى بناءً على أحاديث مطولة أجرتها مع شادية فى سبعينيات القرن الماضى.

الحلقة الثالثة عشر:

بعد طلاقى من عماد حمدى بدأت أواجه الحياة وحدى..

أصبحت فى حالة عزلة وابتعاد عن الناس..

بقيت فى البيت أكثر من شهرين..

لم تكن عندى الشجاعة للخروج منه.. لتطاردنى عيون الناس التى لا ترحم.. لا أحب أن أرى فيها نظرات الإشفاق التى تذكرنى بضعفى.

لا أريد أن أسمع الكلمات التى تذكرنى بفشلى..

نعم لقد فشلت.. لابد أن أعترف بذلك.. فشلت فى أول تجربة زواج.. وأنا التى اخترته زوجاً من بين كل الرجال..

أنا مسئولة عن كل ما حدث.. لم يجبرنى أحد على الزواج منه.. ويجب أن أتقبل هذه النهاية الحزينة بصدر رحب.. هذا ما قلته لنفسى بعد حدوث الانفصال.

والانفصال بديل لكلمة أخرى بشعة اسمها "الطلاق".. مسكينة المرأة فى مجتمعنا عندما تضطرها الظروف للانفصال عن زوجها وتصبح وحيدة وسط عالم الرجال والنساء الذى لا يرحم.. قمة العذاب لأى أمرأة أن تصبح "مطلقة".. كل تصرف منها سيفسرونه بألف تفسير وتفسير.. متى خرجت من بيتها.. متى عادت؟ هل معقول أنها تعيش وحيدة بلا زوج أو رجل؟ مستحيل أن تكون حياتها خالية من العلاقات مع الجنس الأخر خصوصاً إذا كانت شابة أو جميلة.. سيحكون عنها عشرات القصص الوهمية الكاذبة.. إن "المطلقة" تصبح فى نظرهم فريسة سهلة وسط غابة من الذئاب أقصد من الرجال.. حتى لو كانت المطلقة قديسة سيرجمونها بالأحجار ويتهمونها بالخطيئة..

وهأنذى الأن مطلقة أعيش بلا رجل وأحاول أن أواجه الحياة وحدى.. شهران كاملان وأنا مقيمة إقامة دائمة فى البيت.. أجفف دموعى لكى أبكى من جديد.. واستبعد الذكريات لكى أخفف عن نفسى فتكون النتيجة أنى أتعذب أكثر.. أصدرت حكماً ضد نفسى ونفذته بدقة "الإقامة الجبرية" داخل البيت الذى أصبح مثل سجن أقضى فيه مدة العقوبة.

فأنا الإنسانة الاجتماعية بطبعى تمسكت بالبقاء داخل البيت، فضّلت هذا السجن الانفرادى عن الحياة وسط الناس التى لا ترحم.. ورغم ذلك كله لم يرحمونى.. ظننت أن هذه العزلة ستحمينى منهم.. وأن ابتعادى عنهم سينجينى من ألسنتهم اللاذعة.. ونظراتهم الساخرة.. تحاشيت ألا أظهر ضعيفة أمامهم.. وظننت أن ابتعادى سيكون قوة لى.. لكنه تحول إلى ضعف شديد.. فأفظع شىء أن يفاجأ الإنسان بأن حياته عارية ومكشوفة جداً أمام الناس بكل أسرارها وخباياها..

أفظع شىء أن تتحول الحياة الخاصة جداً إلى حياة عامة جداً.. وأن تشعر بأن حياتك الخاصة لم تعد ملكك وحدك بل أصبحت ملكاً لكل الناس..

لم أخرج إلى الناس وحاولت أن أتحاشاهم.. ولكنهم هم الذين دخلوا بيتى بلا استئذان.. لقد فوجئت بالصحف التى نسيت أن أمنعها من الوصول إلى البيت حتى تكون عزلتى كاملة عن كل شىء.. هذه الصحف والمجلات بدأت فجأة تتعرض لحياتى الخاصة مع عماد حمدى.. لماذا حدث الطلاق؟ ومتى بدأت الخلافات؟.. هل هناك حب جديد فى حياة شادية جعل عماد حمدى يسرع فى إتمام إجراءات الطلاق؟ هل.. وهل.. ومتى.. ولماذا.. وكيف؟ أسئلة كثيرة بدأت تحوم حول قصة زواجنا الفاشل.

ألا يكفيهم ما حدث لى؟ لماذا لا يتركوننى لأحزانى؟ لماذا يحركون الجرح الذى أوشك أن يجف.. ولماذا هذا الإصرار على تعذيبى؟

لم أفعل لكم شيئاً.. لم أضايقكم فلماذا تضايفوننى؟ لم أتدخل فى حياتكم فلماذا تتدخلون فى حياتى؟ لا أحاول أن أسبب لكم أى إزعاج.. فلماذا تحاولون إزعاجى؟

لقد كدت أنسى كل شىء بعد شهرين من الدموع والعذاب والسهر الطويل.. والأن تذكروننى بكل ما نسيته أو ما حاولت أن أنساه..

لماذا يسعد بعض الناس وهم يرون الأخرين يتعذبون؟

هذا الصحفى لماذا يهاجمنى هذا الهجوم القاسى المتواصل.. لا أذكر أبداً أنى أسأت إليه.. لماذا لا يحترم أحزانى؟ وزاد شعورى بالألم عندما فوجئت بعماد حمدى أيضاً يدخل معركة الإساءة لى.. فوجئت بكلماته القاسية تنتقدنى وتتعرض لحياتنا السابقة التى أحاول نسيانها.. ولكن كيف أنسى وحياتى الخاصة وقصة زواجى وطلاقى أصبحت الحديث اليومى المفضل لبعض الصحف والمجلات وكأنهم لا يجدون ما يكتبونه..

الحزن كاد يقتلنى..

واضطررت للدفاع عن نفسى.. هذا هو التصرف الطبيعى لأى إنسان يفاجأ بمن يهاجمه دون ذنب.. بدأت أرد.. وعماد أيضاً بدأ يرد.. وأصبحت حياتك الخاصة عامة جداً وفوق صفحات المجلات يستطيع أن يعرفها ويقرأها أى شخص يدفع بضعة قروش ثمن المجلة التى وجدت فى خلافى مع عماد مادة صحفية مثيرة تجذب القراء إليها.

انه أسوأ موقف للصحافة منى عندما حاولت أن تجعل من دموعى وأحزانى وفشلى فى حياتى الزوجية مادة وحكاية مسلية لقرأئها.. وكدت أيأس من حياتى كلها.. وكدت أفقد ثقتى فى كل الناس.. فما ذنبى أنا فى كل ما حدث.. إننى مثل كل فتاة كنت أحلم برجل أعيش معه طول العمر.. رجل أشعر إلى جانبه بالأمان والسعادة.. وتصورت أن عماد حمدى هو ذلك الإنسان الذى أبحث عنه والذى سأعيش له زوجة طول العمر.. ولكن الغيرة وفارق السن حطمت كل أحلامى..

إنها قصة عادية تحدث كل يوم.. لكن المشكلة أنى فنانة وهو فنان.. وحياة الفنانين ليست خاصة أبداً.. لقد عشت طول عمرى أحلم بأن أكون فنانة تمثل وتغنى.. لكن بعد هذا الذى حدث تمنيت لو كنت إنسانة وزوجة عادية مثل كل الزوجات.. ولو حدث وانفصلت عن زوجى لما ثارت كل هذه الضجة التى

تثار دائماً حول حياة الفنانين والفنانات.. أسوأ شيء أن يكون الإنسان شخصية عامة.. لأنه لن تكون له أبداً حياة خاصة يعتز بها ويحرص عليها.. يتكلم بحساب.. ويتحرك بحساب.. بل ويعيش بحساب.. وهذه ليست أبداً حياة.. بل هذا هو العذاب الذى يعرفه كل الفنانين الذين يدفعون ثمن شهرتهم ونجاحهم بفشلهم فى حياتهم الخاصة..

لقد نجحت فى عملى.. أصبحت معروفة ومشهورة.. وأصبح لى من المعجبين الألوف.. لكنى فشلت فى حياتى العاطفية والزوجية.

غريبة هذه الحياة.. أنها لا تعطى للإنسان كل شئ.. دائماً شئ على حساب شيء أخر.. إذا أعطته النجاح فى العمل أخذت منه النجاح فى الحب والزواج.. وإذا أعطته الحب والزواج السعيد تأخذ منه نجاح العمل..

وأنا أعطتنى الحياة نجاح العمل.. وسلبتنى أهم شيء.. الحب الموفق.. والزواج السعيد..

أيام عصيبة تلك التى أعقبت انفصالى من عماد حمدى.. ومن الذى يفكر فى الطلاق؟ من الذى لا يريد أن يعيش حياة زوجية سعيدة طويلة؟ ومن هى الإنسانة التى لا تتمنى أن تعيش إلى جانب زوجها الذى اختارته وأحبته حتى أخر دقيقة وثانية من عمرها؟

ولكننا نضطر إلى الطلاق الذى نسميه الانفصال لكى نخفف من بشاعته.. إنى أتمنى لكل زوجة الاستمرار فى حياتها الزوجية حتى لا توضع فى مثل هذا المأزق الذى وضعت فيه.. وحتى لا يرتبط اسمها بهذه الكلمة المخيفة "مطلقة" فكل الخطايا سيلصقونها بالمطلقة حتى لو كانت ملاكاً هابطاً من السماء..

ولولا رعاية الله.. ولولا رعاية أختى عفاف التى كانت تعمل ممثلة مسرحية فى ذلك الوقت.. ولولا رعاية شقيقى طاهر الذى لم يتركنى وحدى وأنا أمر بهذه المحنة.

لولا ذلك كله.. لما استطعت الوقوف على قدمى مرة أخرى.. ولكان اليأس قد قتلنى.. ولكان الحزن قد ضيع حياتى كلها.

ووسط هذا الضباب الكثيف الذى غطى حياتى.. وسط سحب الكآبة والحزن وشعور الفشل الذى يملأ نفسى.. وسط ذلك الجو المقبض.. ظهر فريد الأطرش فى حياتى!

الحلقة الرابعة عشر:

وظهر فريد فى حياتى

ووسط هذا الضباب الكثيف الذى غطى حياتى.. وسط سحب الكآبة والحزن وشعور الفشل الذى يملأ نفسى.. وسط ذلك الجو المقبض.. ظهر فريد الأطرش فى حياتى..

والغريب أنى لم أكن أحب صوت فريد الأطرش.. وهو نفسه عرف أنى لست من المتحمسات له.. وكانت علاقتنا علاقة زملاء فى الفن.. وشاءت الظروف أن أقيم فى نفس العمارة التى يقيم فيها فريد الأطرش خلال العامين الأخيرين فى فترة زواجى بعماد حمدى.

وكانت معرفتى بفريد الأطرش تتم عن طريق زوجى السابق عماد حمدى.. حتى جاءت أول فرصة عمل مع فريد عندما رشحنى المخرج يوسف شاهين للمشاركة فى بطولة فيلم "ودعت حبك" مع فريد الأطرش الذى رأيته وتعاملت معه وجهاً لوجه.. واكتشفت إنساناً أخر غير الذى كنت أعرفه من بُعد.. وعرفته وفهمته كما لم أعرفه من قبل.. إنه إنسان طيب جداً وحنون جداً وكريم إلى أبعد الحدود.. إن قلبه أبيض كقلب طفل.. واكتشفت أيضاً أنه خفيف الظل على عكس ما كان يشاع عنه.. دعاباته مرحة وساخرة وإن كان يظللها شىء من الأسى.. حتى وهو حزين يدفع من حوله إلى الضحك.. أقل شىء كان يسعده.. وأقل شىء كان يغضبه.. برىء براءة الأطفال لا يعرف الخبث ولا الخداع.. ما فى قلبه دائماً على لسانه.. وإن كان ذلك يسبب له أحياناً بعض المتاعب.. أشياء بسيطة تفرحه.. أما النقد القاسى فكان يبكيه..

ووجدته مثالاً للرجل الجنتلمان الذى يعامل المرأة باحترام ولا يبخل عليها بحنانه.. وبدأ حب فريد الأطرش يملأ قلبى

وحياتى بعد أيام وشهور البؤس والدموع التى أعقبت طلاقى من عماد حمدى..

وفى السويس ووسط مناظرها الجميلة التى صورت فيها بعض لقطات ومشاهد فيلم "ودعت حبك" بدأ حبى لفريد يتأكد ويزداد.. حب لا أستطيع أن أنكره.. بل إن قصة حبنا معروفة لدى معظم الناس المحيطين بنا.

ففريد كانت له دائماً شلة من الأصدقاء الذين تعودوا على السهر دائماً عنده.. ومن داخل سهرات الأصدقاء فى بيته تخرج قصة حبنا لتجد مكانها فوق صفحات المجلات والصحف.. لكنى لم أغضب هذه المرة من الصحافة والصحفيين.. لأنى لم أكن أخجل من قصة حبى لفريد وهو أيضاً لم يكن يخجل منها..

لم أغضب لأنها قصة صحيحة وليست كاذبة.. والأن الهدف لم يكن الإساءة لى كما حدث فى المرة السابقة عندما حاولت الصحافة أن تجذب قراءها على حساب أحزانى ودموعى.

وتمنيت ألا يكون المشهد تمثيلاً!

وكانت ذكريات رائعة تلك التى قضيتها مع فريد الأطرش.. وبدأت أشاركه هواياته واهتماماته.. وكنت أذهب معه بصحبة أصدقائه ليلى فوزى وجلال معوض ومحمد الوحش إلى سباق الخيل.. فقد كانت هذه إحدى هوايات فريد المفضلة.. وأنا أيضاً أحب الخيل ولكنى لا أحب سباق الخيل. ومع ذلك كنت أذهب معه لمشاهدة السباق إرضاءً له.

إن خروجى من تجربة الزواج الفاشل هو الذى جعلنى أخشى التفكير فى الزواج مرة أخرى.. إن فريد إنسان غير عماد والزواج منه شىء صعب ومع ذلك كنت لا أستطيع أن أمنع نفسى من التفكير فيه كزوج.. بل كنا نفكر معاً فى ذلك.. وهذا الشعور المشترك والرغبة الواحدة فى الزواج شعرنا بها معاً فى وقت واحد أثناء تمثيل أحد مشاهد فيلم "ودعت حبك".. كانت أمنيتى دائماً أن أرتدى ملابس الزفاف فى الواقع وليس أمام كاميرات السينما.. وأن أضع الطرحة البيضاء فوق رأسى وأنا جالسة داخل الكوشة إلى جانب عريسى وزوجى.. وللأسف أن هذه الأمنية لم تتحقق فى زواجى الأول من عماد حمدى..

فلم أرتدى ملابس الزواج.. ولم أجلس داخل الكوشة.. بل حرمت من ذلك كله لأن عماد كان متزوجاً قبلى وكان يصعب عليه أن يفعل ما يفعله الأزواج الجدد المقبلون على الزواج.. لكن هأنذى الأن أجلس داخل الكوشة وارتدى ملابس الزفاف وأضع الطرحة البيضاء فوق رأسى وأجلس إلى جانب خطيبى وحبيبى فى الفيلم فريد الأطرش.. وتمنيت ألا يكون ذلك الموقف تمثيلاً فى تمثيل.. وددت لو اختف الكاميرات والأضواء مع المخرج والممثلين وبقية العاملين فى الفيلم.. ويتركوننا وحدنا أنا وفريد داخل الكوشة تمنيت أن يكون مشهداً حقيقياً وليس خيالياً.. ومد فريد يده لتلامس يدى.. ونظرت عينيه فى عينيه فوجدت فيهما نفس المعنى الذى أفكر فيه.. إنه أيضاً مثلى يتمنى أن يتحول التمثيل إلى حقيقة وأن نصبح زوجين بعيداً عن الكاميرات والأضواء والاستوديو كله.. كانت نظراته صادقة جداً..

وشعرت لأول مرة فى حياتى بأنى فعلاً عروس رغم أن ذلك كله كان تمثيلاً.

حبيبتى شوشو

كان يضطر للسفر.. لكن قلبه دائماً كان معى.. كان أول ما يفعله عند وصوله إلى أى مدينة بعيدة أن يرسل برقية عاجلة لى.. وكانت أول برقية أرسلها لى من باريس.. كتب يعبر فيها عن مدى حبه وإخلاصه لى.. وشرح لى كيف أنه وهو بعيد عنى يعيش كالتائه الذى يبحث له عن مأوى فلا يجده.. وعندما سافر إلى ألمانيا.. كان أول ما فعله أن أرسل برقية سريعاً لى بمجرد وصوله.. يقول فيها أنه كان يتمنى لو أكون معه وسط الطبيعة الخلابة والجو البديع الهادىء والراحة التامة هناك.. ويقول أن كل هذا الجمال ليس له قيمة بدونى.

وكان فريد ينزعج جداً إذا لم تصلنى برقياته.. أو إذا لم يصله حتى رد سريع يطمئنه عنى.. وكان إذا لم أسارع فى الرد على برقياته يسرع فى إرسال برقية أخرى يعبر فيها عن مدى انزعاجه لعدم الرد.

حكاية غرامنا حكاية طويلة

ومثلت مع فريد فيلماً أخر اسمه "انت حبيبى" وفيه قدمنا معاً أغنية كان يشتمنى فيها وأنا أرد عليه بالغناء واشتمه.. كنا نتبادل الشتائم الغنائية أمام الكاميرا بينما كنا بعيداً عنها فى قمة الحب.. وكانت أفلامى مع فريد ناجحة جداً خصوصاً فيلم "ودعت حبك".. لكنها أفلام لم تأخذ حظها من النجاح الكافى بسبب اندلاع العدوان الثلاثى فى عام 1956.

إن من يعرف فريد يحبه حتى لو كان يكرهه.. الشاعر كامل الشناوى مثلاً لم يكن يحب فريد وكان دائماً يطلق عليه نكاته وسخرياته اللاذعة التى بلغت حد التشهير.. حتى تعرف عليه فى إحدى المرات.. ومنذ ذلك اليوم أصبحا صديقين.. ولم يعد كامل الشناوى يحب السهر والجلوس والبقاء إلا مع فريد.. وكان نادراً أن يمر يوم دون أن يذهب كامل الشناوى إليه.. أو على الأقل يسأل عنه.

وأمضيت مع فريد أياماً حلوة مرحة لم يكن يكدرها سوى غيرته التى كان يشعلها فى قلبه بعض المقربين إليه الذين لاحظوا انشغاله وانصرافه عنهم بسبب انشغاله الشديد بي.

وأن كانت هذه الغيرة مع مكائد المقربين إليه قد بدأت تضايقنى.. رغم أنى كنت أحاول باستمرار أن أتقبل حياة فريد كما هى ودون أن أحاول تغيرها حتى لو كنت أرفضها ولا أتقبلها.. كانت حياة مرهقة بالسهر والأصدقاء ودعوات الغداء والعشاء.. والناس الذين يملأون بيته دائماً بسبب كرمه الشديد وحبه لضيافة الأخرين.

حياة قلقة غير مستقرة وجدت أنه من الصعب تغيرها رغم أننى إنسانة تحب الاستقرار وتبحث عنه.. أنشغل فى عملى داخل الاستوديوهات.. وأبحث عن الراحة فى المساء بعد انتهاء العمل داخل بيتى الهادىء.. بل أننى إذا سهرت ليلة واحدة فى الأسبوع أشعر بالتعب بقية أيام الأسبوع الأخرى.. وحياة فريد بهذه الصورة.. هذه السهرات الدائمة حتى مطلع الفجر.. وهذا الكرم الزائد الذى لا ينتهى.. والضيوف الجدد الذين يجيئون كل يوم.. ودعوات الغداء والعشاء وموائد الطعام الممدودة دائماً.. حياة غريبة على لكننى كنت أحاول تقبلها من أجل الفنان الذى أحببته والذى أحبنى.. وكنت أقول

له دائماً: "إن هذه الحياة الخالية من النظام مرهقة لصحتك يا فريد".. ولكنه كان يضحك شاكراً شعورى بالخوف عليه..

إن فريد لا يتصور حياته بلا أصدقاء.. فكل سهرات الأسبوع السبع يقضيها مع أصدقائه.. كان يريد الناس باستمرار من حوله. ولم استطع أن أساير هذا الجو.. ولم أقدر على الاستمرار فى هذه الحياة التى يُصر هو عليها ولا يستطيع أبداً أن يتخلى عنها.

إن الاستقرار بالنسبة له شىء صعب بل ومستحيل.. أما بالنسبة لى فهو شىء ضرورى جداً..

إننى أحب بيتى الذى أجد فيه الراحة بعد تعب النهار الطويل.. وأحب حريتى الشخصية.. ولا أتحمل دعوات الغداء والعشاء المستمرة والسهر حتى مطلع الفجر..

وبدأت أشعر بأن حياتنا لا يمكن أن تستمر بهذه الصورة.

وحاولت أن أهرب من حب فريد الأطرش.. لذلك قررت أن تكون أول خطوة للنسيان هى الانتقال إلى شقة جديدة فى عمارة غير عمارته.. وانتهزت فرصة سفره إلى الخارج لكى أنفذ قرارى الذى اتخذته.. وتركت عمارة فريد الأطرش بكل ذكرياتها الحلوة.. وكأننى انتزع من جسدى حياتى نفسها.. لم يكن قراراً سهلاً.. لكنه كان ضرورياً من أجل الاستقرار الذى أبحث عنه.

وكان ثمرة هذا الحب أعمالاً فنية قدمها فريد الأطرش خصوصاً أغنيته الرائعة المعروفة "حكاية غرامى حكاية طويلة" التى تشرح قصة حبنا بكل ما فيها من سعادة وألم.. وكان فريد يبكى وهو يردد هذه الأغنية لأنه يشعر بكل كلمة ومعنى فيها.

يا دنيا عندى أمل

نقدر نرجعها

ماتفرقيش فى قلوب بتحب

ولا تحرميش حبيبتن م الحب

يا تصبرينى على الحرمان

يا ترجعى لى ليالى زمان

ليالى جميلة..

ولكن قليلة

حكاية غرامى حكاية طويلة

كانت الكلمات تصويراً لفترة من أجمل فترات حبنا الذى قررت أن أهرب منه بحثاً عن الاستقرار.. لقد ظننت أن ارتباطى برجل أخر هو الحل الوحيد.. لذلك تزوجت عزيز فتحى كنوع من الهروب..

وكان هذا القرار المتسرع بالزواج من عزيز فتحى أكبر خطأ ارتكبته فى حياتى!

إلى اللقاء فى الحلقة الخامسة عشر

ملحوظة: أغنية فيلم "انت حبيبى" التى تتحدث عنها شادية هى الأغنية الكلاسيكية الشهيرة "يا سلام على حبى وحبك."

الحلقة الخامسة عشر:

قصة زواجى بعزيز فتحى قصة غريبة أشبه بالقصص التى نمثلها على الشاشة.. لقد استغرقت فترة التعارف واتخاذ قرار الزواج عشرة أيام فقط.. كيف تفهم إنساناً فى عشرة أيام فقط؟

إننا نعيش أحياناً سنوات طويلة مع بعض الناس دون أن نقدر على فهمهم.. الإنسان أحياناً يشبه اللغز الذى يصعب فهمه.

لكن هذا ما حدث.. واقتنعت بالحكمة التى يقولها بعض الرجال "الزواج شر لابد منه".. تعارف سريع جداً لم أكن أنتظره.. لكنها الظروف النفسية التى سببها لى حب فريد الأطرش والتى جعلتنى أفكر فى الهروب والزواج من أول رجل يعرض علىّ فكرة الاستقرار والحياة الزوجية.

فى المأتم خرج الزواج

بعد ترك شقتى فى عمارة فريد الأطرش.. وبعد أن وجدت مسكناً أخر بعيداً عنه حدث أن ذهبت لتقديم واجب العزاء للفنانة ميمى شكيب بعد وفاة زوجها الفنان الكبير سراج منير. ومن وسط هذا المأتم خرجت قصة زواجى.

فأثناء تقديم واجب العزاء شاهدنى عزيز فتحى.. وفوجئت به بعد ذلك يعرض علىّ الزواج.. ولم أكن أعرف أنه متزوج.. بل كنت أظن أنه قد طلق زوجته وانفصل عنها.. وبسبب ظروفى النفسية فى ذلك الوقت لم أفكر كثيراً فى نتائج هذا الزواج السريع الذى كان بالنسبة لى درساً قاسياً كان لابد أن أفهمه حتى أعرف عيوب الاندفاع فى اتخاذ القرارات التى تمس حياتى الشخصية.. لم نوفق فى حياتنا الزوجية منذ أول شهور الزواج.. لقد كان عزيز يشعر بالغيرة من عملى ونجاحى الفنى.. بل بدأت أشعر أنه تزوجنى لكى يصل عن طريقى إلى شاشة السينما.. كانت شهرتى تضايقه جداً.. استمر زواجنا تسعة

شهور.. أمضينا أربعة منها داخل بيت الزوجية.. أما الشهور الخمسة الأخرى فقد قضيناها داخل المحاكم ومع القضايا الطويلة المؤلمة لى.

بدأ الخلاف بيننا بشكل قوى عندما عرض علىّ الاشتراك فى بطولة فيلم "ارحم حبى" أمام عماد حمدى.. ورفض عزيز اشتراكى مع عماد حمدى فى فيلم واحد بعد أن حدث الطلاق بيننا.. ولكنى قلت له "ليس لك دخل بعملى.. هذا عملى ومن حقى أنا وحدى أن أرفض العمل أو أقبله.. إذا وجدت دوراً جيداً فكيف أرفضه؟"

لكنه رد غاضباً "ولماذا عماد حمدى بالذات؟ لماذا تمثلين معه بعد الطلاق.. إذاً فالحب مازال قائماً بينكما."

يوم.. بائس

لكن أخر ما كنت أتصوره أنى سيتم طلبى فى "بيت الطاعة".. يوم بائس جداً ذلك الذى ذهبت فيه بصحبة والدى إلى المحكمة.. لم أنم ليلتين متواصلتين.. أليس هناك طريقة للهروب من ذلك الموقف.. لكن المحامى الخاص قال لى "لابد أن تذهبى.. لأنهم سيواجهونك بعزيز فتحى.. ويجب أن تقولى كل شىء."

وفى السابعة صباحاً كنا نقترب من محكمة الجيزة.. وفوجئت بأناس كثيرين لا أعرفهم فى انتظارى وهم يحملقون فى وجهى بذهول.. ويبدو أنهم تصوروا أنى جئت لاشترك فى تصوير أحد الأفلام داخل المحكمة.. لكنهم لم يجدوا كاميرات ولا مخرجاً ولا ممثلين أخرين غيرى.. إنها أول مرة أقف فيها أمام القاضى بدون سيناريو مكتوب فالقاضى ليس ممثلاً.. والقضية ليست وهمية.. وأنا المتهمة.. أو أنا التى يجب أن أدافع عن نفسى.. لابد أن أقول أنى مظلومة.. لا تصدقوا كل ما قاله لكم.. اسمعوا منى الحقيقة يا رجال القضاء العادلين.. انصفونى منه.. لقد حول حياتى إلى جحيم يا سيادة القاضى.. أهان مشاعرى أمام الغرباء.. أحرجنى كثيراً يا حضرات المستشارين.. لم يفهم أنى إنسانة قبل أن أكون فنانة.. تعمد أن يضايقنى أمام الضيوف لكى يثبت لهم أنه الرجل صاحب الكلمة الأولى.. وأننى لا أساوى شيئاً إلى جانبه.. انه يريد أن ينتقم منى يا سيادة

القاضى.. لا تصدقوه يا حضرات المستشارين.. واسمحوا لى أن أحكى لكم بقية قصتى معه..

وواصلت شرح مشاكل حياتى مع عزيز فتحى.. التعارف السريـع الذى حدث بيننا.. و.. و.. و..

وبدأ القاضى يناقشنى فى أمور حياتى أمام كل هؤلاء الناس الذين لا أعرفهم ووجدوا أنفسهم فجأة يعرفون كل أسرار حياتى الزوجية.. كم هو شىء مؤلم أن تُذاع أسرار حياتنا الخاصة أمام الناس.. أعظم شىء أن يشعر الإنسان بأنه يمتلك حياته الخاصة وبأن أسرارها وخباياها ملك له وحده.. أما إذا أصبحت هذه الأسرار والخبايا حقاً لكل راغب فى الحديث عنها.. فإن الحياة نفسها تصبح بلا طعم أو معنى.. بل يصبح مذاقها مُراً جداً.

إن كلمة الاشمئزاز هى الكلمة الوحيدة التى يمكن أن تعبر عن شعورى عن ذلك الموقف الغريب.. عندما وقف عزيز فتحى ليحكى التفاصيل الدقيقة لحياتنا الخاصة التى أصبحت عامة ومعروفة جداً لمن يحب أن يعرف ويسمع..

تفاصيل يجب ألا تُقال لأنها ملك خاص للزوجين فقط.. لكنه قالها بلا خجل.. وبدأ يطلب بإلحاح شديد أن أذهب إلى بيت الطاعة.

وتطلعت إلى الناس الذين ملأوا مقاعد المحكمة وكأنى استند بهم.. كأنى أطلب منهم المساعدة.. لقد رأيت فوق وجوههم ابتسامة خفيفة وهم يرون الممثلة المعروفة بطلة الأفلام الناجحة وهى تقف حزينة منكسرة أمام القاضى لتحكى عن زوجها وليحكى زوجها عنها.

أما الأن وبعد أن عرفوا كل شىء فقد زالت الابتسامات ليحل محلها شعور بالأسى والإشفاق علىّ..

لقد اكتشفوا أن البطلة التى يرونها على الشاشة وهى تغنى وتضحك وكأنها أسعد إنسانة فى هذا العالم.. اكتشفوا أن هذه البطلة هى أشقى الناس وأبعدهم عن هذه السعادة الوهمية التى يرونها على الشاشة..

لقد فهموا أن حياة الفنان على الشاشة مختلفة جداً عن حياته بعيداً عنها.. وها أنذا أمامهم أكبر دليل.. أنا التى أمثل أدوار الحب على الشاشة لا أجد هذا الحب فى بيتى ومع زوجى.. أنا التى تنتهى كل أفلامى نهاية سعيدة.. لا أعرف طعم هذه السعادة.. بدليل أنى أقف الأن أمام المحكمة والقاضى لكى أشرح لهم حياتى البائسة التى جعلت دموع التأثر تملأ عيون كل الذين عرفوها.

وأصر عزيز فتحى إصراراً عجيباً على ذهابى إلى "بيت الطاعة".. إن ذهاب المرأة.. أى امرأة.. إلى بيت الطاعة عمل غير إنسانى.. وهو يُريد إذلالى..

ولم تكن هذه المرة الأخيرة التى أذهب فيها إلى المحكمة.. بل تكرر ذلك مرات كثيرة لأن النزاع استمر خمسة شهور طويلة مرت وكأنها خمس سنوات.. إنها فترة كئيبة ومؤلمة جداً أحاول دائماً ألا أذكرها.. بل وأحاول أن أزيلها وأمحيها من حياتى بقدر الإمكان..

إن الفشل السريع هو النتيجة الطبيعية للاندفاع الشديد.. وكان الطلاق من عزيز فتحى هو النهاية الوحيدة التى تريحنى من هذا العذاب الذى أوقعت نفسى فيه بسبب تهورى واندفاعى.

الحلقة السادسة عشر:

ما أحلى العودة إلى فريد

دق جرس التليفون ورفعت السماعة.. ألو.. أيوه أنا.. وفوجئت بأن المتحدث هو فريد الأطرش.. سأل عنى.. وعن صحتى.. كان رقيقاً حنوناً كالعادة..

وضعت السماعة وأنا أفكر.. هل يريد فريد أن يعود؟ إننى لم أذهب إلى أى مكان إلا وسمعت نفس السؤال لماذا لا تعودين إلى فريد.. خصوصاً من أصدقائه الذين كانوا حريصين جداً على عودة العلاقة بيننا.

إنه دائماً يذكرك بالخير.. لم ينس أيامه وذكرياته معك.. فريد إنسان رائع.. إننى أعلم أنه إنسان رائع أيها الأصدقاء.. أنا لا أنكر ذلك ولكن زواجنا مستحيل.. لأنه لا يستطيع أبداً أن ينظم حياته التى لا تعترف بالنظام.. وستظل حياته هكذا مرتبكة مضطربة إذا لم يغيرها.. وصحته التى أخاف عليها ستتأثر بهذا الاضطراب وعدم الاعتراف بالنظام.. كيف استقر معه وسط هذه السهرات التى لا تنتهى ومع هذا الإصرار الشديد على دعوة الذين يعرفهم والذين لا يعرفهم على الغداء والعشاء..

اننى أحترم كرمه الشديد ولكن ليس على حساب حياته.. لا اعتراض لى على علاقته بأصدقائه ولكن ليس على حساب صحته.. إنه فنان وله محبوه وصحته ليست ملكه وحده بل ملك لكل الناس الذين يحبون صوته وأغانيه والذين يشعرون بالفزع إذا مرض أو أصابه مكرروه.

وكنت أقول دائماً لأصحاب هذه الوساطات أنه لا داعى لعودة العلاقة بيننا.

وتكرر سؤاله عن صحتى وأحوالى.. ووجدت نفسى غير قادرة على مواصلة الرفض.. وأصبحت صداقتى بفريد الأطرش أحسن مما كانت عليه.. عدنا للرحلات السعيدة إلى

الإسكندرية بصحبة بقية الأصدقاء والصديقات.. وعادت السهرات داخل بيته الملىء باستمرار بالضيوف المصريين والعرب.

وعادت كذلك محاولات بعض المقربين إليه لإبعادى عنه وإبعاده عنى.. إن أصدقاءه لم يكونوا كلهم من الأوفياء له بل كان بينهم بعض المستغلين له والمستفيدين منه.. هؤلاء وجدوا فى عودة علاقتنا الطبيعية إلى ما كانت عليه.. وجدوا فيها خطراً عليهم.. لأنهم يعرفون أنى أرفض حياته بهذه الصورة وبدون أى نظام أو رقابة أو حتى اعتراض على السهر الطويل الذى يهدد صحته.. وزواجى منه يحرم هؤلاء المستفيدين من المزايا التى يحصلون عليها.. زادت محاولات الوقيعة بيننا.. فهم يعلمون انه إنسان طيب يصدق كل ما يسمعه.. ومرة أخرى بدأت أشعر بمتاعب الغيرة التى أصبحت تهدد صداقتنا.. لدرجة أن هذه الغيرة دفعته أكثر من مرة إلى ارتداء "الروب دى شامبر" أو جلبابه لينزل من بيته فى وقت متأخر من الليل لكى يتأكد من كلامهم وليعرف إذا كان صحيحاً أم لا.. وللأسف كان يتأثر بكلامهم.

لقد كنت أسعد جداً بسماع صوته وهو يسأل ويطمئن على صحتى.. كلمة واحدة منه كانت تسعدنى.. وكنت أداعبه وأقول له "انت هتعمل لى أمير.. لكن أمير على حتة جبل.. جبل الدروز."

الهروب مرة أخرى!

لكن كان من الصعب الاستمرار فى هذه المرة الثانية.. بدأت أفكر مرة أخرى فى الابتعاد.. لقد هربت من فريد الأطرش فى المرة الأولى وتزوجت زواجاً سريعاً فاشلاً.. ولكن لابد فى هذه المرة أن أهرب ولكن دون تفكير فى الزواج من رجل أخر.

لقد وجدت أن ابتعادى راحة له قبل أن تكون راحة لى.. لن نتزوج بسبب عدم قدرته على تغيير طباعه وعاداته.. ولو تزوجته فسيكون أول أهدافى أن أنظم حياته بشكل جديد.. وهو عدو النظام.. والنظام فى معظم الأحيان عدو لبعض الفنانين الذين يحبون الحياة بدون قيود ويفضلون أن يظلوا

أحراراً يفعلون أى شىء حتى لو كان ضاراً وخطراً على صحتهم وحياتهم.

وكان قراراً صعباً.. الفراق من جديد.. ولكننى تعلمت من التجربة الأولى.. وأصبحت أكثر واقعية.. لن أهرب من فريد الأطرش بالزواج.. لا أريد أن أقع فى مشكلة جديدة.. يكفينى ما حدث لى ولست مستعدة لتقبل مأساة جديدة.. ولم يكن انفصالاً نهائياً.. بل تم بشكل تدريجى وكل الذى استجد أننا قللنا من فرص لقائنا فأصبحت هذه اللقاءات قليلة.

لكنه كان يحدثنى بالتليفون يطلب منى اللقاء.. وكنت أحاول أن أجد أعذاراً مقبولة حتى لا أحرج شعوره.. لكنى كنت أبذل جهداً كبيراً لكى لا أتراجع عن قرارى الذى اتخذته وشعوره الشديد بالرغبة فى لقائى أحسسته فى هذه الأغنية التى يقول فيها:

وحياة عينيكى مشتاق إليكى

وليه دموعى تهون عليكى

وعرفت أن هذه الأغنية يغنيها لى أنا وانه اختار كلماتها لتكون مناسبة للوضع الذى كنا نعيش فيه..

كانت عبارة عن رسالة عاطفية وجهها لى فريد عن طريق الإذاعة ليطلب منى العودة من جديد.. وبدأت أشعر بالحنين إليه وكدت أتراجع عن قرارى وأنساه ولكن خوفى من العذاب الذى اكتويت بناره هو الذى قوانى وحمانى من التراجع والضعف.

عندما بكت السماء عليه!

وسافر فريد إلى لبنان هرباً من حبه.. لكن صورته كانت تطالعنى فى كل مكان أذهب إليه.. وصوته واسمه كان يتردد باستمرار من حولى.. بل كنت أجده فى الأماكن التى زرناها معاً وعشنا فيها أوقاتاً سعيدة.

وعاد فريد الأطرش إلى القاهرة بعد غيبة طويلة فى لبنان لكى يمثل فيلمه الأخير "نغم فى حياتى".. كانت صحته قد بدأت تتدهور.. وسألت عنه بالتليفون لاستفسر عن صحته.. وقالوا لى انه يعانى من آلام النقرس..

وذهبت إليه.. وكانت أول مرة أدخل فيها بيته بعد سنوات طويلة من الفراق.. وكان فريد يجلس مع جلال معوض وليلى فوزى زوجته.. وابتسم وقال لى:

نفسى أكل بامية من إيديكى يا شادية.

وفى اليوم التالى عدت إليه وطهوت له البامية مع انه كان ممنوعاً من أكلها بأمر الأطباء.

وقال لى فريد يومها "عندك مانع تغنى معايا يا شادية فى لبنان؟."

وقلت له: "على عينى يا فريد."

وافترقنا بعد الاتفاق على اللقاء فى لبنان.. وكان يوماً غريباً لا أنساه ذلك الذى التقيت فيه مع فريد فى كازينو "اليسين."

وكان المطر يهطل بغزارة غريبة رغم أننا كنا فى شهر أغسطس.. هل يصدق أحد أن تسقط الأمطار بهذه الكثافة فى شهور الصيف؟

إنها ليست أمطاراً.. بل هى دموع غزيرة.. كأن السماء كانت تبكى من أجله حزناً عليه من النهاية المؤلمة التى كانت تقترب بسرعة.

ووقف فريد ليغنى أمام الناس.. ورغم صحته المنهارة إلا أنه غنى كأنه فى العشرين من عمره.. غنى بحرارة وانفعال.. لم أره أبداً يغنى بمثل هذا الحماس.. واستمر فريد واقفاً فوق المسرح ساعات طويلة وحتى الخامسة صباحاً.. وكأنه يودع محبيه الوداع الأخير.. نسى مرضه.. ونسى نصائح وتحذيرات الأطباء.. ونسى خطر الموت..

واستمر يغنى تحت المطر الذى لا يتوقف..

وخرج الناس إلى بيوتهم ليستبدلوا ملابسهم بملابس أخرى ثقيلة بعد أن ابتلت ليعودوا مرة أخرى ليصفقوا له وهو يغنى:

يا حبايبى يا حلوين

واحشنى يا غاليين

لو اغمض وافتح

وألاقيكم جايين

ودموع السماء لا تتوقف.. والقلب المريض يغنى بلا توقف.. والمسرح المكشوف لا يستطيع أن يمنع سقوط الأمطار فوق فريد وفوق المتفرجين.. والناس يصرخون من الإعجاب ولا يفكرون أبداً فى الهروب من المطر.. بل تمسكوا بمقاعدهم وكأنهم يشعرون أنه الوداع الأخير لفنانهم الذى عاش يملأ الدنيا بالحب!

الحلقة السابعة عشر:

قُبلة الوداع!

وعدت إلى الفندق.. فدق جرس التليفون ووجدت فريد يقول لى: سأعود للغناء مرة أخرى.. تعالى.

ما الذى حدث له.. إنه لا يريد أن يتوقف أبداً عن الغناء.. هذا انتحار.. كيف يتحمل قلبه المريض كل هذا الإجهاد؟

وعدت لأقول له كفى يا فريد.. لابد أن تستريح.. وجلست فى الكواليس وأنا أتطلع إليه وكأنى أراه للمرة الأولى فى حياتى.. شاباً باسماً يتحدى المطر ويغنى للحب وسط غضب الطبيعة.. تحت دموع السماء التى تسقط بغزارة إشفاقاً عليه من النهاية المؤلمة التى كانت تزحف نحوه.. فليس هناك قوة فى العالم تستطيع أن توقفه عن الغناء حتى لو كان الموت نفسه.

وانقبض قلبى وكاد يتوقف وأنا أسمعه يقول للجمهور: هذه أخر مرة أغنى لكم وهذه أخر أغنية.

وبعد أن انتهى من الأغنية قلت له: ما هذا الذى تقوله يا فريد.. انت دائماً تقول كلاماً يوجع القلب.

وأحسست وأنا أصافحه بأن يديه باردتين كالثلج.. وقبلنى فوق خدى.

كانت الساعة الخامسة صباحاً.. ولولا أن دورى فى الغناء كان قد حان لما كنت تركته أبداً صاحب القلب الدافىء واليدين الباردتين.

وقال لى فريد: لازم تيجى بعد انتهائك من الغناء.. سأنتظرك على مائدة الإفطار.

كان نور الفجر قد بدأ يظهر.. إنها أول مرة أغنى فيها تحت نور الفجر.. وانتهيت من الغناء فى السادسة صباحاً.. وأنا أشعر

بإرهاق شديد فالضغط الذى أشكو منه بدأ يرتفع فجأة بسبب صعودى إلى هذا المكان المرتفع فوق الجبل.

لقد غنيت:

اتعودت عليك يا حبيبى

وبقيت ملك إيديك يا حبيبى

وكأنى كنت أغنيها لفريد الذى كان لقائى معه فى الكواليس فوق الجبل أخر لقاء.

وما يحز فى نفسى الأن أنى لم أتمكن من الذهاب إليه بعد انتهائى من الغناء لتناول الإفطار كما وعدته.. ولولا الصداع الشديد لكنت ذهبت إليه.

ولم أره بعد ذلك.

وعدت إلى القاهرة..

ومرت أيام وأيام.. إلى أن استيقظت فى ذلك اليوم الذى لا أنساه.. وكالعادة تطلعت حولى أبحث عن صحف الصباح فلم أجدها.. أن أمى تعلم أن أول ما أفعله عند استيقاظى من النوم أن أقرأ الصحف الصباحية.. ولكنى لم أجدها.

وفوجئت بأخى طاهر الذى حضر إلى البيت فى هذا الصباح مبكراً على غير العادة.

أين الصحف؟ ولماذا جاء طاهر مبكراً هكذا؟ هل هناك أخبار سيئة؟ فريد أصابه مكروه؟

إن أخر الأخبار تقول انهم نقلوه إلى المستشفى.. قلبى يكاد يقفز من بين ضلوعى.. وصرخت.. أين جرايد النهاردة؟.. وشعرت بألم مفاجىء يسيطر على جسدى كله.. ولاحظ أخى طاهر أنى ارتعش وانتفض.. حاول أن يهدئنى ويخفف عنى.. لكنى قرأت الخبر المؤلم فى عينيه وفى نظراته المواسية.. وصرخت وأنا أكاد أتمزق.. ماذا حدث لفريد؟

ورد طاهر قائلاً: البقية فى حياتك.. فريد مات

وسيطرت على حالة من الذهول.. لم أرد ولم أتكلم..

ودخلت غرفتى وأغلقت الباب على نفسى.. وأنا أحاول أن أمنع نفسى من الانهيار.. يا رب ألطف بى.. كن معى واحمنى من

نفسى.. واعطنى القدرة على تحمل ما حدث.. وفى عقلى.. وأمام عينى يمر شريط سينمائى طويل فيه كل الذكريات السعيدة التى قضيتها مع ذلك الإنسان الفنان الحنون صاحب القلب الطيب.. وحتى أحمى نفسى من الانفجار بدأت أتلو الأيات القرآنية.

الحلقة الثامنة عشر:

قبل قلبى!

عندما تصادف الإنسان كارثة يتصور أن الحياة قد انتهت وأن هذه التجربة القاسية التى يمر بها ستكون نهاية العالم.. وأن الأمل قد ضاع وأن الابتسامة لن تعود أبداً إلى حياته.. وانه محكوم عليه أن يعيش حزيناً بائساً حتى أخر يوم فى حياته.

وهذا كان شعورى بعد تجارب الحب والزواج فى حياتى.. قصتى مع الضابط الشاب أول إنسان خفق له قلبى لكن حرب فلسطين خطفته منى ليموت شهيداً فى الوقت الذى كنا قد اتفقنا فيه على الزواج.

وقصة الزواج الأول مع عماد حمدى.. وقصة زواجى السريعة المتهورة مع عزيز فتحى.. ثم قصة الحب الطويلة المرهقة التى ربطتنى بفريد الأطرش.

بعد هذه التجارب القاسية تصورت أن حياتى قد انتهت.. واعتقدت أن اليأس والعذاب هما الطريق الوحيد الذى كتب على أن أسير فيه حتى أخر يوم فى العمر.

ولكن الحياة لا يمكن أن تتوقف من أجلى.. والفشل ليس سوى فترة عابرة فى حياة الإنسان أو لابد أن يكون هكذا.. فلا يسقط المرء وينهار بعد أول صدمة بل يقابل الصدمات بشجاعة ويرتفع فوق ألامه وأحزانه.. ومهما كانت الخسائر فلابد أن يتماسك حتى لا يسقط وتدوسه الأقدام ويضيع وسط زحام الحياة التى لا ترحم اليائسين والفاشلين.

فلا يمكن أبداً أن تتوقف الحياة من أجلى..

بل ستمضى رغم أنفى ولابد لى أن أحاول أن أعيشها بحلوها ومُرها.. فالفشل معناه أن غيرى سيأخذون مكانى.. وبدأت

أشعر أن حاضرى بل ومستقبلى أيضاً يمكن أن يضيع إذا ما واصلت الدموع وسط أطلال الماضى.

العمل المتواصل هو الطريق الوحيد للنسيان.. البكاء لغة العاجزين.. الدموع لا تفعل شيئاً.. وبلاتوهات واستديوهات السينما لن تطفىء أنوارها من أجلى.. وكاميرات السينما لن تتوقف فى انتظار حضورى.. وصناعة السينما لن تتعطل مشاركة لأحزانى.. ودور السينما لن تغلق أبوابها حداداً على فشلى فى الحب أو الزواج.

هذه عجلة تدور ولا ترحم.. ليست عجلة السينما وحدها بل عجلة الحياة التى لا يمكن أن تتوقف من أجل إنسان واحد مهما كانت قيمته.

لم تتوقف الحياة بسبب فشل قيس فى الزواج من ليلى.. أو بسبب انتحار كليوباترا من أجل حبيبها أنطونيو.. أو بسبب ما حدث لفالنتينو..

هل أفعل ما فعلته جولييت.. هل انتحر مثلها بعد فشلها فى الزواج من روميو.. أو على أن أفعل مثل فاتنة السينما مارلين مونرو وانتحر بعد فشلها فى الحب والزواج؟

لا.. الانتحار طريق العاجزين.. وأنا أحب الحياة رغم مرارتها.. ومهما كانت الجراح مؤلمة لابد أن أتماسك حتى لا أسقط فى طريق الحياة وتدوسنى الأقدام.

لقد تعودت أن أهرب على الشاشة.. أنسى همومى بكأس أو الانتحار.. هذه أوامر المخرج ورغبة كاتب القصة والسيناريو.. فهذا الهروب مريح لهم..

لكنى أرفض هروب الشاشة وأفضل ألا أهرب من نفسى فى حياتى الخاصة بعيداً عن الشاشة.

ومشاكلى لن تُحل بكأس شراب ولا بانتحار.. كأفلام السينما.. بل لن تُحل إلا بالعمل.. وتحت الأضواء وداخل الاستوديوهات والبلاتوهات وأمام الكاميرات قررت أن أمضى كل وقتى.. حتى لا أصبح وحدى وحتى أعود فى نهاية النهار مرهقة أبحث عن النوم الذى هرب من جفونى أياماً وأسابيع طويلة..

لكن لم أعد أرحب بوعود وعقود تجار المسامير الذين أصبحوا من كبار منتجى السينما.. لأن هؤلاء المنتجين من تجار المسامير لا يرشحوننى إلا لدور "البنت الدلوعة" الذى نجحت فى تقديمه لكى أقدم أغانى جديدة خفيفة مثل أغانى "واحد اتنين" و"سوق على مهلك" و"بحبه ولا لأ" و"حبيبى أهه.. خطيبى أهه.."

لكن مرحلة "الدلع" انتهت من حياتى ولم أعد مهيأة نفسياً لتقديم هذه الأدوار الخفيفة.. لأنى أنا نفسى لم أعد هذه "الدلوعة".. فبعد كل هذه التجارب التى مررت بها بدأت أشعر بشىء من التغيير فى شخصيتى وفى طريقة تفكيرى وأسلوب تعاملى مع الناس.. وهذا التغيير داخل شخصيتى كان لابد أن يقابله تغيير أخر مشابه فى الأدوار التى أقدمها على الشاشة.

بكيت مع المرأة المجهولة

ذات ليلة دُعيت إلى بيت المخرج الراحل محمود ذو الفقار.. وأثناء هذه الزيارة فوجئت بأنه يعرض على دور امرأة فى الستين من عمرها وسانده فى هذا الرأى والترشيح المنتج حسن رمزى..

وقلت لهما: أريد فرصة لأفكر..

وطال تفكيرى.. هل أقبل هذه المجازفة؟ وهل الجمهور الذى تعود أن يرانى وقيقة جميلة شابة فى أدوار الفتاة والمرأة التى تحب ويحبها الأخرون.. هل سيقبلنى وأنا أظهر على الشاشة بشعرى الأبيض ووجهى الذى تغطيه التجاعيد.. وبدون أن أقدم أغنية واحدة فى الفيلم ..لأنى سأمثل فقط ولن أغنى..

كانت مغامرة لكنها جذبتنى بشدة إليها..

وسألت نفسى، لماذا أتردد.. ولماذا أتخوف من هذه التجربة الجديدة؟

وبعد أيام كنت أقرأ بإمعان هذا الدور الغريب وأعجبت به جداً ونسيت شكلى ومظهرى على الشاشة.. ونسيت كذلك صوتى الشاب "المسرسع" الذى يجب أن يتحول إلى صوت امرأة فى سن الستين.

كنت خائفة من "مدام اكس" هذه القصة العالمية التى أصبح اسمها "المرأة المجهولة" ولم أكن أتصور أن هذه "المرأة المجهولة" ستكون أشهر امرأة على الشاشة.. أنا الوحيدة التى كنت خائفة.. أما المنتج والمخرج وبقية العاملين فى الفيلم فلم يشعروا أبداً بمثل هذا الخوف الذى يفزعنى.. وطلبت منهم أن يعقدوا لى اختباراً أمام الكاميرا حتى أرى نفسى فى دور المرأة العجوز.. وقالوا لى أن الاختبار سيتم أثناء العمل.

وفى اليوم الذى كان محدداً لذلك "التيست" جلست بين يدى اثنين من أحسن الفنيين المتخصصين فى عمل الماكياج هما عيسى أحمد ورمضان على ليحولا وجهى الشاب إلى وجه عجوز تغطيه هموم الزمن وأحزان وتجارب الحياة الطويلة.

ورأيت نفسى على الشاشة قبل أن نبدأ فى تصوير الفيلم.. وبدأت أندمج فى الدور ولم أعد أفكر إلا فى هذه المرأة المجهولة.

وكان لابد أن أجلس هادئة صامتة لا أقدر على الضحك أو حتى الكلام بأمر الماكيير لكى ينتهى من لصق الجلد الصناعى تحت عينى ولكى يرسم الجاعيد الدقيقة على وجهى.

لكن المشكلة أنى كنت عندما أزيل المكياج من فوق وجهى أفاجأ بأن رموش عينى تنزع وتسقط مع هذه المواد اللاصقة التى توضع فوق وجهى.. لدرجة أنى كدت أصبح بلا رموش.. امرأة بلا رموش..

كان احساسى بالمرأة المجهولة جديداً بالنسبة لى.. انه إحساس عميق بالأمومة.. شعور الأم تجاه ابنها الذى فرقت الأيام بينها وبينه والتقينا بعد هذا الفراق الطويل داخل قاعة المحكمة.. هو محام يدافع عن المظلومين.. وهى متهمة بارتكاب جريمة قتل.

كان الماكياج دقيقاً جداً لدرجة أنى كنت لا أصدق أنى أنا هذه المرأة العجوز صاحبة الستين عاماً.. بل لقد حدث فى إحدى المرات أثناء التصوير أن جاءت أمى لتسأل عنى داخل الاستوديو.. ومرت من أمامى دون أن تعرفنى وبدأت تسأل الجميع عنى وأنا واقفة إلى جانبها.. ولم أستطع أن أمنع نفسى من الضحك وقالت "هذه ضحكة ابنتى".. ولم تعرفنى أمى إلا

من ضحكتى.. وقالت لى وهى تضحك: عندما رأيتك قلت لنفسى أن هذه المرأة تشبهنى.

وتملكنى الرعب وموعد عرض الفيلم لأول مرة على الشاشة يقترب.. وزاد الرعب عندما بدأت إعلانات فيلم "المرأة المجهولة" تملأ الشوارع.. انه أخطر امتحان فنى تعرضت له فى حياتى.. لقد مثلت أدواراً كثيرة لكن هذا الدور سيطر على كيانى كله.

ووسط ظلام السينما التى تعرض الفيلم بكيت بدموع حقيقة.. اننى أعلم أن ذلك الذى أراه أمامى على الشاشة ليس حقيقة بل هو تمثيل.. بل أنا نفسى التى أقدم هذا التمثيل.. ورغم ذلك أسرعت لأجفف دموعى.. انها ليست دموع الفرح.. بل هى دموع شفقة وتأثر من أجل هذه المرأة المجهولة.. إن دموعى سريعة الانهمار أمام مثل هذه المواقف الإنسانية.

كنت أخشى أن يضحك الناس.. لكن الصمت كان سائداً.. لا ضحكة ولا همسة واحدة مع أن دار السينما كانت مكتظة بالجمهور.. كلهم مشددون لحكاية المرأة المجهولة.. وأنا أيضاً كنت مثلهم مشدودة خصوصاً لذلك المشهد الذى ظهرت فيه مع ابنى "شكرى سرحان" الذى لا يعلم انى أمه الحقيقية.. انه لا يعلم أن هذه الأم القاتلة ليست إلا أمه.. ويتقدم نحوى قائلاً:

اتكلمى.. قولى.. اعتبرينى ابنك.

وأشعر بأنه ابنى فعلاً وأنا أضع يدى على كتفه وأقول له:

ما تتعبش نفسك.. دى قضية خسرانة يا ابنى.

هذا المشهد أبكانى.. لكنى اكتشفت مع نهاية الفيلم انى لم أكن الوحيدة التى أبكى وسط الظلام.. بل إن الكثيرين من الجمهور كانوا يجففون دموعهم عند خروجهم من باب السينما.

ملحوظة: لا أعلم كيف أخطأت الكاتبة فى تلك المعلومة، فيلم المرأة المجهولة يحتوى على أكثر من أغنية وأشهرهم

بالتأكيد الأغنية الكلاسيكية الشهيرة "سيد الحبايب يا ضنايا انت."

الحلقة التاسعة عشر:

وكانت المرأة المجهولة نقطة تحول كبيرة فى حياتى.. وودعت معها الأفلام الغنائية الخفيفة إلى الأفلام الدرامية التى قربتنى أكثر من قلوب الناس الذين ظننت أنهم لا يحبون مشاهدتى إلا فى هذه الأفلام الغنائية الخفيفة.. ولم أعد أهتم بتقديم الأغانى فى الأفلام.. بل كان اهتمامى كله قائماً على الأدوار الإنسانية..

بل بدأت أقتنع بأن الأغانى تكون دائماً ضد التصاعد الدرامى للأدوار التى أقدمها.. بل أصبح الغناء يستخدم كنوع من الخلفية فقط للأحداث وهذا ما حدث فى فيلم (نحن لا نزرع الشوك) وبهذه الطريقة يكون دورى أكبر فى الفيلم.. وأنا لا أعترض على الأفلام الغنائية.. ولكنى فقط أطلب لها كاتباً متفرغاً ومتفوقاً فى تقديم هذا النوع من الأفلام.. والدليل على ذلك أن معظم الأفلام الغنائية تظهر فيها الأغانى محشورة بأمر المنتج أو المخرج وليس بأمر كاتب القصة الغنائية المتخصص.

وبعيداً عن هذه الأفلام الغنائية قدمت أحسن أدوارى التمثيلية فى (المرأة المجهولة) و (اللص والكلاب) و (الطريق) و (زقاق المدق) و (ميرامار).

وكان من حسن حظى أنى ارتبطت بأدوار وروايات الكاتب الكبير نجيب محفوظ وهذا ما أعطانى فرصة أكبر للعثور

السريع على الأدوار الإنسانية التى كانت بالنسبة لى فرصة لاكتساب خبرة إنسانية جديدة.. أذكر مثلاً أثناء ترشيحى لدور (كريمة) هذه الغانية التى دفعتها ظروف الفقر إلى عالم الرذيلة والليل والجنس المدفوع الثمن.. أذكر أنى ذهبت مع عطيات وصيفتى إلى مقاهى شارع كلوت بك لكى نبحث عن مثل هذه الشخصيات داخل المقاهى والبنسيونات.. كنت أضع على وجهى منظاراً أسود كبير.. وأضع فوق رأسى إيشارب كمحاولة لإخفاء ملامحى الأصلية وحتى لا يعرفنى أحد أو يسىء فهم أسباب ذهابى إلى شارع كلوب بك الذى التقيت فيه بالشخصية التى أبحث عنها.. صاحبة اللبانة والعيون الناعسة السهتانة التى استفدت بها بعد ذلك فى تمثيل شخصية كريمة فى فيلم (الطريق).

لكن هذا النضج الذى بدأ يظهر فجأة فى أفلامى وأدوارى كان يصاحبه فى نفس الوقت نضج أخر فى علاقاتى الشخصية بعيداً عن الشاشة والأضواء.

أنا والكاتب الكبير

فى هذه الفترة تعرفت بالكاتب الكبير الذى اعتبره مسئولاً عن حياتى الجديدة العاقلة.. حياة المرأة الناضجة التى أصبحت تفكر بعقلها قبل أن تفكر بقلبها.

دعوة من رئاسة الجمهورية وصلت (الكاتب الكبير) لحضور إحدى حفلات العشاء مع الرئيس الذى رحل.. لكن الكاتب الكبير لم يستطع أن يخفى دهشته.. فالدعوة ليست موجهة له وحده.. بل هى أيضاً موجهة إلى (زوجته شادية).

ورفع الكاتب سماعة التليفون ليتحدث إلى الرئيس الراحل جمال عبد الناصر فى ذلك الوقت ليقول له أنه ليس متزوجاً..

فقال له الرئيس جمال عبد الناصر: بل انت متزوج بشادية

قال: أنا لست زوجها.

فقال له: معلوماتنا تؤكد ذلك.

قال: ومن الذى حصل على هذه المعلومات؟

قال الرئيس الراحل: مخابرات صلاح نصر!

وضحك الكاتب الكبير وهو يقول: كنت أرجو فقط من مخابرات صلاح نصر قبل أن تزوجنى أن تأخذ رأيى!

لم أكن أتصور أن هذه الصداقة تهم أحداً سوى الكاتب والمرأة وفوجئت بأنها أصبحت إحدى المسائل العليا فى الدولة.

فوجئت بمقال فى جريدة الدولة فى أربعة أعمدة تهاجم الجريدة فيها الكاتب الكبير لأنه صديق وتقول له (حرام عليك ان فريد الأطرش يبكى فى كل مكان فأعد له المرأة التى يحبها كأن ذلك الكاتب الكبير ركب دبابة واقتحم بيت فريد الأطرش وخطفنى من هناك.. أو كان مسألة صداقتى هى مسألة علاقات دولية).

ثم فوجئت بعد ذلك بأن إشاعة تملأ البلد بأن الكاتب الكبير منعنى من الغناء فى الحفلات وفى التليفزيون بينما الواقع أن الكاتب الكبير كان يلح على أن أغنى.. وكنت قد رأيت أن اعتزل الغناء وأتفرغ للسينما.. وكانت أم كلثوم توسط الكاتب الكبير عندى أن يلح على فى العودة إلى الغناء لأنه كان لها رأى طيب فى صوتى.. وإلحاح أم كلثوم على وحسن ظنها بصوتى هو الذى جعلنى أعدل عن قرارى وأعود إلى الغناء.. ولكن الإشاعات استمرت تطاردنى بأن الكاتب الكبير هو الذى أمرنى بالتوقف عن الغناء.

وعندما بحثت فى ذلك.. وجدت أن هذه الإشاعات ليست إشاعات من الشارع إنما هى إشاعات يرددها مسئولون والمقصود بها القيام بحملة كراهية ضد الكاتب بالذات.

ثم علمت أن بعض المسئولين يتصلون بالصحف فى البلاد العربية وينشورن فيها إشاعة منعى من الغناء وإشاعة زواجى وأحسست أن المقصود بها هو القضاء على صداقتى بالكاتب. ولكننى صمدت وقيل لى أننى برئية وأن الكاتب برىء وأن المقصود بهذه الحملة هو تغطية صداقة شخصية كبيرة بفنانة كبيرة.

أجمل ما فى الحكاية أننى اكتشفت فى هذه الصداقة أن الرقص أو الليالى الحمراء أو ممارسة الشرب أو لعب الورق ليس هو أجمل شىء.. إنما اكتشفت عالماً جيداً لم أعرفه إلا منه وهو أن أجلس مع ذلك (الكاتب الكبير) ومع محمد عبد

الوهاب ونهلة القدسى وأم كلثوم وعبد الحليم حافظ وكمال الطويل من الفنانين ومع كامل الشناوى وعلى أمين وسعيد فريحة وأحمد رجب وموسى صبرى وسعيد سنبل وجليل البندارى ومجدى العمروسى وكمال الملاخ وأنيس منصور.

ونمضى الليل نناقش حواراً فى السياسة والأدب والفكاهة.. كان الواحد يشاهد فيلماً أو أغنية.. ولا أنسى ونحن جالسون عندما وقف عبد الوهاب فجأة وانشغل بتدوين شىء غامض على باب المكتب.. اكتشفت بعد ذلك أن هذه الرموز الغامضة لم تكن إلا اللحن الذى أصبح ذائع الصيت والنجاح (لا تكذبى) وشعرت بسعادة لأنى عشت اللحظة التى ولد فيها هذا اللحن الكبير. كان شيئاً عادياً أن أسمع رأياً أو نقاشاً ثم أجده فى اليوم التالى منشوراً فى الصحف والمجلات فأكون أنا من بين الذين عرفوا الرأى قبل أن يصل إلى القراء.

أو نمضى الليل فى مناقشة كتاب جديد لنعرف ما خلف الكتاب وما خلف المؤلف.. ونسمع تاريخاً لا ينشر وأفكاراً يحذفها الرقيب.. أنك تسمع فى هذه الجلسات أغنية أم كلثوم قبل أن تغنيها وألحان عبد الوهاب قبل أن تذاع وتجديدات كمال الطويل وهى تولد فى رأسه الموسيقى.. وكأنك جالس فى جامعة يختلف فيها الأساتذة.. أو جالس فى مسرح تختلف فيه القصص.. أو فى كونسرفتوار تختلف فيه الألحان.. كل ذلك فى غرفة واحدة.. وكانت هذه السهرات تحدث يومياً أو تتكرر مرتين فى الأسبوع.. وكان أعضاؤها حريصين على أن يحضروها كأنهم طلبة يحرصون على حضور محاضرات الجامعة ويخشون أن يتغيبوا عن إحدى هذه المحاضرات.. فإذا حدث مثلاً أن اضطررت إلى التخلف حرصت أن أعرف ماذا جرى فى المحاضرة الماضية.

أجمل الأشياء أن تجلس وسط فنانين وكتاب ومفكرين مختلفين.. فكر كل واحد منهم أشبه بألة موسيقية.. وكل منهم يعزف لحناً على انفراد وأحياناً يعزفون معاً..

هذه الجلسات ليست فيها صخب ولا خمر ولا رقص ولا طبول.. ولكن فيها أفكار تدوى أحياناً كالطبول وتتمايل كالراقصين.

أنا جبانة.. لكنى عنيدة!

أنا امرأة جبانة ولكنى عنيدة.. وحدث أن غضبت الحكومة على الكاتب الكبير وألزمته أن يلزم بيته.. ووضعت بعض رجال المباحث أمام البيت لتسجيل أسماء الداخلين ونصحنى بعض الأصدقاء ألا أزور الكاتب باعتباره مغضوباً عليه وكنت أزوره من وقت لأخر.. ووجدت نفسى وكلى رغبة فى أن أتحدى هذا الأمر ووجدت لذة فى عنادى بأن أزوره كل يوم.

هذا التغيير الذى طرأ على سلوكى وتصرفاتى لم يكن إلا رد فعل طبيعى لتأثرى الشديد بصاحب العقل الذكى والأفكار المتزنة والقلب الذى منحنى الحنان بلا حدود.

استطاع الكاتب الكبير رغم ظروفه الصعبة أن يجد لحياتى الشعور بالأمان.. بل انه اضاء حياتى بالأمل.. لم أعد أخشى الخوف من الغد ولا من الناس.. لأنه دائماً ينصحنى ويوجهنى ويبعدنى عن الأخطاء.

ما أحوج الإنسان إلى الكلمة العاقلة إذا كانت صادرة من قلب حنون.. ما أروع الحنان عندما يمتزج بالعقل الراجح.. لقد كنت فى فترات حياتى السابقة أتصرف بعواطفى وليس بعقلى وهذه العواطف المتسرعة هى التى أوقعتنى فى مشاكل طويلة لا حصر لها.. لكن هذا الكاتب الكبير علمنى كيف أفكر بعقلى قبل عواطفى.. انه صاحب خبرة عريضة فى الحياة.. انه فقط ليس الإنسان الذى يعطينى حنانه بلا حساب.. بل هو أيضاً الإنسان الذى يعلمنى.

وكان الكاتب الكبير يشجعنى دائماً على العمل ويدفعنى للبحث عن الأدوار الجيدة.. وهو الذى طالبنى بالابتعاد عن الأدوار الخفيفة التافهة.. استفدت منه كثيراً.. من عقله الرجح.. ومن خبرته الطويلة فى الحياة.. ومن حنانه الزائد.. ومن أصدقائه الكتاب والمفكرين الذين اكتشفت من خلالهم المعنى الحقيقى للحياة.

كانت صداقتى بذلك الكاتب الكبير من أجمل فترات حياتى.. فترة عاقلة رائعة وجدت فيها نفسى الضائعة التى كانت معرضة لضياع أشد لو لم أعرف ذلك الكاتب الكبير صاحب

العقل الرجح والقلب الحنون الذى تعلمت منه دروساً فى الحب والحياة ولا أنساها أبداً.

أننى أدين له بالكثير.. بل انه المسئول الأول عن ذلك النضج والعقل الذى بدأ يظهر فى تصرفاتى وأدوارى وأفلامى وعلاقتى بالناس من حولى.. لكنها كانت مرحلة عمل ونشاط ونجاح.

كان ظهور الكاتب الكبير فى حياتى أكبر مساندة لى لأنه جعلنى أحب الحياة التى كدت أن أكرهها..

فترة اعتبرها من أجمل سنوات العمر التى جاءت تعويضاً سريعاً عن أيام وسنوات القلق والأحزان.

إن المرأة تبحث دائماً عن الإنسان العاقل.. فما قيمة العواطف الملتهبة التى تصدر عن إنسان معتوه..

إننى لا أريد (مجنون شادية) الذى يهدم حياتى فوق رأسى.. وقد جربت قبل ذلك النوع من الحب المجنون.. حب الغيرة والشك وعدم الثقة.. لكن الرجل العاقل هو الذى يقدم الحب العاقل.

العقلاء وحدهم هم الذين يشعرون المرأة بالأمان.. لكن للأسف أن (الصديق العاقل) لم يكن يحبذ فكرة الزواج.. وكان صعباً أن أقنعه بالزواج منى.. لأن زواجى منه قد يسبب له الكثير من المشاكل.

غريبة هذه الحياة.. مجانين الحب هم الذين تزوجتهم بسهولة.. أما عقلاء الحب فهم غير القادرين على الزواج منى..

لكم رغم ذلك لم أكن حزينة.. فالحب كما يقولون هو العطاء.. وهذا (الكاتب الكبير) أعطانى الكثير.

كانت أمنيتى أن أتزوج ويكون لى أولاد.. وجدت فى ذلك الوقت أن عمله هو بيته.. وحياته هى عمله.. وأولاده هى الأعمال الأدبية التى يقوم بها.. فانسحبت لأنى أريد بيتاً حقيقياً وأولاداً حقيقيين وحياة على الأرض.

ملحوظة: مصطفى أمين هو (الكاتب الكبير)

الحلقة العشرون:

النجاح فى العمل ليس هو كل شىء بالنسبة للمرأة.. إنها مهما نجحت فى عملها وحتى لو وصلت إلى منصب المديرة أو الوزيرة.. فهى تشعر دائماً بأن هذا النجاح لا قيمة له إذا لم تكن قد انجبت أطفالاً.. الأمومة أعظم شىء فى حياة المرأة.. بل هى حياتها كلها.. والمرأة التى لم تعرف مشاعر الأمومة تشعر باستمرار بأنها لم تعش حياتها وبأن سعادتها ليست كاملة.

إن الرجل قد يجد نفسه فى نجاحه فى عمله.. لكن المرأة لا تجد نفسها إلا فى تجربة الأمومة.. وأنا لم أعش هذه التجربة حتى الأن.. لذلك ظلت حياتى ناقصة.

وهذا الشعور بالنقص لن يزول إلا يوم أن أصبح أماً مثل كل الأمهات.. وأنجب طفلة جميلة أو طفلاً وديعاً وأعطيه كل حبى ووقتى بل وحياتى نفسها.. إنى أحب الأطفال جداً.. ومازلت أذكر أمنيتى الأولى فى الحياة عندما كنت طفلة صغيرة ألعب وسط حدائق انشاص.. أن أبنى وأشيد قصراً جميلاً أجمع فيه كل الأطفال الذين بلا أباء وأمهات لأرعاهم وأعوضهم عن حرمانهم من عطف الأبوة وحنان الأمومة.

كانت مشاعر الأمومة أكبر من سنى وطفولتى.. لكن ذلك الحلم ظل يملأ عقلى.

لكنى الأن أريد أن يكون طفل من دمى ولحمى.. أحمله فى بطنى شهوراً تسعة.. وأتحمل كل الآلام من أجل أن يخرج يوماً إلى نور الحياة.. وأخاف عليه.. وأرعاه وهو يكبر كل يوم أمامى.

أمنية بسيطة تحققها كل يوم عشرات الأمهات.. لكن حياتى غير المستقرة حرمتنى من هذه الأمنية.. وسنوات العمر تجرى بسرعة.. إنى أشعر بالفزع عندما أتصور نفسى وقد وصلت إلى سن الأربعين أو الخمسين دون أن يكون لى طفل أو طفلة.. ستكون حياة جافة وتعيسة بلا أطفال يجرون ويضحكون ويلعبون من حولى.. أناديهم وينادوننى.. ألاعبهم ويلاعبوننى.. ويملأون على بيتى وحياتى.

إن البيوت مهما كانت جميلة ستصبح موحشة وكئيبة جداً بدون الأطفال.. إن الله سبحانه وتعالى يقول (المال والبنون زينة الحياة الدنيا).

وأنا حصلت على المال لكن لم أحصل حتى الأن على الأطفال الذين سكونون زينة لحياتى التى تمضى أيامها بسرعة قبل أن أجد نفسى غارقة فى بحر الندم.. قبل أن يأتى اليوم الذى أقول فيه يا ليتنى هجرت عملى كله من أجل ابتسامة طفل واحد.. يا ليتنى أدرت ظهرى لكل أدوار البطولة والأجور المغرية وعشت تجربة الأمومة.. لقد نجحت كممثلة.. أصبح أسمى أكبر نجوم الغناء والتمثيل.. أفلامى يمتد عرضها أسابيع طويلة.. وكل يوم يعرض على المنتجون قصصاً جديدة لكى اختار من بينها القصة التى تناسبنى.

لكن النجمة الكبيرة ليست سعيدة.. لقد نجحت كفنانة وفشلت فى أن أصبح أماً.. لقد تزوجت مرتين وقدمت أدوار الأم أكثر من مرة على الشاشة.. ونجحت فى دور الأم على الشاشة فقط.. لماذا لا أعيش دور الأم وتجربة الأمومة بعيداً عن الشاشة والأضواء والكاميرات.. لماذا لا أتخذ قراراً بأن أؤدى فى كل عام دوراً سينمائياً واحداً أشبع به رغبتى وحبى للفن لأتفرغ بقية شهور السنة لإشباع رغبتى وحبى للأمومة؟

وقررت أن أصبح أماً!

وفوجىء المنتجون والمخرجون بأننى بدأت أرفض الأدوار الكثيرة التى يعرضونها على.. ظنوا أن سبب الرفض أننى أريد أجراً أكبر فرفعوا أجرى.. لكننى قلت لهم بصراحة ابتداءً من الأن لن أقدم إلا فيلماً واحداً فى العام.. ولم يفهموا سر هذا التحول فى حياتى.

لقد حققت كممثلة نجاحاً لم أكن أحلم به.. وأنا الأن أريد أن أنجح كأم لأن نجاحى سيظل ناقصاً إذا لم أعش تجربة الأمومة.

سأعمل فقط لمدة شهرين أن ثلاثة شهور لكى أتفرغ بقية شهور العام لطفلى وبيتى وزوجى.

ولكن أين هو هذا الزوج؟

من هو ذلك الرجل الذى سأنجب منه طفلى وأعرف معه معنى الأستقرار؟

الغريب أننى انشغلت جداً بالأمومة ونسيت أن أفكر فى الرجل المجهول الذى سيحقق لى حلم حياتى.. لا أعرف أين سألقاه ولا متى سأقابله.. لكن مشاعر الأمومة بدأت تشغل كل حياتى ولم أعد أحلم إلا باليوم الذى سأصبح فيه أماً. وذات يوم دق جرس التليفون وسمعت صوت رجل..

ألو.. أنا صلاح ذو الفقار..

وتذكرته.. انه ذلك الممثل الشاب الذى رأيته لأول مرة منذ سنوات وكان ساعتها ممثلاً جديداً مغموراً عندما قدمه شقيقه المخرج الراحل عز الدين ذو الفقار لأول مرة على الشاشة فى فيلم "سهرانة" الذى كنت أقوم ببطولته. والحقيقة أنه لم يلفت نظرى فى ذلك الوقت.. وعرض الفيلم ولم يحقق نجاحاً.. ونسيت الفيلم ونسيت معه ذلك الوجه الجديد صلاح ذو الفقار ولم أره بعد ذلك.

وبعد هذه السنوات يحدثنى الأن بعد أن أصبح نجماً سينمائياً معروفاً.. ماذا يريد منى؟

أغلى من حياتى!

استمعت إليه جيداً وهو يشرح لى قصة الفيلم الجديد الذى سيقدمه "أغلى من حياتى" ويريد منى أن أشاركه فى بطولته.. إنها تقريباً نفس قصة الفيلم العالمى "الشارع الخلفى" الذى لعبت فيه "سوزان هيوارد" دور البطولة أما هو فسيمثل نفس الدور الذى قدمه على الشاشة "جون جافن".. قصة الإنسان الذى حفق قلبه بالحب وهو مايزال شاباً صغيراً.. لكن ظروف الحياة أبعدته عن الإنسانة التى أحبها وتزوج من فتاة أخرى لا يحبها.. أما "فتاة الأحلام" فلم تتزوج وظلت تحبه فى صمت..

ولم يخفق قلبها بحب لإنسان غيره وبقيت تعيش على ذكراه وبعد الفراق الطويل يلتقيان من جديد بعد أن أصبح هو أباً لأبناء أصبحوا شباباً كباراً لذلك لم يجرؤ على الزواج منها رسمياً علنياً بل فضل أن يتزوجها سراً من خلف ظهر المجتمع حتى لا يصدم أبناءه الذين كبروا ولكى لا يؤثر ذلك الزواج الجديد على عمله كرئيس لمجلس إدارة إحدى الشركات.

وكانت هى قانعة بهذه الدقائق الخاطفة التى يراها فيها كان إذا سافر سافرت معه.. وتكتفى بأن تلاحظه وتشاهده من بعيد مع زوجته وأولاده.. وأستمر هذا الحال إلى أن اكتشف ابنه الأكبر هذه العلاقة وظن أنها علاقة غير شرعية فثار على الأب الذى لم يتحمل هذه الصدمات فمات وهو يدافع عن الإنسانة الوحيدة التى أحبها..

وسألنى صلاح ذو الفقار:

ما رأيك فى هذه القصة؟ اننى أعدها منذ ستة شهور لكى أقوم ببطولتها أمامك.. وأنا اشترك فى كتابة السيناريو والحوار.. وأراك دائماً فى مخيلتى.. ما رأيك يا شادية؟ السيناريو جاهز.

وقلت له:

لا مانع من قراءة السيناريو.. وبعد ذلك سأحدد موقفى.

وفى اليوم التالى كان صلاح ذو الفقار يدق جرس باب البيت حاملاً مع سيناريو "أغلى من حياتى."

وبدأت أقرأ معه السيناريو.. ووجدته متحمساً جداً.. وأنا احترم الإنسان الذى يتحمس لعمله.

وكان المفروض أن يخرج القصة حسن الإمام ولكنه كان مشغولاً فى ذلك الوقت.. وتقرر أن يتولى محمود ذو الفقار إخراج الفيلم.. وهكذا ارتبطت أكثر مع عائلة ذو الفقار فقد عملت مع عز الدين ذو الفقار ثم مع محمود ذو الفقار والأن يشترك معى صلاح ذو الفقار لأول مرة فى البطولة المطلقة.

إن الفنان يشعر أحياناً بحب شديد لدور معين يؤديه ويتصور أن هذا الدور هو دور العمر.. وهذا كان شعور صلاح ذو الفقار مع دوره فى "أغلى من حياتى".. كان يعمل بصدق وإحساس

لدرجة أنى أحسست أنها تكاد تكون قصة حياته هو.. وبدأت أحب القصة وأندمج فيها.

..وتحول التمثيل إلى واقع!

وسافرنا مع المخرج الراحل محمود ذو الفقار إلى مرسى مطروح التى أختارها لتصوير المناظر الخارجية.. ما أجمل المناظر الطبيعية هنا فى مرسى مطروح.. ما أروع لون مياه البحر.. ذلك اللون التيركوازى المحبب إلى نفسى.. وما أحلى ذلك الهدوء العجيب.. إن جمال الطبيعة حرك أحاسيسى التى تأثرت بقصة الحب الإنسانية التى تمثلها.. لكن هذا الجو العاطفى الشاعرى الذى نعيش فيه بدأ يتحول إلى واقع.. وبدأت قصة حب حقيقية تولد فى قلبينا.. وساعد جمال الطبيعة وقصة الفيلم الرقيقة على النمو السريع لهذا الحب فى قلبى وفى قلب صلاح.. وكان لابد أن نسافر بعد ذلك إلى أسوان لكى نكمل تصوير بقية أحداث الفيلم.. وتحت شمس أسوان الدافئة اكتملت قصة حبنا..

هل هو حب حقيقى؟ أم أنه كان فقط بتأثير جمال الطبيعة ورقة القصة التى نمثلها؟

أصبحنا لا نفرق بين واقعنا الذى نعيشه وبين التمثيل الذى نؤديه أمام الكاميرا.. اختلطت قصة حبنا الحقيقية بقصة الحب التى نمثلها.. وكدنا ننسى أننا نقف أمام الكاميرا.. وكان المخرج محمود ذو الفقار ينبهنا إلى ذلك بعد أن لاحظ أندماجنا الشديد فى الحب.

وعادت إلينا مشاعر أيام المراهقة.. وأصبحنا نجرى ونمرح ونتصرف كالمراهقين.

ووسط جزيرة النباتات وقف صلاح لكى يحفر فوق جذع شجرة كبيرة الحروف الأولى من اسمى واسمه.. ثم انشغل بالتقاط مجموعة من الصور لى وأنا واقفة وسط جزيرة الحب.. جزيرة النباتات.. ثم قمت أنا بالتقاط مجموعة من الصور له وسط هذه الجزيرة المسحورة التى اكتشفنا فوق أرضها أن الحب قد ربط بين قلبينا.

ولم نفق من هذا الحلم إلا على مشهد النهاية.. لقد انتهى تصوير الفيلم دون أن نشعر بأن كل هذا الوقت قد مضى هكذا سريعاً.. وكان من الممكن أن ينتهى هذا الاندماج بعد الانتهاء من تصوير الفيلم.. ولكن القصة استمرت بعد انتهاء التصوير.. ولم يمر على موعد انتهاء التصوير شهران حتى كنا متزوجين!

إلى اللقاء فى الحلقة الحادية والعشرين

ملحوظة: اسم أول فيلم اشتركت فيه شادية مع صلاح ذو الفقار هو "عيون سهرانة" وليس "سهرانة" فقط وهو من إنتاج عام 1956.. وفيلم أغلى من حياتى من إنتاج عام 1965.

الحلقة الحادية والعشرون:

وبدأت أشعر بالاستقرار وبأن الأمومة لم تعد حلماً.. وبأن السماء قد دفعتنى للقاء صلاح ذو الفقار ليكون هو الرجل الذى سيحقق لى الأمومة التى أبحث عنها.

إن دور صلاح فى فيلم "أغلى من حياتى" لم يكن فقط الدور الذى جعلنا زوجين نعيش مع الاستقرار فى بيت واحد.. بل هو كذلك الدور الذى ارتفع باسم صلاح إلى مصاف كبار النجوم.

كان النظام من أهم مميزات صلاح.. لقد تعود النظام الدقيق فى عمله السابق كضابط بوليس.. وبدأ ينظم لى حياتى المرتبكة.. فمثلاً كانت الضرائب من أكبر مشاكلى.. وكل يوم كانوا يرسلون لى إنذاراً بالحجز.. وتولى صلاح مهمة تنظيم حياتى الضرائبية فأزال من نفسى شعور القلق الدائم بسبب إخطارات الضرائب التى تهددنى.. ونظم لى أموراً أخرى كثيرة فى حياتى.. لكن الصوت العالى كان من أبرز عيوبه أو هو عيبه الأول.. وأنا لا أحب الصوت المرتفع.

وكثيراً ما كنت استيقظ من نومى العميق فزعة مضطربة بسبب صوته الغاضب وشجاره وصراخه مع الطباخ وطبعاً يصعب على أن أنام مرة أخرى.. كيف أنام بعد ذلك التوتر المفاجىء الذى أصابنى.. وكيف يكون شعور الإنسان إذا كان الصراخ هو أول صوت يسمعه فى بداية يوم جديد؟

أليس من الأفضل أن يستيقظ ويفتح عينه على وجه باسم وصوت هادىء حنون فتكون هذه بداية رائعة ليوم جديد؟ لكن قلت أن هذه عيوب يمكن إصلاحها ومعالجتها.

وبدأت أفكر فعلاً فى الإنجاب.. كانت فرصة مناسبة للإنجاب بعد أن قدمت خلال الفترة الماضية حوالى (150 فيلماً).. الأن

من حقى أن أستريح قليلاً وأن أهتم بحياتى الخاصة بعد هذه الرحلة الفنية الطويلة الشاقة جداً.

آن الآوان لكى أعرف طعم الراحة ويكفينى كما قلت دور واحد وفيلم واحد كل عام.. وبدأت أنفذ هذا القرار بدقة عندما بدأت أشعر بحركة الجنين فى أحشائى.. إنها أسعد لحظة فى حياتى تلك التى شعرت فيها بأول حركة للجنين فى بطنى.. إن حياة جديدة تولد داخلى.. شعور جديد له أعرفه من قبل بدأ يستولى على قلبى وكل أحاسيسى.. شعور لا تعرفه إلا الأم.. إن الحلم الذى انتظرته طويلاً بدأ يتحقق أخيراً.. ونسيت السينما والأفلام والاستديوهات والأضواء بل نسيت العالم كله ولم أعد أفكر ولا أهتم إلا بطفلى وتجربتى الأولى مع الأمومة.. وبدأت أعد الأيام والشهور وأراقب حركته داخل أحشائى وانتظر بفارغ الصبر ذلك اليوم الذى سيخرج فيه الجنين إلى الوجود.. ومضت سبعة أشهر ولم يعد باقياً سوى شهرين.. وتمنيت أن يمر هذان الشهران فى لحظات.. أن أغمض عينى وافتحهما فأجد طفلى بين يدى ألاعبه وأطعمه وأحتضنه وأقبله بحب.. حب الأمومة الذى لا يدانيه حب أخر فى العالم.

وفقدت الجنين!

وساعة الغروب وأنا ممدة فوق سريرى أحلم بطفلى القادم.. كنت أسمع صوت عازف الناى الذى كان يختار هذا المكان بالذات على النيل وهذا الوقت بالذات مع الغروب لكى يقدم ألحانه المؤثرة جداً.. وكان صوت الناى يختلط بأحلامى فيجعلها رائعة أكثر.

ومع منتصف الليل شعرت فجأة بآلام مبرحة.. ونقلونى بسرعة إلى المستشفى وغبت عن وعيى ولم أعد أشعر بشىء.. وعندما أفقت كان بطنى ساكناً هادئاً لا حركة فيه.. وكدت أصرخ لكن الذهول قيد لسانى.. ما هذا الكابوس المزعج.. ما هذا الحلم المخيف.. هل هذا صحيح أم أننى أحلم.. رب اجعله خيراً..

ولم أفق من ذهولى إلا فى اليوم التالى.. عندما عدت إلى البيت.. تمددت فوق السرير والحزن يعتصر قلبى ومن حولى

صلاح وأختى وبقية الأهل.. وفى نفس الموعد سمعت صوت الناى..

ولكن صوته اليوم حزين وهو يعزف هذا اللحن (واحشنى وانت قصاد عينى).. بكيت كما لم أبك من قبل.. فمع هذا اللحن كنت أدلل طفلى وهو يتحرك بعنف فى بطنى وكأنى أقول له فعلاً (واحشنى وانت قصاد عينى).

لكن عازف الناى لا يعرف أن الجنين لم يعد يتحرك على ألحانه.. انه لا يعلم أن عزفه يحرك كل أحزانى.. وانفجرت فى البكاء.. وكأن عازف الناى يشعر بمأساتى فتوقف عن العزف مع غروب الشمس الذى أحسست معه بغروب الأمل.

ومر وقت طويل قبل أن أتماسك وأعاود حياتى العادية.. وبدأت انشغل بمجموعة من الأفلام الكوميدية التى كانت بدايتها الناجحة فى فيلم (مراتى مدير عام)..

لكن الجرح النفسى كان يؤلمنى كلما رأيت الفساتين الصغيرة التى كنت قد طلبت من الفنانة سميرة أحمد أن تعدها لطفلى وفساتين الحمل الواسعة التى كنت قد ارتديتها لا تزال معلقة فى دولاب ملابسى..

وكانت هذه الأفلام الكوميدية (مراتى مدير عام) و(الزوجة 13) و(عفريت مراتى) و(كرامة زوجتى) رد فعل طبيعى للحالة التى انتابتنى بعد فقدان الجنين.

كنا نؤدى معاً دور الزوجين فى البيت وعلى الشاشة أيضاً.. واستطعنا أن نتعرض لمشاكل المرأة العاملة وهى مشاكل جديدة على الشاشة.

وكان فطين عبد الوهاب، رحمه الله، مخرج هذه السلسلة الكوميدية من الأفلام الناجحة.. كان بالنسبة لى صديقاً عزيزاً.. يحاول فى كل وقت أن يرفه عنى بنكاته وضحكاته.. لينقلنى إلى جو مرح بعيداً عن أحزانى.

..وترك صلاح المنزل

لكن بعد هذه المجموعة المشتركة من الأفلام بدأ كل واحد منا أنا وصلاح ينشغل بأدواره الخاصة.. هو يعمل طول النهار فى استديو مختلف وأنا أعمل طول النهار فى استديو أخر.. وتكون

النتيجة أن نعود فى نهاية اليوم مرهقين جداً.. هو ينتظر منى الكلمة الرقيقة.. وأنا انتظر منه الكلمة الرقيقة.. بعد هذا التشتت والإرهاق الطويل.

ورغماً عنا بدأت أعصابنا تتوتر.. وعاد صوت صلاح المرتفع يعلو من جديد.. وبدأ يرفع صوته لأتفه الأسباب.. وكنت قد وصلت لدرجة من الملل كان من المستحيل السكوت عليها.

أصبح عدم التوافق بيننا واضح جداً.. وبدأت أفكر فى الانفصال.. قلت له يجب أن ننفصل بهدوء وبالتدريج ووافقنى هو على ذلك.. وتركت البيت وذهبت لأقيم فى الشاليه الخاص بى فى الهرم إلى أن يتمكن من ترتيب أشيائه قبل الرحيل.. وكنت أمثل فى ذلك الوقت فيلم (أضواء المدينة) وكان صلاح يزورنى فى الاستوديو أثناء العمل من وقت لأخر.. ثم اتصل بى وأخبرنى انه أعد حاجاته وقال انه سيترك البيت فوراً.. فعدت إلى البيت ولم أجده.

..واستقبلنى بالأحضان

انتهزت عودة اختى عفاف من اسطنبول لكى أسافر إلى الإسكندرية وأكون فى استقبالها كمحاولة للخروج من هذا الجو القاتم بعد قرار الانفصال.

وذهبت مع اختى سعاد والفنانة مريم فخر الدين التى كانت بالصدفة ذاهبة لاستقبال ابنها العائد من الكويت.. وجاء معنا أيضاً أخى طاهر.. وفى الإسكندرية بدأت أشعر بآلام الفراق.. وقلت لنفسى لقد تسرعنا وكان يجب أن نفكر كثيراً قبل اتخاذ قرار الانفصال.

هذه الأفكار ملأت عقلى عندما سمعت أغنية نجاة التى تقول فيها (إلا حبك يا حبيبى) فأعادت الأغنية إلى نفسى كل الذكريات السعيدة التى قضيتها مع صلاح ذو الفقار.. وبدأت اسأل نفسى هل يفكر هو فى الآن كما أفكر فيه؟

وشاءت المصادفة الغريبة أن ألتقى فى نفس هذه الليلة بالفنانة نجاة والمخرج الراحل فطين عبد الوهاب والمصور المعروف وديد سرى.. وتصادف أن نجاة كانت قد أحضرت

معها تسجيلاً لأغنيتها التى أعادت إلى عقلى كل هذه الذكريات.

وسهرنا لنسمع الأغنية طوال الليل.

وعاد الحنين من جديد.. وقمت لأطلبه فى التليفون فقال لى.. متى ستعودين؟

قلت بمجرد أن أنتهى من اجراءات وصول أختى عفاف إلى الميناء.

وصعدت إلى الباخرة والتقيت بأختى عفاف التى لم أكن قد رأيتها منذ سنوات.. والتى كان مفروضاً أنها ستبقى مع زوجها رؤوف ساعتين فقط (ترانزيت) فى ميناء الإسكندرية لكى يواصلا رحلتهما.. لكنى طلبت منها بإلحاح أن تبقى معنا مدة أطول.. وذهبت إلى القبطان الذى ساعدنى على إعطاء تأشيرة دخول.

وعدت إلى القاهرة مع اختى عفاف وزوجها وابنها وبقية أفراد الأسرة.. وفى القطار كنت أفكر فى صلاح.. أين هو الآن؟ كيف سيكون اللقاء بيننا بعد هذا الفراق؟ ماذا أقول له؟ وماذا يقول لى، ولكنى لمحته واقفاً وسط الزحام فى محطة باب الحديد.. ولم نتكلم.. لم يقل شيئاً.. لم يعتذر.. وحتى لم ينطق بكلمة واحدة.. لكنه فتح ذراعيه ليحضننى بشوق كبير وسط ذهول كل الركاب الواقفين فوق رصيف المحطة!

إلى اللقاء فى الحلقة الثانية والعشرين

ملحوظة: فيلم (الزوجة 13) لم يكن بعد فقدان الجنين ولم يكن أصلاً خلال فترة زواج شادية من صلاح ذو الفقار والفيلم طبعاً بطولة شادية ورشدى أباظة فى أفضل أدوار رشدى أباظة على الإطلاق.. الفيلم تم عرضه عام 1962 أى قبل 3 أعوام من الزواج.. خطأ مطبعى من الكاتبة ليس أكثر.. وبالطبع 150 فيلماً هو رقم للمبالغة فقط والتعبير عن كثرة الأفلام ولكن إجمالى عدد أفلام الفنانة شادية هو 114 فيلم بالإضافة إلى فيلمين اشتركت فيهم بالغناء فقط.

الحلقة الثانية والعشرون:

تطلع كل الواقفين فوق رصيف محطة باب الحديد نحوى بذهول شديد وهم يرون صلاح ذو الفقار يفتح ذراعيه ليحتوينى بينهما بشوق زائد.

وسبب هذا الذهول أنهم يعلمون أن الطلاق قد فرق بيننا.. إن نصفهم على الأقل لابد أنهم قرأوا أخبار الانفصال فى الصحف.. وأخبار زواج وطلاق النجوم لها سحر خاص.. وبعض المحررين الفنيين يعتبرون رصد العلاقات بين الفنانين وظيفتهم الأولى.

أحياناً أحسد الإنسان العادى البعيد عن الشهرة والأضواء.. إنه يستطيع أن يفعل أى شىء.. يتزوج أو يفكر فى الطلاق أو يحب أو يكون صداقات دون أن تكون أخباره الخاصة فوق صفحات الصحف والمجلات.. إنه يشعر أنه حر يمتلك حياته الخاصة.. لكن الفنان المعروف يشعر أحياناً أنه لا يمتلك حياته.. وأن أخص وأدق أسراره معروفة ومنتشرة على كل لسان.

وهو لذلك يضطر ليمثل دور السعيد.. فالابتسامة يجب ألا تغيب عن وجهه أبداً مهما كان تعيساً.. والفرحة يجب ألا تزول من عينيه حتى لو كان يعيش فى مأساة.. إن الوجه هو مرآة الإنسان التى تكشف كل ما فى داخله.. لكن مرآة الفنان خادعة دائماً.. لأنها لا تصور إلا جانباً واحداً فى حياته.. ولأنها لا تقول الحقيقة أبداً.

ولابد أن هؤلاء الواقفين فوق رصيف المحطة قد ظنوا أن هذا اللقاء العاطفى ليس إلا مشهداً تمثيلياً فى أحد أفلامى الجديدة مع صلاح ذو الفقار.. لكن عدم وجود كاميرا ولا مخرج ربما يكون قد أغرقهم فى حيرة شديدة وجعلهم يتساءلون – إذا كانا قد انفصلا كما تقول الصحف.. فكيف يحدث هذا اللقاء الحار وسط الناس؟

هل عادا فجأة كما انفصلا فجأة؟

ولم يكتف صلاح بذلك العناق.. بل بدأ يمطرنى بالقبلات التى زادت الناس حيرة.. ولابد أن هذه القبلات الحارة التى جعلتهم يقولون أن هذا اللقاء فوق رصيف محطة القطارات لم يكن إلا بداية مرحلة جديدة فى حياتنا الزوجية.

وهمست عفاف أختى فى أذنى – انه يحبك.. لماذا التفكير فى الانفصال.. لا.. لا.. أنا غير موافقة على ذلك.

وقرأت فى عينى زوجها رءوف نفس المعنى.. لقد كانت المرة الأولى التى يريان فيها صلاح.. وكان واضحاً أن انطباعهما عنه طيب ومريح.. وعلى الأقل وجدت فى كلماتهما تقبلاً وتعاطفاً سريعاً معه.

وبسرعة تحولا إلى صفه.. وتحولت أختى إلى حمامة سلام.. وزوجها أيضاً كان من المؤيدين للعودة إلى بيت الزوجية الذى هجرناه فجأة.

وقد حدث ما طلباه.. فقد اتجهت مع صلاح من محطة باب الحديد إلى المأذون.. وكانت أختى وزوجها شاهدى عقد القران.. أقصد شاهدى العودة إلى بيت الزوجية.. وبداية شهر العسل الجديد الذى قررنا أن نقضيه فى فندق سميراميس.. وكانت ليلة العودة ليلة اعترافات.. اعترف هو بكل أخطائه.. واعترفت أنا بكل أخطائى.. ووعدنى بألا يضايقنى بعد ذلك وأن يتجنب كل التصرفات التى تسبب لى هذا الضيق.. ووعدته أنا أيضاً ألا أضايقه بعد ذلك وأن أتجنب كل التصرفات التى تسبب له هذا الضيق..

كانت ليلة عتاب.. والعتاب الطويل تعبير عن الحب.. فالذين لا نحبهم لا نفكر أبداً فى معاتبتهم.. العتاب لغة المحبين..

وعندما يبدأ العتاب يعود معه الحب كما كان وأحياناً أقوى مما كان.

وتركنا فندق سميراميس وعدنا إلى بيتنا لنستأنف حياتنا الزوجية من جديد.

ليلة العودة!

وبدأت أنفذ وعودى.. وهو أيضاً بدأ ينفذ وعوده.. إننا نحاول تجنب الصدام ونتحاشى الخلافات.. كانت اتفاقية مشتركة للهروب من المشاكل والبحث عن الاستقرار.

لكنى بدأت اكتشف أن هذا الحرص الشديد على تجنب المشاكل جعلنا نبدو فى حالة غير طبيعية.. فالإنسان لا يتغير هكذا بسهولة.. لا يتخلى عن تصرفاته التى تعود عليها سنوات طويلة بقرار مفاجىء.

ورغم شعورى بأنه ليس سهلاً تنفيذ بنود اتفاقية ليلة العودة فى فندق سميراميس.. إلا أنى تمسكت بالبقية الباقية من الأمل.

إن صلاح يحاول أن يكون هادئاً حسب الاتفاقية لكن أعصابه تخونه.. ورغماً عنه بدأ صوته يعلو بالتدريج وبدأت أعصابه تفلت منه.

وأنا لا أستطيع أن أغير طباعه بسهولة.. وهو لا يستطيع أن يغير طباعى بسهولة.. والمشكلة أنه فنان وأنا فنانة.. وتغير طباع الفنان ليست مسألة سهلة.

وبدأ شبح الانفصال والطلاق يهدد حياتنا الزوجية مرة أخرى.

أنها المرة الثالثة ولابد أن أتمسك بها مهما كانت الظروف مغامرة.. وللأسف فإن بعض من سيقرأون هذه الصفحات من ذكرياتى قد يظنون أنى مغامرة.. أحب المغامرات ولا أسعى للاستقرار.. أحب التغيير ولا أطيق الحياة مع رجل واحد.. وهم إذا فكروا بهذه الطريقة فإنهم سيظلموننى ظلماً شديداً.. لقد كان منتهى أمالى أن استقر وأعيش مع رجل أحبه ويحبنى.. أثق فيه ويثق بى.. ولو أن حبيبى الضابط الشهيد كان قد عاش.. لو أنه لم يمت فى حرب عام 1948 لكنت الأن زوجة سعيدة معه.. ولكنا الأن نحتفل بعيد زواجنا الخامس

والعشرين مع أولادنا وبناتنا.. ولكنت قد انسحبت بعيداً عن الشاشة والأضواء وعشت حياة عادية مثل ألوف الزوجات.. ولما كنت تزوجت أبداً برجل ثان أو ثالث.

وكنت بالتأكيد سأظل زوجة واعية مخلصة لذلك الرجل الذى أحبته.. الصعيدى الإنسان الذى علمنى الحب.

لكن الإنسان أحياناً يخطط لحياته خطاً معيناً وطريقاً محدداً.. لكنه فجأة يكتشف أنه قد سار بعيداً عن هذا الطريق.. وأن كل ما يتمناه المرء لا يتحقق بسهولة.. لأن الأحلام شىء والواقع الذى لا يرحم شىء أخر.

اننى فقط إنسانة تبحث عن الحب الصادق والرجل الذى يعطيها الحنان بلا حدود.. وما ذنبى إذا كانت الظروف تعاندنى وتتحدانى.. وإذا كانت الأقدار قد عبثت بحياتى وحطمت كل أحلامى الجميلة؟

لا أقول ذلك دفاعاً عن نفسى.. ولا تمهيداً لذلك الانفصال الأخير بينى وبين صلاح ذو الفقار الذى أصبح هو الحل الوحيد الذى لا بديل عنه.

الحلقة الثالثة والعشرون:

من أجل طفلى!

لكن الجنين الذى بدأ يتحرك فى احشائى للمرة الثانية هو الذى جعلنى أتماسك وأتحمل كل شىء وأسيطر على أعصابى واتجنب الانفجار فى أى لحظة.

إن الطفل القادم يجعلنى قوية وصابرة.. لأنه السعادة الحقيقية التى أبحث عنها.. وإذا كنت قد فشلت فى علاقاتى وتجاربى الزوجية.. فأنا على الأقل يمكن أن انجح فى أن أكون أماً عندما يصبح لى طفل يعوضنى كل شىء ويجعل للحياة معنى بعد أن أوشكت على الاقتناع بأنها ليست لها أى معنى.

من أجل هذا القادم الجديد أتعلم الصبر.. فحنين الأمومة فى أعماقى كان أقوى من كل شىء.

وطلب منى الطبيب فى هذه المرة أيضاً أن أنام على ظهرى طوال فترة الحمل.. واستسلمت لأوامر الطبيب.. ولأوامر الوليد القادم للحياة.. حياتى التى ستصبح مثل الصحراء القاحلة لو لم أعش تجربة الأمومة.. ان فى قلبى حناناً يكفى أطفال العالم كله.. حنان مكبوت قديم يوشك أن ينفجر كشلال يغمر الدنيا كلها حناناً.. ما أسعد طفلى الذى سيتمتع بكل هذا الحنان.. إن زملاءه الأطفال سيحسدونه على كل هذا الفيض من الحنان.. وهو نفسه سيشعر عندما يكبر بأن أمه ليست مثل كل الأمهات.. وأن حنانها ليس له مثيل.

ونمت على ظهرى شهوراً طويلة أحلم بأجمل أحلام العمر.. حلم لا تعرفه إلا الزوجات المحرومات من متعة الإنجاب.. إن الإنسان لا يعرف قيمة الشىء إلا إذا حرم منه.. هل يشعر الغنى بالجوع إذا كان يأكل أشهى الأطعمة فى أى وقت؟

لكن الفقير الذى عرف الجوع هو الذى يعرف قيمة المال.

والمال ليس كل شىء فى الحياة.. أعرف أناساً يملكون أموالاً مكدسة فى البنوك لكنهم ليسوا سعداء.. فسعادتهم لن يجدوها إلا فى عيون وابتسامات أطفالهم.. فليأخذوا منى كل شىء مقابل أن أرى وجه طفلى وهو يبتسم ويستقبل نور الحياة.

حكمتك يارب!

وفجأة وجدت نفسى غارقة فى غيبوبة طويلة.. وعندما أفقت واستعدت وعيى لم أسمع صوت طفلى الذى انتظره.. وجدت أصابعى المرتعشة تتحسس مكانه إلى جانبى.. ولم أجده.

أين طفلى؟

هل هو فى الداخل؟ هل معك يا أمى؟

هل حمله أبوه؟

ولم أجد فى نظراتهم إلا الصمت الحزين..

إن الله لم يرد.. هذه إرادة الله يا ابنتى.

ولم أعلق.. بقيت ساهمة صامتة وأنا أفكر فى كلمات أمى ومعانيها وبدأت أقنع نفسى بأن هذه إرادة الله لابد أن أتقبلها بروح راضية.

وبدأت أشعر بأن هذا هو قدرى.. ولم أعد أفكر بعد ذلك فى الحمل أو الإنجاب لاقتناعى بأنى سأواجه نفس المصير.. حمل.. ثم نوم إجبارى على ظهرى بأمر الطبيب.. وتوقف عن النشاط والعمل.. واستغرقت فى أحلام اليقظة المعذبة.. ثم فى النهاية لا شىء.. وسأصحو كل مرة من غيبوبتى لأفاجأ بنفس النتيجة.

لا صياح طفل بل حزن عميق فى نظرات الإشفاق التى تطل على..

وفى كل مرة ستكون الصدمة أكبر.. إن صدمة فشل الحمل فى المرة الثانية أقسى وأمر من فشل حمل المرة الأولى.. لن أستطيع أن أكون أماً فلماذا العناء؟

إنها حكمتك يارب.. ولا اعتراض لى أبداً على مشيئتك.. وحاولت أن ابتلع أحزانى.. لكن هذه الأحزان بدأت رغماً عنى تظهر فى سلوكى وتصرفاتى.. لقد أصبحت عصبية.

وصلاح أيضاً.. لقد كان هذا الطفل القادم هو الأمل الأخير لحماية حياتنا الزوجية.. كان هو المنقذ ولذلك انتظرته.. ولكنه لم يصل لكى ينقذ حياتنا الزوجية التى لم تكن هناك قوة فى العالم تستطيع أن تمنع اقتراب نهايتها السريعة.

هذا الحب الذى كان يوماً قوياً رائعاً بدأ يلفظ أنفاسه الأخيرة.. وهذا الإنسان الذى غنيت له أغانى الحب أصبح عصبياً غاضباً دائماً.. لم يعد يطيق سماع تعليقاتى ومناقشاتى أو حتى صوتى.. مع أنه نفس الصوت الذى غنى له خصيصاً أغنية "أنا.. يا روحى أنا.. هغنيلك" وهو أيضاً نفس الصوت الذى غنى له أغنية "أنا فين" هذا الصوت الذى غنى له أحلى معانى وكلمات الحب أصبح بالنسبة له صوتاً مزعجاً مثيراً للأعصاب والتوتر.

الحلقة الرابعة والعشرون:

هل الزواج حظ؟

هل أقول "المكتوب على الجبين لازم تشوفه العين".. لا، بل لابد أن أقول أن الزواج مسئولية كبيرة.. شركة بين اثنين.. ولكى تسير الحياة الزوجية لابد أن يحترم كل منهما الأخر.. إن الحب أيضاً احترام.. وبدون هذا الاحترام المتبادل لا يعيش الحب ويصبح عمره قصيراً جداً.

ولابد أن تكون هناك تنازلات مشتركة.. الزوج يتنازل.. والزوجة أيضاً يجب أن تتنازل.. وهو تنازل لا يجرح كرامتها.. لأنها تفعل ذلك لكى تحمى حبها وحياتها الزوجية.. والتنازل المشترك المتبادل هو نتيجة طبيعية للحب.. لكن حبنا كما قلت يلفظ أنفاسه الأخيرة.. وفى ظل الحب القوى يقبل الإنسان التنازلات.. أما إذا فقد الحب قوته فإن التنازل لا يكون له معنى.

هل عملى هو السبب؟

هل كونى فنانة هو سبب هذا الفشل المتواصل فى الزواج؟ لا أظن ذلك.. إن الزواج أو بالأصح الفشل فى الزواج ليست له أية صلة بكونى فنانة أو امرأة عاملة أو حتى زوجة عادية.

ربة البيت فى أعماقى أقوى من الفنانة.. أو هى على الأقل فى نفس قوتها.. إننى مهما انشغلت بالعمل داخل الاستوديوهات

ومهما عدت إلى بيتى متعبة مرهقة فإننى بمجرد عودتى إلى منزلى أنسى كل متاعبى وأعيش حياتى كربة بيت.. وأشعر بنفس المتعة التى أشعر بها وأنا أؤدى الأدوار الجيدة أمام الكاميرا.

واعترف بأننى كنت فى بعض الفترات أفضل عملى عن أى شىء أخر.. لكنى كنت أيضاً أحب بيتى وزوجى بل وكنت مستعدة للتضحية بجزء من نشاطى فى عملى من أجل سعادتى الزوجية.

هل لو تزوجت إنساناً بعيداً عن الفن كنت سأتجنب نفس المصير؟ يجوز.. إن أى زواج لابد أن يمر ببعض المشاكل.

لكن المشاكل درجات.. هناك المشاكل البسيطة الطارئة التى يسهل حلها.. وهناك المشاكل المستعصية التى لا تجدى معها الحلول.. وزواج الفنانين من هذا النوع الأخير لأنه أكثر حساسية.. والزوج الفنان والزوجة الفنانة يتعرضان لضغوط فى العمل أكثر من الأزواج العاديين.. فحين يعمل هو طوال النهار ويعود فى وقت متأخر من الليل..فهو يتوقع أن يجد زوجته الهادئة الأعصاب فى انتظاره لكى تقول له كلمة طيبة.. رقيقة.. لكنه يفاجأ عادة بأن زوجته مستغرقة فى النوم من شدة الإرهاق.. فهى فنانة ممثلة وعملها مرهق مثل عمله.. وظروفها شاقة مثل ظروفه.. وتكون النتيجة أنهما لا يجدان أنفسهما.. هو فى واد وهى فى واد أخر.

وتتسع المسافات بينهما ويصبح التفاهم مستحيلاً.. ولا أقول أن ذلك قاعدة.. بالعكس هناك الكثير من الزيجات الناجحة فى الوسط الفنى.. ودائماً أدعو الله أن يديم الاستقرار على حياة الأزواج الفنانين.. حتى لا يحدث لهم ما حدث لى خصوصاً فى ذلك اليوم الذى اتفقت فيه مع صلاح على الانفصال للمرة الثانية والأخيرة.

ولم تكن مرارة الطلاق هذه المرة قوية ومعذبة مثل المرة الأولى.. فقد ساعدنى على تقبل قرار الانفصال أن الإنجاب أصبح مستحيلاً.. وكان هذا هو الأمل الوحيد فى استمرار حياتنا الزوجية.

وفى هدوء وبلا ضجيج تم الطلاق بينى وبين صلاح ذو الفقار.. زوجى الثالث والأخير.

ابنى.. ولكن ليس من أزواجى!

وبدأت أعطى كل حنانى لخالد.. إنه التعويض الوحيد لمشاعر الأمومة المكبوتة داخلى.

هو ابنى.. اقصد مثل ابنى.. وابن أخى يعتبر ابنى.. وأخى طاهر له مكانة خاصة فى قلبى وحياتى.. إنه بالنسبة لى مثل التوأم.. وكان طاهر قد تزوج فتاة تركية من اسطنبول وأنجب منها خالد.. ولم يدم الزواج أكثر من ثلاثة أعوام.. قررت الزوجة أن تعود بعدها إلى بلدها اسطنبول بسبب مرض أمها.

وقبل عودتها إلى تركيا جاءتنى وقالت لى:

)سأعود إلى بلدى اسطنبول.. وسأترك لك خالد أمانة عندك.. وأنا أعلم أنك ستراعينه أكثر منى.. وأنا مطمئنة جداً عليه وهو معك أن بالذات(.

وكأن الله أراد أن يعوضنى عن حرمانى الطويل من مشاعر الأمومة.. ورزقنى بهذا الطفل الجميل ابن أخى طاهر الذى وافق على أن يظل ابنه معى ومع أمى يملأ علينا حياتنا بهجة.

إن سعادتى ليس لها حدود عندما أسمعه وهو ينادينى "ماما".. وعوضناه كل الحنان المفقود بسبب غياب أمه.. وكبر الطفل وأصبح الأن شاباً.. إن خالد هو الحب الحقيقى فى حياتى هذه الأيام.. انه ابنى.. البسمة المضيئة التى جاءت متأخرة لتزيل بعضاً من الأحزان الطويلة.. بسمة أم عاشت تحلم بطفل.. فأرسلت لها السماء أخيراً طفلاً.. ليس من أزواجها الثلاثة.. بل من أخيها الطيب.

ملحوظة: كما ذكرنا من قبل أن الفنانة شادية أخفت أو نفت تماماً زواجها من مصطفى أمين فى تلك المذكرات ولم تذكر اسمه بل تحدثت عنه تحت اسم "الكاتب الكبير". وبالتالى إذا صحّت تلك الزيجة فإن عدد زيجات الفنانة شادية يصبح أربعة وليس ثلاثة.

الحلقة الخامسة والعشرون:

فجأة بدأت أشعر برغبة شديدة فى العودة إلى الغناء الذى ابتعدت عنه فترة طويلة.. لقد شغلتنى السينما واقنعتنى أن أعطى كل طاقتى وأحاسيسى للتمثيل وحده.. وكدت أنسى أنى مطربة.. وأن الغناء كان هو جواز المرور إلى الشاشة.. ولولا صوتى الغنائى ما كنت أصبحت فنانة.. فإعجاب أفراد عائلتى وبقية أهلى هو الذى جعلنى اتجه للفن.

وبدأت شادية المطربة التى فى داخلى تستيقظ وتتمرد بل وتثور على شادية الممثلة التى كانت سبباً فى ابتعادها واحتجابها عن الحفلات الغنائية.

بل إنى كنت أتخيل أحياناً حوار بين شادية المطربة وشادية الممثلة.. أسمع فيه شادية المطربة وهى تسأل بغضب: لماذا تحاولين أن تسرقى منى الأضواء.. اننى فى الأصل والأساس وجودك من وجودى.. لو لم أكن أنا ما كانت لك أية قيمة أو وجود.. إن الناس عرفونى قبلك.. وأعجبوا بى قبل أن يعجبوا بك.. وصفقوا لى قبل أن يصفقوا لك.

وترد شادية الممثلة: انت الماضى وأنا الحاضر.. انت مرحلة المراهقة والشباب.. لكنى أن العقل والنضج.. بل وأنا المستقبل أيضاً.

وترد شادية المطربة: لا أنا لم أمت.. أنا مازلت قوية شابة نضرة.. إن الشيخوخة لن تصيبنى أبداً.. الصوت الجميل لا ينساه الناس بسهولة مهما ظهر بعده من أصوات.. سأعود مرة أخرى لأنافسك.

وتقول شادية الممثلة: إن الناس يحبوننى أنا أكثر.

ويزداد غضب شادية المطربة: لا.. يحبوننى أنا أكثر.

وفى كل مرة كنت اضطر للتدخل لأفض هذه المشاجرة التى لا يراها ولا يسمعها أحد غيرى لأنها تحدث فى عقلى أنا وفى أعماقى أنا.. إن النفس تتكلم لكن بلا صوت.. تعاتب صاحبها وتحاوره وتلومه.

وما أصعب لوم النفس وما أقساه.

لكنى كنت أشعر بتعاطف مع المطربة التى فى داخلى.. فرغم أنى حققت نجاحاً كبيراً كممثلة فى أفلامى الأخيرة.. ورغم أنى حددت لنفسى مكاناً وسط أشهر بطلات الشاشة.. إلا أننى أشعر فجأة بحنين شديد إلى العودة للغناء.

قد تكون حالتى النفسية هى السبب خصوصاً بعد فشل زواجى الثالث وبعد أن تأكدت من استحالة قدرتى على الإنجاب.. إن الإنسان لا يغنى فقط عندما يكون سعيداً.. بل تكون رغبته أشد فى الغناء عندما يكون حزيناً بائساً.. الغناء راحة للقلب الحزين.. دواء للنفس العليلة.. شفاء لجرحى الحب.. سأغنى.. بل لن أتوقف أتوقف أبداً عن الغناء حتى تلتئم كل أحزانى.. الغناء هو طبيبى.. بل هو أنبغ الأطباء وأقدرهم على شفاء جسدى وروحى.

ولقد ساعدنى وشجعنى على العودة للغناء ذلك اللقاء الذى لا أنساه.. لقاء لم أكن أتوقعه لأنه تم مصادفة وبدون ترتيب.. لكن هذا اللقاء كان من أهم الأسباب التى دفعتنى للعودة بسرعة إلى الغناء.. لقائى بسيدة الغناء العربى أم كلثوم.

وأخذتنى فى معطفها

كنت داخلة إلى "صوت القاهرة" وكانت هى خارجة وبصحبتها محمد عبد الوهاب.. وقبل أن أحييها وأعبر لها عن سعادتى بلقائها.. أمسكت أم كلثوم بيدى.. وانهالت كلمات

العتاب، ولم أقدر على الكلام، لأنى كنت مهتمة بمعرفة أسباب هذا العتاب.

قالت أم كلثوم دون أن تغيب ابتسامتها من فوق شفتيها:

أنا من زمان عايزة أشوفك يا شادية.. حاضربك وأموتك انتى حلوة وصوتك حلو.. لكن يظهر إنك نسيتى.. بقيتى بس عايزة تحملى وتولدى.. انت فنانة.. ليه بطلتى تغنى؟ ليه عايزة تهجرى فنك وصوتك الحلو وتقعدى فى البيت تحملى وتولدى؟ ازاى تحرمى الناس منك ومن أغانيكى.. لازم ترجعى تغنى.. اوعدينى يا شادية.. اوعدينى.

ولم تتركنى أم كلثوم إلا بعد أن وعدتها بسرعة العودة إلى الغناء.. فقد كنت مترددة قبل لقائى بها.. أعود للغناء أو لا أعود؟

لكن هذا التردد اختفى الآن.. كان لكلماتها وقع السحر فى نفسى.. وأنا لا استطيع أبداً تجاهل كلماتها.

فارتباطى بأم كلثوم قديم.. ومازلت أذكر تلك الليلة التى رأيتها فيها لأول مرة.. كنت لاأزال طفلة صغيرة لم يتجاوز عمرى اثنى عشر عاماً عندما فوجئت بأبى يقول لى: سأخذك معى الليلة لقضاء سهرة لا تحلمين بها.

وسألته: أين؟

قال: فى المغاورى.

ولم أفهم ما هو المغاورى هذا؟ هل هو اسم مكان جميل مخصص للسهرات؟ لم أسمع من قبل أن إحدى صديقاتى ذهبت لقضاء سهرة فى مكان اسمه المغاورى.

ولم أفهم إلا عندما وجدت نفسى فجأة وسط حلقات الذكر والإنشاد.. وعلى أصوات الدفوف والمنشدين بدأت أفطن للأمر.. إن المغاورى هو أحد المشايخ المباركين وقد أقاموا له فى هذا المكان مقاماً يأتى إليه الناس يلتمسون فيه البركة والخير ويستمعون إلى الأناشيد الدينية والألحان الشعبية ودقات الدفوف.

وأشار أبى قائلاً.. هذه أم كلثوم.. وهذا الذى يجلس بجانبها هو أحمد رامى.. وهذا الشيخ زكريا أحمد.

وقفت مذهولة وعقلى الصغير يحاول أن يحتمل المفاجأة.. وبقيت صامتة وعيناى لا تبتعدان عن وجه أم كلثوم.. وشعرت بأنى أحلم.. لكنه حلم جميل وممتع.. حلم رقيق على دقات الطبول والدفوف.

ولا أعرف كم من الوقت مر.. ساعة أو أكثر لا أذكر.. كل ما أذكره أنى رأيت أم كلثوم تترك المكان المزدحم بحلقات الذكر والإنشاد وتذهب متجهة إلى سيارتها.. ووجدت نفسى أجرى خلفها نحو السيارة. وفتحوا لها الباب وقبل أن تتجه نحو المقعد الخلفى رأتنى أقف وسط البرد الشديد القارس وأنا ارتعد وارتجف.. ونادتنى فذهبت نحوها.. ومدت يديها نحوى وحملتنى وقربتنى نحو صدرها وغطتنى بمعطف الفراء الذى كانت ترتديه فشعرت بدفء عجيب لم أشعر به أبداً من قبل.. انه ليس دفء معطف الفراء السميك بل هو دفء قلبها الذى امتلأ بحب الكثيرين وكنت أنا واحدة منهم.

..وأخذنى أبى إلى بيتها

ومرت شهور طويلة وصورة أم كلثوم لا تفارق خيالى.. ولاحظ أبى إصرارى الشديد على مواصلة الغناء.. ويبدو أنه شعر بأن صوتى أصبح جميلاً وأنا اقترب من مرحلة المراهقة.. ولم أكن أعلم أنه يعد لى مفاجأة أخرى.. فذات ليلة نادانى ليقول لى كلمات مقتضبة: استعدى.. غداً سنذهب إلى بيت أم كلثوم.

ولم أنم ليلتها.. وحتى فى الدقائق القليلة التى داعب فيها النوم جفونى رأيتها أمامى.. كيف سكون اللقاء؟ ماذا أقول لها وماذا ستقول لى؟

هل سيعجبها صوتى؟

أنه امتحان صعب يا أبى.. بل هو أصعب الامتحانات التى تعرضت لها فى حياتى.. لقد غنيت من قبل أمام مدرستى وأما الناظرة أيضاً.. لكنى لم أشعر بمثل هذا الخوف الذى أشعر به الآن.

ولاخظ أبى فى الصباح أن وجهى شاحب ومرهق ولابد أنه ظن أنى مريضة.. هل أخذك إلى الطبيب؟ قلت لا لا.. إنه لا يعلم أن هذا شحوب الخوف وليس شحوب المرض.

ووجدت نفسى فجأة أمام أم كلثوم.. وتذكرتنى بسرعة وتذكرت الليلة الباردة التى رأتنى فيها لأول مرة.. وضاعت الكلمات من حلقى فلم أجد كلمة واحدة أقولها.

وتطلعت لأبى لكى ينقذنى من هذا الموقف.. طلبت منه بنظرتى المتوسلة أن يتكلم ويقول شيئاً حتى يضيع منى ارتباكى وحتى أعثر على الكلمات الضائعة فى حلقى.

وقال أبى لأم كلثوم: إن ابنتى تريد أن تعمل بالفن. وبالطبع لن أجد سيدة وفنانة أعظم من أم كلثوم لكى تقدم لابنتى نصيحة قبل أن تدخل هذا المجال.

ثم تطلع إلى أبى وهو يقول: أنا لا استطيع أن أقدم لك نصائح فنية.. وهى التى ستعطيها لك.

وزاد ارتباكى أمام سيدة الغناء بينما كانت الكلمات تهرب من فوق لسانى.. وأنقذتنى أم كلثوم من خوفى وارتباكى وأبعدت عنى كل هذا القلق بتواضعها الشديد وكلماتها البسيطة.. ما كل هذا التواضع؟ ما كل هذه البساطة؟

وسألتنى أم كلثوم: هل تريدين أن تعملى بالفن من أجل الشهرة؟

قلت: لا لا.. بل أحب الغناء والتمثيل.. وقالت أم كلثوم: إذا كنت تعنين ما تقولين.. فلا تجعلى أى شىء يقف أمام عملك الفنى أو يؤثر فى حبك له.. فالفنان الحقيقى لا تستطيع قوة فى العالم أن تمنعه من الوصول لأهدافه.. ولا يستطيع أحد أن ينسيه حبه لفنه.

الحلقة السادسة والعشرون:

وكان ذلك أول درس أتلقاه من سيدة الغناء العربى.. تعلمت منها كيف أحب الفن.. فحب الفنان لفنه هو سر نجاحه وبقائه.. وتعلمت أيضاً معنى التواضع..

إن أولى كلمات التشجيع من أم كلثوم لا تزال عالقة بعقلى.. ومنذ ذلك اليوم وعلاقتى بأم كلثوم تزداد قوة.. فمع هذا اللقاء دخلت أم كلثوم قلبى وحياتى وأصبحت الراحة لنفسى كلما اشتدت بى المحن.

كان يحدث ألا أراها لفترات طويلة بسبب انشغالى فى العمل.. لكنى كنت ألجأ إليها فوراً كلما واجهتنى مشكلة مستعصية لا أجد لها حلاً..

ومازلت أذكر إحدى هذا المشاكل التى لم أقدر على إيجاد حل لها وحدى فلجأت فوراً إلى أم كلثوم.. حدث أنى كنت استعد للغناء فى إحدى الحفلات وكام المفروض أن أقدم أغنية جديدة فى هذا الحفل تذاع لأول مرة كتبها مؤلف شاب كنت مؤمنة به جداً لأنى وجدت فى كلماته معانى وأفكاراً جديدة لم تقدم من قبل ولأنه كان موهوباً أكثر من غيره.. وأخذت كلماته التى أعجبتنى وقدمتها للملحن خالد الأمير وبدأنا فى عمل البروفات اليومية التى كانت تستمر حتى منتصف الليل.. وبعد كل هذا المجهود المضنى وقبل تقديم الحفل الغنائى بيومين

فقط اتصل بى أحد المسئولين فى الإذاعة ليخبرنى بأن كلمات الأغنية مرفوضة!

قلت له: ولكن لجنة النصوص وافقت عليها. لكنه عاد يقول: الأغنية مرفوضة.

صرخت.. إن الحفل بعد يومين فقط.. والإعلانات تملأ الصحف والشوارع تعلن عن تقديم هذه الأغنية الجديدة ما هو الشىء الذى لا يعجبكم فى الأغنية؟

وقال المسئول الإذاعى: كل الأغنية.. ليست بعض الكلمات فيها.. بل كل الأغنية.

وعدت أقول له.. لكنكم وافقتم قبل ذلك على تقديمها.

لكنه لم يستمع إلى توسلاتى ولم يفهم موقفى الصعب.. وظل يردد كالأسطوانة المشروخة جملة واحدة فقط.. الأغنية مرفوضة.. الأغنية مرفوضة.. الأغنية مرفوضة..

ماذا أفعل الأن؟

لقد وضعت كل أملى فى هذه الأغنية الجديدة.. هل يضيع كل هذا المجهود الذى بذلناه فى البروفات الطويلة المرهقة.. مجهود المؤلف ومجهود الملحن ومجهودى أنا.. كل هذا يضيع فى لحظة دون أن أفهم سبب ذلك..

كيف تقول الإعلانات للناس أن شادية ستقدم أغنية جديدة تذاع لأول مرة.. ثم يذهبون إلى الحفل فلا يجدون إلا الأغانى القديمة التى سمعوها من قبل عشرات المرات.. أليس ذلك نوعاً من الخداع للناس؟

من حقهم بعد ذلك ألا يثقوا فى هذه الإعلانات الكاذبة التى تعلن عن أغانى وهمية لا تظهر إلا فوق الإعلانات.. ما هو الحل؟ ماذا أفعل الأن؟ إننى فى غاية الحيرة.. الوقت يجرى بسرعة.. وبعد ساعات قليلة سأقف أمام الناس الذين جاءوا لسماع الأغنية الممنوعة.. ولماذا هى ممنوعة؟.. أنا نفسى لا أعرف السبب.

ووجدت نفسى اتجه إلى التليفون وأرفع السماعة وأطلب أم كلثوم.. إنها منفذتى الوحيدة فى مثل هذه الأزمات الصعبة التى لا أقدر وحدى على التصدى لها..

حاولت أن أتغلب دون جدوى على دموعى.. وشعرت أم كلثوم بأنى أبكى.. فقالت بدهشة: ماذا حدث؟

وبدأت أحكى لها قصة الأغنية المرفوضة.. وقالت أم كلثوم اهدئى قليلاً.. حاولى أن تسيطرى على أعصابك ومشاعرك وأقرأى لى كلمات الأغنية.. وقرأت لها كلمات الأغنية وأنا مستغرقى فى البكاء.

وقالت أم كلثوم.. لا تقلقى هكذا.. سأتصل بك بعد قليل.

قلت: كيف لا أقلق والحفل بعد يومين؟

قالت: انتظرى قليلاً حتى أعرف لك كل شىء.

ووضعت السماعة وعينى على ساعتى.. والدقائق تمر.. وقلقى يزداد مثل نبضات قلبى.. ثم عاد التليفون يدق مرة أخرى وسمعت صوت أم كلثوم وهى تقول: حاولى يا شادية أن تبحثى بسرعة عن مؤلف أخر يؤلف لك أغنية أخرى تتمشى مع نفس اللحن الجاهز.. يبدو أنهم لا يوافقون على كلمات هذا المؤلف الجديد.. لأن ميوله يسارية.. حاولى أن تسيطرى على أعصابك وابحثى بسرعة عن مؤلف أخر وسأكون على اتصال دائم بك.

قلت: كيف استطيع أن أحفظ الكلمات فى يوم واحد يا ست الكل؟

قالت أم كلثوم: هذا لا يهم.. ضعى أمامك الكلمات المكتوبة أثناء الغناء ولن يتنبه أحد إلى ذلك.

واتصلت بعبد الوهاب محمد وحكيت له الموقف كاملاً.. وظل عبد الوهاب محمد ساهراً حتى الصباح وهو يكتب كلمات جديدة بعد أن سمع اللحن أكثر من مرة.

وفى صباح اليوم التالى السابق ليوم الحفل مباشرة بدأت أجرى البروفات على الكلمات الجديدة المناسبة التى كتبها عبد الوهاب محمد لتتمشى مع لحن خالد الأمير.

واستمرت البروفات حتى المساء وكان لابد أن استريح قليلاً حتى استطيع أن أقف متماسكة أمام الناس فى اليوم التالى.

ووقفت أمام الناس لأغنى أغنية "أنا وقلبى يا روح قلبى".. ولابد أن بعضهم قد لاحظوا أنى أنظر إلى ورقة كانت موضوعة

أمامى.. ولابد أنهم تصوروا أنى مصابة بمرض النسيان لذلك وضعت كلمات الأغنية أمامى لكنهم سعذروننى الأن بعد أن عرفوا السبب.

وفى الوقت الذى كنت أقف فيه لأغنى هذه الأغنية كانت أم كلثوم ساهرة فى منزلها وبجانبها جهاز الراديو لكى تستمع إلى هذه الأغنية التى ظهرت بمثل هذه السرعة المذهلة بفضل توجيهاتها ونصائحها لى..

وكانت أول مكالمة تليفونية فى الصباح الباكر من أم كلثوم التى هنأتنى على نجاح الأغنية الجديدة أو أسرع أغنية قدمتها فى حياتى.

إننى لا أستطيع أبداً أن أنسى ذلك الموقف الصعب لولا أم كلثوم ما كنت وجدت حلاً.. إنها هى التى أنقذتنى وأنقذت الموقف كله وشجعتنى ووقفت إلى جانبى حتى اجتزت هذه الأزمة الصعبة.

وكنت أشعر بأنى مدينة لها بهذا النجاح الذى حققته الأغنية فلولا نصائحها وتوجيهاتها وتشجيعها ما كانت هذه الأغنية قد خرجت إلى الناس أبداً.

الشىء المضحك والمحزن بعد كل هذا الذى حدث أنه اتضح أن هذا المؤلف الجديد لم تكن له ميول يسارية كما قالوا عنه.. بل ثبت أنه برىء.. وكانت مشكلته الوحيدة أن اسمه مصادفة يتشابه مع اسم شخص أخر له هذه الميول اليسارية.. أنه سوء فهم كان ضحيته هذا المؤلف الشاب الذى بدأت بعد ذلك أبحث عنه لكى يكتب لى أغانى أخرى جديدة.

وبهذا الموقف أعطتنى أم كلثوم دفعة جديدة وتشجيعاً أقوى لمواصلة الغناء فبدأت أبحث عن الكلمات والألحان الجيدة.. ومن شدة تعاطف أم كلثوم معى كانت توصى بأن يقدموا لى الميكروفونات الخاصة التى كانت تغنى أمامها لكى أستفيد بها فى حفلاتى الغنائية.

ومرضت أم كلثوم.. وكنت حريصة دائماً على السؤال عنها ومتابعة أخبار حالتها الصحية.. لكنى لاخظت أن حالتها النفسية كانت تسوء باستمرار.. وحاولت بكل جهدى أن أدخل

على قلبها السعادة.. كنت أهزر وأصحك معها وأبحث عن الأحاديث الضاحكة الباسمة.. بل كنت أقول لها نكتة أعجبتنى.. ولا تكون لسعادتى حدود عندما أراها وهى تبتسم وأشعر أنى نجحت فى رسم الابتسامة على شفتيها وسط كل هذه الآلام التى تشكو منها.

وقبل وفاتها بأسبوعين فقط ذهبت إلى بيتها.. وكانت صحتها بدأت تتحسن بعض الشىء.. وجلست انتظرها وسمعت خطواتها وهى تنزل من الدور العلوى الذى توجد فيه غرفة نومها..

كانت خطواتها قوية ثابتة وكأنها خطوات فتاة فى العشرين من عمرها.

وجلسنا نتحدث معاً وسألتنى عن حياتى وأحوالى.. لكنى تهربت من الحديث عن نفسى وعن مشاكلى وبدأن أحاول التخفيف عنها..

وقلت لها: مش حتتمشى شوية.. أنا جاية أتمشى معاكى.

قالت: أتمشى فين؟ إذا كان الواحد يعدى من نقرة يقع فى نقرة.. حتى لو كان ذلك فى شوارع المعادى.

وبقيت معها أكثر من ساعة ثم قبلتها واحتضنتها بل وقبلت يدها.. ولم أكن أعلم أننى أودعها.. وأن هذا هو الوداع الأخير بينى وبين سيدة الغناء العربى.

وقالت لى وهى تودعنى: يا بت ابقى تعالى بقه.

وكانت هى أخر مداعبات أم كلثوم لى.. أننى لا أستطيع أن أنكر حبها الشديد لى فى كل مراحل حياتى.. عندما كنت فتاة مراهقة شابة مازالت تبحث عن مستقبلها فى الفن ثم عندما أصبحت مطربة وممثلة معروفة.

ولقد تعلمت منها الكثير.. علمتنى كيف أحب عملى.. وكيف أكون متواضعة.. وكيف أتعاون مع زملائى من الفنانين.. وكيف أساعد كل الجدد إذا كانوا فعلاً موهوبين.. فقد كانت أم كلثوم تساند كل فنان حقيقى.. وتعلمت أيضاً احترامى لمواعيد عملى.. وحرصى عليه.. تعلمت منها الكثير.

لقد شعر الألوف والملايين فى كل أنحاء الوطن العربى بالحزن الشديد لفراقها وغيابها.. لكن حزنى عليها يفوق كل أحزان البشر!

ملحوظة: الأغنية ألحان إبراهيم رأفت وليس خالد الأمير.

الحلقة السابعة والعشرون:

لو عاد بى الزمن إلى الوراء فهل كنت سأسير فى نفس هذا الطريق.. طريق الفن؟

لو قدر لى أن أعيش حياتى مرة أخرى.. فهل كنت سأختار التمثيل والغناء؟

أقولها بلا تردد.. نعم.. كنت سأسير فى نفس طريق الفن رغم كل العذاب والأشواك.. وكنت سأختار التمثيل والغناء عملاً دائماً رغم أن هذا العمل منعنى شعورى بالأمومة والاستقرار. إن الفن هو قدرى الذى لا أستطيع الهروب منه.. كلما حاولت الهروب منه، عدت إليه مرة أخرى..

إن عذاب الفن هو حياة الفنان.. وبدون هذا العذاب لا تكون لحياة الفنان معنى.. وهذا القلق هو سر نجاح الفنان وبقائه.. هكذا كنت دائماً أحاول أن أعزى نفسى وأخفف عنها.

أما أن أكون أماً سعيدة بأمومتها وأطفالها.. وإما أن أكون فنانة سعيدة بأفلامها وأغانيها.. ويبدو أنه شىء صعب أن أجمع بين الهدفين.

أننى أحاول الآن أن أتعلم القناعة.. أريد أن أقنع نفسى بأن كل الذى حدث فى حياتى كان لابد أن يحدث.. وأنه ليست هناك قوة فى العالم تستطيع أن توقفه أو تمنع حدوثه.

وهأنذى أعود مرة أخرى إلى الحفلات الغنائية وأنفذ نصيحة سيدة الغناء العربى أم كلثوم.

كنت قد تصورت أنى لن أعود لمثل هذه الحفلات.. ولكن ألم أقل لكم أن الغناء قدر مهما حاولنا الهروب منه نجد أنفسنا نعود إليه من جديد وباستسلام شديد.

كان الصيف قد جاء.. ومع بداية عمل الصيف يبدأ الحديث عن الحفلات الغنائية.. وإن كنت أنا لا أميل كثيراً للصيف لأنه من الفصول التى لا أحبها.. وعندما أتذكر الصيف وأتذكر معه الشاطىء الممتد بلا نهاية.. والمياه الزرقاء.. والرمال الناعمة.. وأخوتى وأخواتى الذين جلسوا على الشاطىء يستجمون ويضحكون.. وأنا بينهم أشعر بدفء اللعبة الأسرية.. وجو التفاهم والوئام والحب العائلى القوى.

لكن الأيام فرقتنا وذهب كل منا فى اتجاه.. فكل واحد من أخوتى سافر إلى بلد مختلف بعيد.. وأصبح الصيف يأتى وأنا وحدى مع أمى.. وقد تسافر أمى أحياناً لقضاء شهر أو شهرين مع أهلها فى اسطنبول.. والوحدة فظيعة والفراغ أفظع.

وها هو الصيف الذى لا أحبه قد جاء.. صيف الشعور بالوحدة القاسية.. والذكريات الدافئة مع أخوتى وأخواتى على الشاطىء.

ومع ارتفاع درجة حرارة الجو ترتفع درجة حرارة التليفون وتعود إليه الحياة مرة أخرى فيدق بإصرار وأسمع أصوات المسئولين فى الإذاعة والتليفزيون.

إنهم يطلبون منى الاشتراك فى حفلات غنائية جديدة. وأوشكت أن أقول لا.. لكنى أتذكر كلمات ونصائح أم كلثوم بضرورة العودة إلى الغناء.. فأقول نعم.. موافقة.. سأشترك فى أول حفل غنائى قادم بعد كل هذا الانقطاع الطويل عن المساهمة فى مثل هذه الحفلات.

وتحدد موعد الحفل الذى سيقام فى نادى الزمالك.. وقالوا لى إن الإذاعة ليست وحدها التى ستسجل الحفل بل إن كاميرات التليفزيون أيضاً ستقوم بتصويره وتسجيله.. وبدأت أستعد

نفسياً وفنياً لهذا الحفل.. وكنت قد أعددت أغنية جديدة لتقديمها لأول مرة أمام الجمهور.

وعندما اقترب موعد الحفل اعتذر التليفزيون عن عدم تسجيل الحفل.. لماذا؟ قالوا إن عربات التصوير الخارجى مشغولة بالإعداد لبرامج ومسلسلات شعر رمضان الذى كان باقياً على قدومه شهران كاملان.

وكدت أن أتردد.. لكن الإذاعة أصرت على التسجيل.. وذهبت إلى نادى الزمالك وقدمت الأغنية الجديدة.

وصلت إلى البيت بعد انتهاء الحفل.. وحاولت أن أنام.. لكن لم يتوقف التليفون عم الرنين.. أناس كثيرون لا يقولون سوى كلمة واحدة: برافو.. مبروك.. هايلة.. كانت حفلة رائعة.

وفى اليوم التالى ذهبت إلى مبنى الإذاعة لكى نستمع إلى تسجيل الحفل.. وليتنى ما سمعته.. فقد كان تسجيلاً سيئاً للغاية.. والمضحك أن التسجيلات الخاصة التى سجلها بعض هواة التسجيل الذين حضروا الحفل كانت أحسن كثيراً من تسجيل المتخصصين والمحترفين من مهندسى التسجيل الإذاعيين.

كان تسجيل الأجهزة الصغيرة المتواضعة أوضح جداً من تسجيل الأجهزة الإذاعية.. وقال لى المسئولون فى الإذاعة.. سنعيد التسجيل من جديد.. لكنى رفضت.. لأنى كنت قد وصلت إلى حالة "قرف" لا يمكن احتمالها.

ثم بدأت أستعد لحفل غنائى أخر فى نادى القاهرة وقلت قد يكون هذا الحفل أفضل من حفل نادى الزمالك الذى اعتذر التليفزيون عن عدم تسجيله والذى سجلته الإذاعة بصورة سيئة جداً.. قد يكون الحفل القادم أحسن.. بهذه الروح المتفائلة ذهبت إلى الحفل.. لكنى ما كدت أجلس فى الكواليس حتى بدأت أسمع خناقات الفنانين التى تحدث دائماً فى مثل هذه الحفلات.. فكل فنان يريد أن يظهر فى بداية الحفل.. وكل فنانة تريد أن تقدم فقرتها قبل الأخريات.. إنها معركة حربية وليست حفلاً فنياً.. لماذا كل هذا الصراع؟

ووسط ضوضاء الفنانين وضجيج الأطفال والأصوات المرتفعة وقفت لأغنى.. وحاولت أن أندمج مع كلمات الأغنية الجديدة رغم هذا الجو الذى لا يساعد أبداً على الاندماج.. وصلت فعلاً إلى حالة الاندماج.. وفى نفس الوقت الذى بدأت أعيش فيه مع كلمات ومعانى وأحاسيس الأغنية أظلمت الدنيا من حولى ولم أعد أرى الجمهور ولا الموسيقيين ولا حتى الميكرفون الذى أقف أمامه.. لقد انقطع التيار الكهربائى فجأة..

ومرت الدقائق المظلمة كأنها شهور وسنوات طويلة.. لكن الله منحنى القدرة على التحكم فى أعصابى ومشاعرى.. وظللت واقفة فى مكانى عشر دقائق كاملة وسط صراخ الأطفال الذين انزعجوا من هذا الظلام المفاجىء ووسط صيحات الناس: النور.. النور.

هل هى مصادفة؟ أم أنه سوء حظ ؟

الحفل الأول خرجت منه بذكر التسجيل الردىء.. وهذا الحفل أيضاً أخرج منه بهذه الذكرى المظلمة.

هل هى أحدث طبيعية.. أم أنها أشياء مدبرة!

لقد سمعت كثيراً عن هذه المحاولات التخريبية المقصودة التى يكون وراءها الحقد والغيرة والتنافس الغير شريف.

أذكر أن فناناً معروفاً فوجىء بمثل هذا المحاولات الاستفزازية ضده التى كان الهدف منها إفساد حفله الغنائى الذى كان يقدم فيه لأول مرة أغنية جديدة.. وأتضح أن وراء هذا الأحداث المؤسفة فناناً آخر كان مختلفاً معه.

ولكن لماذا يحدث هذا معى.. إننى لست على خلاف مع واحدة من زميلاتى المطربات.. بل أنى لا أحقد أبداً على نجاح أحداهن.. فهل من المعقول أن يكون هذا الظلام المفاجىء شيئاً مدبراً هدفه الوحيد هو إفساد الحفل ومنعى من تقديم أغنيتى الجديدة؟

أفهم أن الذين شاهدوا الحفل فى التليفزيون قالوا لى أن التليفزيون لم يعتذر حتى عن انقطاع التيار والكهربائى فى

الحفل.. ولم يشر أبداً إلى ذلك.. وكانت مفاجأة للذين يشاهدون الحفل فى المنازل.

الحلقة الثامنة والعشرون:

وابتعادى عن الحفلات الغنائية ليس معناه أنى قاطعت الغناء كله.. بل إن إنتاجى الغنائى زاد جداً.. ولكن بعيداً عن الحفلات غير المنظمة التى تثير أعصابى.

وفى هذه الفترة تأكدت علاقتى الفنية مع بليغ حمدى.. وتعرفى على بليغ حمدى لم يتم فجأة.. لأنى أعرفه منذ أيام الطفولة.. عندما كنا نعيش فى حى شبرا.. وكان هو من جيراننا.. ومازلت أذكر البيت الذى كان يعيش فيه.. ومازلت أتذكر شارع الجسر الذى كان يقع فيه ذلك البيت الذى تحيط به حديقة صغيرة.. وكنت أذهب مع صديقاتى الصغيرات لكى نلعب ونلهو فى هذه الحديقة التى رأيت فيها بليغ لأول مرة.. كان جالساً محتضناً عوده الذى انشغل بالعزف عليه.. لكنه تطلع نحونا غاضباً ونهرنا وأمرنا بالخروج من الحديقة لأننا أخرجناه من حالة الإلهام التى يعيشها.

ورأيته بعد ذلك أكثر من مرة فى هذه الحديقة.. لم يكن يجلس وحيداً أبداً.. بل كان معه صديقه العزيز العود الذى يداعب أوتاره بحب شديد.. وفى كل مرة كان بليغ يصرخ فى وجهنا فنهرب بسرعة حتى لا يلحق بنا.

وبدأنا نبحث عن مكان آخر نلعب فيه بعيداً عن صاحب العود الذى يضايقه مرحنا وصياحنا.

وتركنا حى شبرا.. ومرت السنوات

إلى أن كان ذلك اليوم الذى دق فيه التليفون وسمعت صوتاً يقول لى:

=إزيك يا شوشو

-أهلاً.. مين اللى بيتكلم؟

=أنا بليغ حمدى.. عايز أقابلك ضرورى.. ضرورى.

وفى اليوم التالى كان بليغ حمدى جالساً وفى يده عوده.. طبعاً لم يكن العود القديم المتواضع.. بل عود آخر يناسب الملحن الكبير.. وأنصت إليه وهو يغنى مع اللحن الذى يعزفه بمهارة "اه يا اسمرانى اللون."

الحقيقة أن الأغنية أعجبتنى جداً.. قلت: من مؤلف هذه الكلمات والمعانى الجميلة؟

قال: الشاعر عبد الرحمن الأبنودى.

وكدت أطير من شدة الفرح.. إن سعادة الفنان ليست لها حدود عندما يجد دوراً جيداً أو لحناً ممتعاً.. وكان ذلك هو شعورى.. إنه لون جديد من الغناء لم أفهمه من قبل.. ووجدت نفسى أردد الأغنية معه.. لقد حفظت اللحن والكلمات بسرعة عجيبة.. ونسيت كل شىء ولم أعد أفكر إلا فى هذا الاسمرانى اللون الذى أغنى له هذه الكلمات.. وكان إحساسى صادقاً فقد نجحت الأغنية كما توقعت وأعتبرها النقاد بداية لمرحلة جديدة بالنسبة لى.

نسيت أن أقول أن بليغ كان قد لحن لى من قبل ذلك أغنية مكسوفة منك مش قادرة أقولك لكنها كانت أغنية خفيفة لا تختلف كثيراً عن بقية الأغانى الخفيفة التى كنت أقدمها..

ولهذا فأنا أعتبر يا أسمرانى اللون هى بدايتى الحقيقية مع بليغ وليست مكسوفة منك.

وكانت يا اسمرانى اللون خطوة جديدة بالنسبة له هو أيضاً.. لقد تطورنا معاً وسجلت هذه الأغنية ذلك التطور المشترك الذى حققناه فى وقت واحد.

ومنذ ذلك اليوم كوّنا ثنائياً فنياً ناجحاً.

وبدأت اندمج أكثر مع بليغ.. وكانت ثمرة هذا الاندماج العميق بالحب والشجن والأسى.. أغنيات تبدو حزينة لكنها عاقلة وناضجة لأنها تشرح موقفاً إنسانياً مؤثراً وهى لذلك تمس قلب كل من يسمعها.

وقدمنا مجموعة كبيرة من الأغنيات.. منها مهرجان العنب وهى صورة غنائية لمهرجان العنب يقول مطلعها يا عم يا جناينى.

وقدمنا صورة غنائية أخرى عن مهرجان البرتقال.

وبدأت اندمج أكثر وأكثر مع بليغ وقدمنا أغانى أخرى مثل قولوا لعين الشمس ماتحماشى والحنة وقطر الفراق ووالله يا زمن.

وأحسسنا معاً بمرارة النكسة والهزيمة فى عام 1967.. وفكرنا فى تقديم مجموعة أغنيات تعبر عن كابة هذه الأيام الحزينة.. وعن مشاعر العمق التى ملأت نفس كل مصرى مخلص لبلده.

ومع ألحانه قدمت أجمل وأصدق كلمات الحب.. حب مصر.. وكانت أغنية يا حبيبتى يا مصر جملة قلتها معبرة عن شعورى بالحزن.. فالتقطها بذكاء الشاعر الغنائى محمد حمزة.. وفى اليوم التالى جاء يردد كلماتها المؤثرة التى حولها بليغ إلى أغنية عاشت وستعيش مع كل الذين يحبون مصر العزيزة.

لقد بكيت بدموع حقيقية وأنا أسجل هذه الأغنية للتليفزيون.. أحسست ساعتها أنى أغنى لأمى.. ومصر هى أمى العزيزة.. ثم غنيت يا أم الصابرين أيضاً تحية لمصر.. وكانت هذه الأغانى التى أقدمها عن وطننا العزيز سبباً فى هذا اللقب الذى أطلقوه على "صوت مصر" وهو تحية لم أكن أحلم بها.

إنه شرف عظيم للإنسان أن يرتبط اسمه باسم مصر.. وسام فوق صدرى أعتز به.. لقد ذقت حلاوة النجاح من قبل.. لكنى لم أشعر بالفخر والاعتزاز إلا فى ذلك اليوم الذى أطلقوا على فيه لقب "صوت مصر."

إن حب مصر هو أعظم وأقوى حب فى حياتى.

لقد فشلت فى الحب الإنسانى.. لكنى نجحت فى حبى لوطنى.. وهذا هو الحب الكبير فى حياتى وفى حياة كل إنسان مخلص لبلده.

لقد كانت هذه الأغانى الوطنية دفعة قوية ملأت حياتى بالأمل والتغزل.. ولقد لعب بليغ حمدى الدور الأكبر فى هذه المرحلة بألحانه الرائعة التى قربتنى أكثر من قلوب الناس.

إن نجاحى كمطربة شارك فيه أيضاً محمد الموجى الذى لحن لى مجموعة أغانى رائعة.. والموجى إنسان شهم وابن بلد.. وفى وقت الشدة أجده بجانبى.. والإنسان الحقيقى هو الذى يظهر فى أوقات الشدائد.. إن فيه شهامة المصرى ووفاءه وطيبته أيضاً.

وكان فيلم لحن الوفاء أول أفلام عبد الحليم حافظ هو فرصة التعارف بينى وبين الموجى.

سمعت ألحانه الجديدة وأعجبتنى.. لكنى قلت له هذا اللحن يناسب عبد الحليم أكثر مما يناسب صوتى.. كنت صريحة جداً معه.. ولم يغضب من صراحتى.. وغنى عبد الحليم هذه الأغنية التى أعجبتنى وحققت نجاحاً كبيراً.

ثم كان اللقاء الفنى بيننا فى فيلم الهاربة مع ذلك اللحن الجميل شباكنا ستايره حرير.. ثم قدم لى الموجى لحناً ناجحاً آخر مع أغنية "التليفون" التى أدخل عليها مقطعاً من أغنية عبد الحليم كل كلمة حب حلوة قلتهالى.. ثم غنيت الأغنية التليفزيونية مين قالك تسكن فى حارتنا.

ميزة أخرى لمحمد الموجى غير الشهامة هى خفة الظل.. انه إنسان حاضر البديهة خفيف الروح أجد فى كلماته دائماً مذاق النكتة المصرية.

وهو لا يعرف الخبث والدهاء.. حدث ذات مرة أن غضبت منه.. وظل أكثر من شهر هو يلح على ويسألنى هل مازلت غاضبة منى يا شادية؟ وظل يرسل الوسطاء لكى يزيلوا سوء التفاهم الذى حدث بيننا.

ثم لحن لى الموجى أغنية بعنوان غاب القمر يا ابن عمى والتى أعجبتنى جداً فكرتها.. إنها ليست أغنية عادية مثل بقية أغنياتى بل كانت عبارة عن صورة غنائية.. وأيضاً أغنية بوست القمر.. وأطلقت عليه فى ذلك الوقت اسم ملحن القمر لأن معظم الأغانى التى لحنها لى كانت تتحدث عن القمر.

إن لحن الموجى ليس هو وحده الذى يعجبنى.. فإنسانيته أيضاً كانت تأسرنى.. انه الفنان الإنسان.. وهو الفلاح الذى لا يعجبه الحال المايل.

أتذكر مرة أنى كنت أتحدث معه فى التليفون حينما شاهدت فجأة دخاناً يتصاعد من الكنبة التى أجلس عليها.. فأنزعجت وصرخت "حريقة يا موجى."

وانشغلنا بمحاولة إطفاء النار المشتعلة.. وتركت سماعة التليفون طبعاً دون أن أكمل حديثى معه.. وبعد عشر دقائق كان الموجى يدق جرس الباب وهو فى أشد حالات الانزعاج.. واشترك معنا فى إطفاء النار وحمل الكنبة المشتعلة وألقى بها من الشرفة حتى لا تمتد النار إلى بقية أثاث البيت.

ثم خرج ليبحث لى فى الصيدلية القريبة عن علاج لرجلى المحترقة التى أحرقتها النار دون أن أشعر.. ولم يشعر بالراحة إلا بعد أن بدأ الألم يزول مع عودتى إلى حالتى الطبيعية.

أما كمال الطويل فقد لحن لى أغنية "عجبانى وحشته" مع إسماعيل ياسين فى فيلم قديم.

ومازلت أذكر ذلك اليوم الذى جاءنى فيه كمال الطويل مع عبد الحليم حافظ.. وقال إن لديه لحناً لى.. لكنه اعتذر عن عدم غنائه بسبب قبح صوته.. هذا هو رأيه فى صوته.

وقال أن عبد الحليم سيقدم لى الأغنية بصوته.. وفعلاً جلس عبد الحليم ليغنى "عاجبانى وحشته" حتى حفظت اللحن.

وقدم لى كمال الطويل بعد ذلك لحن أغنية وحياة عينيك وفداها عينيا.. ثم توقف كمال الطويل وابتعد عن التلحين فترة طويلة قدم لى بعدها أغنية رحلة العمر ابتدت.

ومن عيوب كمال الطويل أنه دائماً مذهول.. وغالباً ما يكون فى حالة ذهول فنى.. ولذلك فهو دائماً ما ينسى الألحان التى تقوم بتلحينها.

وقد راعيت هذا العيب.. وأصبحت أحرص على تسجيل ألحانه.. ودائماً كنت أعد بجانبى جهاز التسجيل حتى أسجل به اللحن الجديد قبل أن ينساه!

الحلقة التاسعة والعشرون:

ولا استطيع أن أتذكر أقرب الناس إلى نفسي دون أن أذكر فطين عبد الوهاب.. ذلك الفنان الطيب الساخر.. صاحب القلب الكبير الذي يتسع لكل آلام البشر.. وصاحب النكتة الساخرة المريرة.

إنه من القلائل الذين عملت معهم واحترمتهم.. بل هو نوع نادر من الرجال الذين التقيت بهم في حياتي.. إن البعض يقولون إن الصداقة بين رجل وامرأة أصبحت شيئاً مستحيلاً في هذا الزمان.. الصداقة المخلصة البعيدة عم الأغراض المنزهة عن الأخطاء.

فدائماً نسمع أن الرجل والمرأة لا يجتمعان إلا إذا كان الشيطان ثالثهما.

ولكني أقول لهؤلاء الذين يتصورون الصداقة بين الرجل والمرأة شيئاً نادر الوجود.. أقول لهم إن فطين عبد الوهاب كان ذلك الصديق الوفي والرجل الذي يحترم المرأة دون غرض شخصي.

وأول فيلم أخرجه فطين عبد الوهاب كنت أنا ممثلته الأولى وإن كنت لا أذكر اسم هذا الفيلم الآن.. وتطورت صداقتنا من خلال العمل.. وبمرور الوقت تفاهمنا وتقاربنا أكثر.

ووصل هذا التفاهم إلى حد أنه كان يفهم بسرعة مذهلة ما يدور في عقلي قبل أن أنطق به.. وينفذ لي ما أريده قبل أن أطلبه.

كان يشعر بأحاسيسي الداخلية دون أن أشكو أو أشرح له شيئاً.. يعرف ما إذا كنت حزينة أو سعيدة.. فإحساسه بالناس من حوله كان قوياً جداً.

إن العمل معه متعة شديدة خصوصاً في أفلامه الكوميدية كان لابد أن أذهب إلى الاستوديو لأودي المشاهد والمواقف الكوميدية.. كيف يولد المرح وسط هذه الظروف العائلية الكئيبة؟

وأتذكر زميلاً مات أبوه فجأة.. حمل جثته وأوراها التراب ثم اتجه إلى المسرح الذي يقدم مسرحية كوميدية هو بطلها.. وحبس دموعه في عينيه ووقف أمام الجمهور الكبير الذي جاء ليضحك دون أن يعلم أن بطل المسرحية يضحكهم قد فقد أعز الناس عليه منذ ساعات قليلة.. تذكرت حكاية الزميل الكوميدي الذي كان مطالباً بأن يضحك الناس ويسليهم وهو في قمة الحزن.. تذكرت ذلك وأنا جالسه داخل الاستوديو استعد لأداء دوري الكوميدي في "مراتي مدير عام".. وعقلي مشغول بذلك الذي حدث بالأمس مع زوجي صلاح ذو الفقار.. إن حياتي الزوجية لم تعد مريحة.. واقترب مني فطين عبد الوهاب.. وكالعادة اكتشف أني لست سعيدة.. وأن هناك بعض الغيوم التي بدأت أن تطفي على حياتي.

وكالعادة أيضاً بدأ يحاول التخفيف عني.. واستطاع بتعليقاته الضاحكة الساخرة أن يخرجني ويبعدني عن هذه الحالة النفسية الصعبة التي كنت أعيشها في ذلك الوقت.

وكنت كلما شعرت بالضيق.. أو أني على وشك البكاء والاختناق.. اتصل به فوراً لأسمع كلماته الضاحكة الساخرة التي تعيد الأمل إلى نفسي الضائعة القلقة.. وأشعر بعد حديثه بأنه أزاح عن نفسي وقلبي كابوساً ثقيلاً كنت أتحمله وحدي.

ثم أفاجأ بعد ذلك بأنه هو نفسه كان يعاني من حالة نفسية أصعب من حالتي.. ومع ذلك فقد كتم آلامه وأحزانه في قلبه وحاول أن يضحكني ويواسيني.. وهو الذي كان في حاجة ماسة إلى هذه المشاركة والمواساة.

أذكر أنه ذات مرة دخل الاستوديو محاولاً كالعادة أن يبدو ضاحكاً ساخراً.. لكني لاحظت أن زراير قميصه ناقصة.. وأن معظمها قد سقط من قميصه.

عندما ينشغل بإضافة اللمحات الضاحكة (الإفيهات).. فالمعروف أنه كان يتمتع بخفة ظل غير عادية.

ومازلت أذكر تلك الأيام التي كان يجري فيها تصوير فيلم "الزوجة 13) الذي أدي فيه رشدي أباظة دور البطولة أمامي.. كانت أياماً وأوقاتاً مرحة.. فالضحكات تملأ الاستوديو.. وسخريات فطين عبد الوهاب لا تتوقف.

لكن عندما يصيح "بارتيه" ويبدأ التصوير نراه إنساناً حازماً جاداً جداً يختلف عن فطين الآخر الضاحك صاحب الدعابات الساخرة.. لكن هذه الدعابات كانت بالنسبة لنا نوعاً من التنفيس.. ويبدو أنه كان يريد أن يخفف عنا حتى يزيل من نفوسنا التوتر والقلق قبل الوقوف أمام الكاميرا.

إن بعض المخرجين لا يكفون عن الصراخ والصياح داخل الاستوديوهات لكي يثبتوا خطوتهم وجبروتهم.. وهم لا يعلمون أن هذا الجو العصبي الذي يخلقونه يتأثر به الممثلون ويتأثر به أيضاً مستوى العمل نفسه.. إن الفنان في حاجة إلى لحظات من الراحة النفسية والجسدية في فترات الاستراحة حتى يستطيع أن يبدأ العمل في المشاهد الجديدة بصورة أحسن.

ولا يعلم هؤلاء المخرجون الذين يجذبون شعر رؤوسهم (إذا كان فيها شعر) والذين يصرخون بمناسبة وبدون مناسبة.. لا

يعلمون أنهم يتسببون في إفساد جو العمل بهذه العصبية الحمقاء.

ولم يكن فطين عبد الوهاب من هذا النوع من المخرجين.. إنه هاديء عاقل لا يغضب ولا يصرخ.. بل يبتسم ويضحك ويملأ جنبات الاستوديو بالتفاؤل والأمل والمرح.

في هذه الفترة كان علاقتي بصلاح ذو الفقار قد بدأت تتوتر وتدخل مرحلة الخطر.. ووسط هذا القلق الشديد.. قلت لفطين:

-إيه ده يا أستاذ؟ مفيش حد يركب لك الزراير دي؟

فقال:

-لا

فقلت له:

-تسمح يا أستاذ تقلع قميصك.

قال:

-ليه؟

قلت:

-علشان أركب لك الزراير.

وبالفعل خلع فطين عبد الوهاب قميصه.. وانشغلت أنا بتثبيت ووضع الزراير الجديدة.. وسط جو ضاحك.. ولم يقل لي شكراً.. لأنه كان مقتنعاً بأن الذي فعلته كان يجب أن أفعله.. وأنه موقف الأخت التي تعمل على راحة شقيقها الأكبر فترتب له ملابسه وتهتم بأناقته حتى لو كان هو غير مهتم بها أصلاً.

كان فطين قد انفصل عن زوجته ليلى مراد وأصبح يعيش وحده في مسكنه بشارع عدلي.. وفي هذا اليوم الذي أعدت فيه الزراير إلى مكانها فوق قميصه كنت أقوم بأعمال الزوجة.. ولم أكن أشعر بأي تردد وأنا أفعل ذلك.. لأن الصداقة المخلصة التي جمعتنا وإنسانيته الزائدة كانت أكبر من كل شيء.

وكانت أفلامي الكوميدية الناجحة "مراتي مدير عام" و"كرامة زوجتي" و"عفريت مراتي" و"الزوجة 13" و"نص ساعة

جواز" و"أضواء المدينة".. كانت ثمرة هذه الصداقة الرائعة التي مازلت أعتز بذكرياتها حتى الآن.

لكن هذا الفيلم الأخير "أضواء المدينة" يحمل معه ذكريات حزينة. فقد كانت ظروف هذا الفيلم صعبة جداً بسبب تأجيل وتوقف العمل فيه لمدة خمس سنوات عدنا بعدها لمواصلة العمل في الوقت الذي كانت فيه أشياء كثيرة قد تغيرت من حولنا.. وأولها فطين عبد الوهاب نفسه الذي بدأت صحته في الانهيار المفاجيء والتدهور السريع بعد أن بدأ المرض يتمكن منه.. لدرجة أنه كان يقوم بالإخراج وهو جالس فوق مقعد.. وكان ذلك أشبه بالصدمة لكل العاملين في الفيلم الذين لم يتعودوا على مشاهدة المخرج الكبير وهو في هذه الحالة النفسية.. ولم نعد نسمع ضحكاته الساخرة.. وأصبح الجو مقبضاً.

لكني احترمته أكثر عندما رفض أن يطالب بفرق الزيادة في أجره.. فاتفاقه على إخراج الفيلم حدث منذ خمس سنوات.. لكن أجره زاد في الفترة الأخيرة ورغم حالته المادية التي بدأت تتدهور مثل صحته إلا أنه لم يطالب بمليم واحد جديد.. وحافظ على التزامه القديم بإكمال تصوير الفيلم مهما كانت الظروف النفسية والمادية والصحية.

وكان مرض فطين وحالته النفسية السيئة التي تأثرنا بها جميعاً.. كانت سبباً في عدم نجاح هذا الفيلم بالصورة التي كنا ننتظرها.. فمخرج الكوميديا الأول على الشاشة لم يعد قادراً على الضحك أو حتى على الابتسام.. ثم أننا نحن أبطال الفيلم كنا نتألم ونحاول أن نخفي عنه دموعنا وإشفاقنا عليه.

وكان لابد أن يتأثر الفيلم بذلك كله.. لكنه ظل يعمل حتى آخر يوم في حياته.

وحتى الآن مازلت أتحاشى السير في شارع عدلي بالذات.. ذلك الشارع الذي عاش فيه مخرج الكوميديا فطين عبد الوهاب الذي ستعيش أفلامه الكوميدية من بعده سنين طويلة شاهدة بأنه كان الأستاذ والرائد الذي لا يعوض للفيلم الكوميدي المصري.

مخرج آخر مهذب.. شيك.. ومحترم.. هو كمال الشيخ.. إنه المخرج الذي استطاع أن يقنعني بعدم الغناء في الأفلام.. وجعلني اكتفي فقط بالتمثيل وأركز كل طاقتي في التمثيل.

حدث ذلك في فيلم "الطريق" وفي "ميرامار" وفي "اللص والكلاب."

لقد أحببت جداً شخصية "زهرة" هذه الفتاة الريفية البرئية الطيبة التي جاءت إلى القاهرة لتعيش وسط الذئاب البشرية التي حاولت أن تنهش شرفها وكرامتها.

إن كمال الشيخ من القلائل جداً الذين لا يصرخون ولا يشخطون أثناء العمل.. إنه يتكلم بعقله دائماً.. وكلماته مقدمة مهذبة تجبر الفنانين على احترامه وطاعته.

إن صفات المخرج المفكر العاديء الرزين اجتمعت كلها في كمال الشيخ.

إن معظم المخرجين يعتبرون مشاهد التصوير الخارجي في الشوارع والأماكن العامة مشكلة المشاكل.. ويعملون ألف حساب لذلك اليوم الذي يضطرون فيه لذلك التصوير الخارجي بسبب خوفهم من تجمع الناس حولهم أو مضايقتهم له أثناء العمل بالتعليقات غير المناسبة أو المؤذية لأحاسيس الفنانين.

لكن التصوير في الطريق العام ليس مشكلة أبداً بالنسبة لكمال الشيخ.. لأنه يستطيع بأدبه الشديد وكلماته العاقلة أن يجبر الجميع على احترامه والاستجابة لآرائه دون أن يصرخ أو يفقد أعصابه ووقاره.

ومع أفلام كمال الشيخ زاد ارتباطي بأعمال الكاتب الكبير نجيب محفوظ.. لقد أحببت شخصياته جداً وكأنها شخصيات حية عشت معها عن قرب.

"نور" مثلاً بطلة "اللص والكلاب" هذه المرأة التي دفعتها ظروفها الاجتماعية نحو طريق الضياع إلا أنها لم تفقد طهارتها العاطفية.. ظلت نقية القلب.. ويظهر هذا النقاء عندما تلتقي مع اللص المجرم الهارب "سعيد مهران" وتكتشف أنه مثلها

ضائع معذب.. فيجمعهما معاً حب الحياة والبقاء والمصير الواحد المشترك في مواجهة القانون.

وأحببت أيضاً "زهرة" الفلاحة التي جاءت من الريف ولم تبهرها أضواء المدينة وظلت قوية صامدة أمام كل الإغراءات.

لقد تعلمت من كمال الشيخ أن الأغاني عندما تتخلل الأداء التمثيلي فإنها توقف نمو الدور وتعطل تصاعده الدرامي.

من الشخصيات التي أحببتها وتعاطفت معها شخصية "سيدة" بطلة قصة يوسف السباعي "نحن لا نزرع الشوك" التي أخرجها حسين كمال.. دور الإنسانة الفقيرة التي وضعتها الظروف الصعبة في مشاكل كثيرة لا تنتهي.. إنه دور إنساني رائع.

إن حسين كمال من المخرجين القلائل الذين يهتمون بأداء المشهد أمام الممثل قبل بداية التصوير.

إن في داخله ممثلاً حساساً جداً يكتشفه كل من يعمل معه.

لقد كان يؤدي أمامي معظم المشاهد.. والمدهش أنه يحس جيداً بأحاسيس المرأة وهذا شيء نادر وسط الرجال.

لقد استفدت كثيراً من حسين كمال الذي كان بالنسبة لي وبالنسبة للسينما المصرية كلها دماً جديداً ومكسباً وأملاً كبيراً.

إن العمل مع مخرج كبير ممتاز مثل حسين كمال متعة لا يشعر بها إلا الفنان الحريص على عمله وفنه.

وحسين كمال هو أيضاً الذي أخرج لي ذلك الفيلم الرائع "شيء من الخوف".. وأذكر أننا كنا في إحدى المرات نشاهد بعض المشاهد التي تم تصويرها.. وهتفت فجأة.. من صاحب هذه الصوت؟

إنه صوت ممتاز قوي ومعبر..

قال حسين كمال: إنه ممثل جديد اسمه محمود ياسين.

قلت له: إنه موهبة حقيقية.. أتوقع لها نجاحاً كبيراً.

وعندما انتهينا من تصوير "شيء من الخوف" وبدأنا نستعد لفيلم "نحن لا نزرع الشوك" طلبت من حسين كمال أن يسند البطولة إلى ذلك الممثل الجديد صاحب الصوت القوي

المعبر الذي ظهر في دور صغير في "شيء من الخوف".. وكانت أول بطولة لمحمود ياسين على الشاشة.

ولا أريد أن أقول إنني صاحبة فضل على محمود ياسين فهو ممثل ممتاز وكان لابد سيلمع في يوم من الأيام.. ولكني فقط استرجع ذكريات أول بطولة له على الشاشة شاءت الأقدار أن تكون أمامي.

ومن الدور الصغير في "شيء من الخوف" انتقل محمود ياسين إلى دور البطولة في "نحن لا نزرع الشوك" وكان لحسين كمال فضل تقديم نجم جديد للشاشة أثبتت الأيام أنه كان جديراً بهذه الفرصة التي منحت له وأن حماسي له لم يكن مبالغة بل كان في مكانه الطبيعي.

إن كال مخرج من المخرجين أضاف لي لوناً جديداً وكان يمثل مرحلة تغيير في حياتي.. محمود ذو الفقار وحسن رمزي يرتبطان في ذهني دائماً بفيلم "المرأة المجهولة" وفطين عبد الوهاب أذكره مع كل أفلامي الكوميدية الراقية الناجحة.. وكمال الشيخ أذكره مع أفلام نجيب محفوظ وحسين كمال أرتبط في ذهني بفيلمي "شيء من الخوف" و"نحن لا نزرع الشوك."

وأشرف فهمي يمثل بالنسبة لي "أمواج بلا شاطيء" و"امرأة عاشقة" و"رغبات ممنوعة".. وهو مخرج يتمتع بإحساس سينمائي جيد تؤكده الدراسة والثقافة السينمائية.

لقد كان ارتباطي بالمخرج حسين كمال هو بداية اقتناعي بمخرجي السينما الجدد الذين اعتبرهم الأمل في تقديم الجديد في فن السينما.

والفنان يبحث دائماً عن الجديد.. لقد استفدت من خبرة القدامى.. لكن لابد أن أستفيد أيضاً من ثقافة الجيل الجديد.

إنني أشعر بالمرض إذا حدث وأديت دوراً لا أقتنع به.. أو إذا اضطررت للعمل في فيلم لا أرضى عنه.. أشعر بالمرض بلا شكوى أو ألم.. إنه مرض نفسي.. وعندما أعود إلى البيت أتنهد بصوت عال.. وهذا الشعور لازمني فترة في حياتي لا أحب أن

أتذكرها وإن كان سيل الذكريات ينهمر في عقلي كشلال لا يريد أن يتوقف أبداً.

الحلقة الثلاثون والأخيرة:

إنه أصعب وأخطر قرار في حياة الفنان.. وهو لذلك يحتاج إلى شجاعة.. فالشجاع هو الذي ينسحب في الوقت المناسب.. يختفي وهو في قمة القوة والنجاح والمجد.. وقبل أن تنحسر من حوله الأضواء.. وقبل أن يبتعد عنه جمهوره.. وحتى لا

يضطر هذا الجمهور أن يحييه ويصفق له بدافع الشفقة وليس بدافع الإعجاب.. والنجاح متعة يعرفها الناجحون.. والأضواء لها سحرها الذي يعرفه النجوم..

لكن كل شيء لابد أن تكون له نهاية.. هذه هي إرادة الحياة.. نجوم تنطفيء.. ونجوم أخرى تأخذ مكانها وتضيء الكون والحياة بنور الفن.. وجوه معروفة تختفي.. ووجوه أخرى تبدأ نفس الرحلة.. والناس لن يظلوا طول العمر يصفقون لشخص واحد.. وعندما يعتزل الفنان فنه وجمهوره.. أو عندما يختفي من عالم الأحياء.. نسمع الذين يقولون.. لقد كان عظيماً.. كان رائعاً وإنساناً.. وإنه لن يتكرر.. وإن مكانه لن يملأه أحد.. وانه.. وانه.. ثم نكتشف بعد أيام أو شهور قليلة أن هذا كله ليس إلا كلمات عاطية. وأن نجوماً وأسماء أخرى بدأت تظهر وتأخذ مكان الذين رحلوا.. بل ويبادلهم الجمهور حبه وإعجابه كما كان يفعل مع الراحلين.. هذه هي الحياة.. والإنسان ضيف عابر مهما طال بقاؤه فلابد أن يرحل في النهاية.

وأنا لا أحب أن يعامل الفنان مثل الخيول.. عندما يكبرون نطلق عليهم الرصاص من شدة حبنا لهم وإشفاقنا عليهم.. إنه الحب القاتل.. ولا أحب أن يعامل الفنانون مثل الموظفين الذين يجب أن يحالوا إلى المعاش في سن معينة حتى لو كانت طاقتهم لا تزال شابة متجددة.

وأحياناً يظل الفنان يفرز رحيق الفن حتى سن السبعين والثمانين.. سبنسر تراسي مثلاً أو شارلي شابلن أو يوسف وهبي أو عبد الوارث عسر..

لكن هذه حالات نادرة.. والذين يقدرون على الاستمرار في تقديم فنهم حتى الثمانين ليسوا كثيرين.. ولابد أن يفاجأوا بذلك اليون الذي يكتشفون فيه أن طاقتهم الفنية لم تعد كما كانت أيام الصبا والشباب.. وأن أنفاسهم تتلاحق بعد أقل مجهود.. وأن التجاعيد بدأت تغطي وجوههم.. وأن الإرهاق أصبح يطل من عيونهم.. وأن الجمهور نفسه لم يعد متحمساً لأدوارهم كما كان يحدث في الماضي.. والماضي يذهب ولا يعود.. يتحول إلى ذكريات نتذكرها لننسى بها الحاضر.. أو لنهرب بها من الحاضر.

والشجاع هو الذي يستطيع أن يتخذ القرار.. قرار الانسحاب من على الشاشة أو من فوق خشبة المسرح.. ومن تحت الأضواء في الوقت المناسب.. وقبل أن يدخل مرحلة الوقت الضائع.. واللعب في الوقت الضائع.. بل والحياة في الوقت الضائع. معناه الخطر والمفاجآت التي لا تكون سارة دائماً.

ولا أستطيع أن أدعي هذه الشجاعة.. فأنا نفسي مازلت حائرة أمام ذلك السؤال الذي وجهته إلى نفسي لأول مرة منذ أربع سنوات.. هل حان الوقت للاعتزال؟ هل جاءت الساعة التي سأقول فيها لكل شيء وداعاً.. للشاشة والبلاتوهات والكاميرات.. وللجمهور أيضاً؟

هل أختفي بإرادتي قبل أن أضطر للتواري وسط كلمات الإشفاق والعطف؟

أسئلة صعبة.. وأجوبتها أكثر صعوبة.

منذ عدة سنوات اكتشفت فجأة أنني بدأت أكرر نفسي.. كل حفلة جديدة هي تكرار للحفلات السابقة.. وكلمات الأغاني متشابهة.. وحتى الميكروفون الذي أغني أمامه لا يتغير.. ونفس الفرقة الموسيقية لا يحدث لها أي تجديد.. بل إن أعضاءها لا يغيرون حتى ترتيب جلوسهم.. وحتى نفس الديكورات التى أقف وسطها أثناء هذه الحفلات لا تتغير هي الأخرى أبداً..

لا جديد.. لا جديد.. وأعصابي لم تعد تتحمل ذلك كله.. والصبر كما يقولون له حدود.. ونفذت قراري الذي أتخذته لا عودة.. لا عودة.. فما الجديد الذي سأضيفه؟

ومرت أربع سنوات من العذاب.. فابتعاد الفنان عن فنه هو أقصى عقوبة لنفسه.. إنه كمن يحكم على نفسه فجأة بالإعدام.

لكني ضعفت.. ثم ضعفت.. وعدت مرة أخرى إلى البلاتوهات والشاشة والأضواء.. وكدت أن أنسى قرار الاعتزال الذي اتخذته.. وعدت أبحث عن هذا الجديد الذي أحلم به..

إن أغاني هذه الأيام لم تعد تعجبني.. استمع إلى إحدى الأغنيات وأنا مشغولة بأعمالي المنزلية.. ولا أشعر بأنني مرغمة أو مشدودة للإنصات إليها.

أدخل إلى المطبخ وأعود.. أغسل الأطباق وأعود.. والأغنية لا تتغير.. نفس الكلمات ونفس الألحان المكررة.. لا أجد الأغنية التي تنتزعني من وسط مشاغلي وأعمالي المنزلية وتجبرني على الجلوس بجانب الراديو لكي أنصت وأمعن في التركيز والتفكير في كلماتها ومعانيها وألحانها المتطورة الجديدة.

إنني أشعر بالقلق الشديد على الأغنية المصرية التي تمر بمرحلة هبوط.. وهو ليس هبوطاً فقط في كلماتها ومعانيها بل هو هبوط أيضاً في الألحان.

وحين أحفظ أغنية جديدة ولا يعجبني مقطع من مقاطعها أجد نفسي استيقظ فجأة في منتصف الليل لا شعورياً ودون أن أقصد وأحاول أن أستعيد هذا المقطع الذي يقلقني ويشغلني.

ولم يكن قرار الاعتزال خاصاً فقط بالحفلات الغنائية بل حاولت أن أطبقه كذلك على أفلامي السينمائية.. وتوقفت فترة عن التمثيل بعد فيلم أضواء المدينة الذي كانت له ظروفه الخاصة التي شرحتها.. وقلت لنفسي مادمت لا أجدد القصص والأدوار الجديدة.. فقد آن الأوان لكي أقول لا للمنتجين والمخرجين.

لكن أفلام الشباب هي التي أعادتني للشاشة وجعلتني أعدل من قراري القديم.. إن حسين كمال وأشرف فهمي هما السبب.. وفقد وجدت في أفلامهما ذلك الجديد الذي أبحث عنه وعدت أسأل نفسي.. وماذا بعد ذلك؟

وجاءت الإجابة من هذه المكالمة التليفونية مع المنتج المعروف رمسيس نجيب.

أهلاً.. كيف حال صحتك الآن؟

ويرد قائلاً: أحسن قليلاً.. لا أعرف لماذا يعاندني المرض هذه الأيام.

وأحاول أن أطمئنه وأخفف عنه.

لكنه يحاول أن يغير سير الأحداث بعيداً عن المرض.. ويفضل الحديث عن العمل.. عن الفيلم الجديد الذي يستعد لإنتاجه "وادي الذكريات".. واستمع إليه طويلاً وهو يحكي لي بطريقته الجذابة فكر الفيلم.. وأنسى قراري القديم بالاعتزال مرة أخرى.. وأقول له: موافقة.

وتنتهي المحادثة التليفونية عندما قال لي: سأرسل لك السيناريو غداً صباحاً.

وأعجبني الدور.. وأصبحت في حالة مناقشة مستمرة مع رمسيس نجيب.. إنه الوحيد الذي تستمر مكالماته التليفونية ساعة كاملة وأحياناً ساعتين خصوصاً إذا كان يتحدث عن أحد أفلامه الجديدة.

وذهبنا إلى سوريا لتصوير المشاهد الخارجية هناك حسب أحداث القصة.. وعدت لأجد رمسيس نجيب راقداً في المستشفى.

وقبل أن يموت بيومين كان يحدثني عن الفيلم الجديد.. وأحاول أن أحدثه عن صحته.. لكنه يعود للحديث عن العمل.. عن الحياة.. عن السينما التي أَحبَّها إلى حد العبادة.. ومات وهو يتحدث عنها.

وتتزايد سُحب الأحزان الداكنة في سماء حياتي.. وبعد رمسيس نجيب يذهب حسن رمزي الذي ارتبطت به عن طريق المرأة المجهولة.. إن الشموع تنطفيء.. لكن العزاء الوحيد أنها أضاءت للناس طريق الحياة والحب والأمل.. وأنا شمعة من هذه الشموع.. وأرجو أن أكون قد أضأت بكل الأدوار والأغاني التي قدمتها بريق الأمل في نفوس الناس وأن أكون بالنسبة لهم ذكرى سعيدة في الليالي الحزينة.. بسمة فوق وجه كل حزين.. أنيسة لكل قلب.. بلسماً للقلوب الجريحة.

إنني أشعر بالفزع كلما تخيلت بأني لم أقدم للناس شيئاً لكن هذا الحب الذي أراه في أعينهم يعيد السكينة إلى قلبي.. إذن فقد استطعت أن أفعل شيئاً..

الآن أستطيع أن أنام مستريحة الضمير راضية النفس.. فسعادتي في سعادة الآخرين.. وسأكون تعيسة يوم أن أعرف أني لم أنجح في إسعاد الناس.

إنني من مواليد برج الدلو.. ويقولون أنه برج العطاء.. ومواليد هذا البرج يعطون بسخاء شديد دون أن ينتظروا جزاء.. يعطون ولا يأخذون شيئاً.. والعطاء هو حياتي.. بل وجودي كله.. أعطيت كل أحاسيسي ومشاعري ووفائي.. وماذا أخذت.. لا شيء.. لا شيء.. قصص زواج فاشلة.. شعور الأمومة ما يزال حبيساً في صدري.. وحدة شديدة تؤلمني كثيراً.. أعطيت الكثير ولم أخذ شيئاً.. إن حياتي هي أكبر دليل على ذلك الذي قالوه عن مواليد برج الدلو.. يعطون ولا يأخذون.. لكني غير نادمة على هذا العطاء السخي.. لأن سعادتي الوحيدة في هذا العطاء.. إن الإنسان ليس كمبيوتر يعد ويحصي كل شيء بحساب دقيق.. الإنسان قلب وأحاسيس وعلاقات إنسانية أروع مليون مرة من كل الصفات الرابحة.. الذي يبقى من الإنسان هو الذكرى. يقولون كان طيباً.. أو يقولون كان سيئاً.. ومهما كانت أمواله وثرواته فإنها لن تستطيع أن تخفي مساوئه وأخطاءه.

إنني لم أقابل أبداً مليونيراً من مواليد برج الدلو، مساكين مواليد هذا البرج.. لقد كتب عليهم أن يظلوا بعيدين عن الجاه والسلطان.. إنهم يعطون دون تفكير.. يتركون قلوبهم ومشاعرهم تحركهم وتوجههم.. قلوبهم هي التي تفكر قبل عقولهم.. أحاسيسهم هي التي تقودهم في عالم أصبح مادياً لدرجة مخيفة.

لكني أحببتك أيها الدلو.. يا رمز برجي وحياتي.. أحببتك رغم معناك الشائع المضحك.. وأنت في رأيي أعظم الأبراج يا برج العطاء السخي.. والمشاعر والأحاسيس.. أنت أنا.. وأنا أنت.. وشكراً لله أني أصبحت من مواليدك.. وحمداً لله أني لست من مواليد برج العقرب مثلاً.. ولو كنت كذلك لظللت طول عمري تعيسة.. لأني لن أكون قادرة على العطاء السخي بلا مقابل.. ولا يهم أن حياتي مضت دون أن أجني منها شيئاً..

لا استقرار الحياة الزوجية.. ولا فرحة الأمومة.. ولا حتى الثروة المادية.. لا شيء من هذا تحقق. لكني عثرت على كنز أعظم.. هو حب الناس!

اليوم ذهبت إلى الاستديو.. جلست ساعة كاملة تحت السيشوار.. أسلمت رأسي للكوافير ساعة أخرى.. كما أسلمت وجهي ساعة ثالثة للماكيير.. وبدأت أراجع دوري الجديد.. وبعد ذلك كله أفاجأ بإلغاء التصوير.

وكدت أصرخ من شدة الغضب.. وعدت إلى بيتي وفي قلبي بركان من السخط على حال السينما هذه الأيام.. وأيضاً من السخط على نفسي لأني قبلت الاستمرار في العمل السينمائي.. وبدأت أحاسب وأعاتب نفسي بشدة.. لمذا ضعفت وتراجعت عن قرار الاعتزال؟

لماذا لا أكون شجاعة وأعلن هذا القرار.. وأتوارى بعيداً عن الأضواء.. لأمضي بقية أيام حياتي في بيتي.. يجب أن أنفذ القرار هذه المرة.

يجب.. يجب.. ولابد.. ولابد..

ثم أهدأ قليلاً لأجيب بمرارة.. وماذا أعمل وحدي في البيت؟

لا زوج أحبه ويحبني.. ولا طفل أعطيه كل عطفي ووقتي.. ولا شيء سوى الصمت الثقيل والوحدة القاتلة.. والوحدة فظيعة.. والفراغ أفظع.. وشعوري بالقلق لا يزداد إلا إذا كنت بلا عمل.. إنني أحس بانقباض شديد في معظم هذه الليالي.. وفجأة أجد نفسي قد انتفضت من نومي في الثالثة أو الرابعة صباحاً.. وأسأل نفسي لماذا أن قلقة؟ لماذا كل هذه الانقباض؟ هل السبب هو عدم وجود الزوج الوفي الذي يعيش لي وأعيش له حتى آخر دقيقة من عمري؟

أم هو عدم وجود الطفل الذي أجد فيه صورة المستقبل الذي أصبح بالنسبة لي مقبضاً مزعجاً؟

أم أن السبب هو البقاء بلا عمل وإلحاح فكرة الاعتزال على عقلي؟

ألا يكفيني هذا العذاب الذي التهم سنوات عمري؟

لكنه عذاب حلو المذاق.. عذاب أجني منه في النهاية ثمرة لذيذة الطعم هي بالنسبة لي أكسير الحياة ومعناها الوحيد.

وأعاتب نفسي وأحاول أن أكون حازمة معها.. لماذا أضعف في كل مرة أفكر فيها في الاعتزال؟ هل أنا ضعيفة إلى هذا الحد؟

إن الإنسان قرار.. والشجاع هو الذي يقدر على اتخاذ هذا القرار.. لماذا لا أقاوم ضعفي.. لماذا استسلم له هكذا.

يجب أن أعتزل الآن وليس غداً.

فليودِّعوني قوية ناجحة لامعة.. بدلاً من أن يودِّعوني بعد سنوات بعبارات العطف والإشفاق.. فلتكن صورتي الأخيرة على الشاشة ناصعة.. فلا أحب أن أرحل باهتة في أذهان الناس.

الآن قبل الغد.. كوني شجاعة يا شادية واتخذي القرار.. ويدق التليفون.. إنه أحد المخرجين الشبان الذين لمعوا في الأعوام الأخيرة.. يطلبني ويرشحني لدور جديد.. وأتذكر أفلامه الناجحة السابقة.. وأستمع إليه باهتمام وهو يحدثني عن الدور الجديد.. وأجد نفسي أقول له.. موافقة.. أرجوك أرسل لي السيناريو لكي أقرأه..

ألم أقل لكم أنه العذاب الممتع.. العذاب حلو المذاق الذي لا يعرفه إلا الفنانون.

يارب..

الليلة ليلة القدر،

وليلة القدر ليست بالنسبة لي فقط ذكرى دينية عزيزة.. بل هي أيضاً ليلة مولدي.. في مثل هذه الليلة خرجت إلى الحياة لأبدأ هذه الرحلة الطويلة الشاقة.. لأذوق مرارة الفشل في حياتي الخاصة.. وحلاوة النجاح في عملي الفني.. رحلة الحب والعذاب.. وأيام القلق، وليالي الوحدة، والأمل الذي لا يموت أبداً.

لكني راضية عنها رغم كل شيء.. فهذه إرادة الله.. إنه يمتحن الإنسان عندما يضعه في مثل هذه المواقف.. إن الحياة تشبه نهراً هائجاً ثائراً.. بعضنا يستسلم لأمواجه فيغوص إلى القاع.. وآخرون يصارعون الأمواج ويحاولون الوصول إلى بر الأمان.

والسباحة في بحر الحياة أصعب مليون مرة من السباحة في البحور العادية التي نعرفها.

لم أكن سباحة ماهرة عندما وجدت نفسي فجأة وسط هذه الأمواج العنيفة.. لكني تعلمت السباحة في بحر الحياة.. مرارة الفشل علمتني.. وحب الحياة هو الذي جعلني أحاول التمسك بها والصعود إلى بر الأمان رغم كل الأخطار والمتاعب.

وأحياناً ألوم نفسي وأقول لو أني كنت وافقت على الزواج في سن مبكرة وابتعدت عن الفن.. لكنت الآن زوجة لا تشعر بالوحدة.. لأن أطفالها من حولها يرعونها ويسعدونها.

لكن هكذا شاءت الأقدار.. والإنسان لا يحقق أحلامه كلها دفعة واحدة.

لقد حققت حلم النجاح في الفن.. ولم أحقق حلم النجاح في البيت.. وأتذكر الجملة التي قالتها لي سيدة الغناء العربي أم كلثوم عندما أخذني أبي إليها وأنا مازلت صغيرة: إن الفارق بين الفنان الناجح والفنان الفاشل أن الأول يحب عمله.. وأنا أحببت عملي حباً شديداً.. إن هناك إناساً يولدون ويموتون دون أن يشعر بهم أحد ودون أن يفعلوا شيئاً.. ودون أن يتركوا أي أثر.. وحتى دون أن يعيشوا حياتهم.

ولكن والحمد لله عشت حياتي.. ومازلت أحبها رغم فترات القلق الذي يزعجني أحياناً..

قد يقول البعض أن هذا الفراغ سببه أني لا أعيش الآن تجربة حب.. والحب أحلى ما في الحياة.. لكن مفهوم الحب الآن أصبح مختلفاً عن مفهومي القديم له.. الحب بالنسبة لي هو الصداقة والحنان والتفاهم والإخلاص. إن الأمس بالنسبة لي هو الأمل..

والغد هو تحقيق الأمل.. أما القمة فلم أصل إليها.. ولكني أعتقد أنها مزعجة.. والأحلى من القمة هو محاولة الوصول إليها.. والوصول إليها هو العذاب نفسه.

الليلة ليلة القدر..

وأمي العزيزة سعيدة.. تروح وتجيء داخل الشقة بنشاط غريب على عمرها.. إنها ليلة مولدي..

وهي دائماً تنتظر هذه الليلة.. لاحتفل بمرور عام آخر من حياتي.

ولأقف مع الألوف أدعو معهم في هذه الليلة التي تستجاب فيها الدعوت.

يا رب.. احمني من الشعور بالوحدة.

فلا زوج.. ولا ابن.. ولا ابنة.. وهذه إرادتك.. ولا اعتراض لي عليها.. إن قلب الأم التي حرمت من مشاعر الأمومة هو الذي يناجيك.. وروح الزوجة التي حرمت من السعادة هي التي تبتهل إليك.

يا رب إني لم أحاول الإساءة لأحد لكنهم هم الذين أساءوا لي..

يا رب حاولت أن أفهمهم لكنهم لم يفهموني.

يا رب أعطيتهم كل مشاعري المخلصة بلا حساب فلم أخذ منهم غير التجاهل والنكران.

لكني لا أحمل لهم في قلبي حقداً ولا أضمر لهم شراً..

يا رب هذه حياتي أمامك.. بكل حلوها ومُرها..

فسامحني إذا كنت أخطأت.. وساعدني إذا كنت ضللت الطريق.

وحقق لي في أيامي القادمة السعادة التي عشت أبحث عنها..
يا رب.. يا رب.

النهاية

ملحق:

محطات في حياة الفنانة شادية

أهم النوادر والحكايات الغريبة في حياة شادية

تزخر حياة الفنانة **شادية** بالعديد من الحكايات الغريبة والنوادر التي تراوحت بين المواقف المحرجة، المصادفات القدرية، والمفارقات الإنسانية، ومن أبرزها بناءً على المصادر:

١ .نوادر وحكايات الطفولة

- **اختطافها في الرابعة :**من أغرب حكايات طفولتها هي تعرضها للاختطاف وهي في سن الرابعة؛ حيث استدرجتها امرأة بقطع الشيكولاتة وأخذتها إلى "وكر" مخيف، وظلت هناك لساعات حتى حدثت مشاجرة بين الخاطفين، فاستغلت شادية الموقف وهربت للشارع باكية حتى وجدها "ابن حلال" وسلمها لقسم البوليس.
- **صداقة "الشجرة :"**كانت شادية في طفولتها بإنشاص تعتبر "شجرة" معينة في الحديقة صديقتها الوحيدة، وكانت تخاطبها وتناجيها في ساعات الوحدة، وظلت تحن لهذه الشجرة وتعتبرها وحي ذكرياتها حتى بعد شهرتها.
- **سرقة فواكه الملك :**كانت تتسلل مع إخوتها لتسلق أسوار "التفاتيش الملكية" لسرقة الثمار، وكانت تشعر بانتصار طفولي لأنها تأكل من نفس الفواكه التي يأكل منها "الملك" شخصياً.

٢ .مفارقات البدايات الفنية

- **صوت "السيدة البدينة :"**في أول ظهور لها ككومبارس في فيلم "أزهار وأشواك"، تم دبلجة صوتها بصوت مطربة أخرى تغني بالفصحى، فضحك الجمهور في القاعة لأن جسدها النحيل الطفولي خرج منه صوت "عريض" لمطربة بدينة، لدرجة أن والدها طلب منها مغادرة السينما فوراً خوفاً من رد فعل الجمهور.

- **الفشل في تقليد أم كلثوم :**في أول حفل غنائي لها بـ "الحلمية بالاس"، حاولت غناء "غني لي شوي شوي" لأم كلثوم، فضحك الجمهور على صوتها "المسرسع" الذي لم يناسب وقار الأغنية، مما أصابها بعقدة نفسية جعلتها تفكر في الاعتزال المبكر.

٣ .حكايات إنسانية مع النجوم

- **خياطة قميص المخرج :**في لقطة تجسد بساطتها، لاحظت شادية سقوط أزرار قميص المخرج فطين عبد الوهاب أثناء التصوير، فطلبت منه خلع القميص وقامت هي بـ "حياكة" الأزرار له بنفسها في الكواليس.
- **عروس "الفول والطعمية :"**أثناء تصوير أحد الأفلام، تأخر التصوير وشعرت شادية بجوع شديد وهي ترتدي مالبس الزفاف، فأخذها المصور وحيد فريد بسيارة مكشوفة إلى مطعم فول وطعمية بميدان التحرير، والتف الناس حولها يضحكون من منظر "عروس" تأكل الفول على الرصيف في يوم زفافها.

٤ .حكايات "القدر" والنجاة من الموت

- **المصادفات المنقذة :**تروي شادية حكايات غريبة عن نجاتها من الموت، منها مرة كانت مرشحة لفيلم وتأخر السائق عن موعده بسبب مرض والده، لتعلم لاحقاً أن السيارة التي كانت ستركبها تعرضت لحادث مروع . ومرة أخرى اعتذرت عن رحلة صيد بالبحر في تركيا بسبب إصرار قريب لها على البقاء، لتغرق السفينة التي كان من المفترض أن تكون على متنها.

٥ .غرائب الحياة الشخصية والاعتزال

- **بيت الطاعة :**تعرضت لموقف مهين عندما أقام زوجها الثاني عزيز فتحي دعوى "بيت طاعة" ضدها، ووقفت أمام القاضي تبكي وتشرح معاناتها في زواج لم يدم سوى أشهر قليلة .

- **عازف الناي والجنين :**بعد فقدان جنينها من صلاح ذو الفقار، كان هناك عازف "ناي" يعزف تحت نافذتها وقت الغروب، وأصبحت نغماته الحزينة تذكرها دائماً بـ "غروب الأمل" وفقدان حلم الأمومة.
- **لا تعكري الماء الصافي :**القصة الأشهر في اعتزالها هي كلماتها مع الشيخ الشعراوي؛ حيث كانت تتردد في حضور حفل تكريم، فقال لها: "لا تعكري الماء الصافي"، وكانت هذه الجملة هي السبب المباشر في قرارها النهائي بالاحتجاب التام وارتداء الحجاب.
- **هواية غريبة :**كانت شادية "خبييرة" ومحترفة في حل الكلمات المتقاطعة، وكانت تقضي ساعات في حلها ببراعة مذهلة.

الأشياء التي كانت تخافها شادية

تنوعت مخاوف الفنانة **شادية** بين هواجس إنسانية عامة، ومخاوف مرتبطة بطبيعة عملها الفني، وذكريات طفولة قاسية، وإليك أهم الأشياء التي كانت تخافها بناءً على المصادر:

١ .الخوف من الزمن والشيخوخة

كانت شادية تصرح بوضوح" :**كنت أخاف الزمن والعجوز** ." وكان هذا الخوف دافعاً أساسياً لقرار اعتزالها؛ حيث كانت تخشى أن يراها الجمهور بملامح يكسوها العجز والتجاعيد، مفضلة أن يظلوا محتفظين بصورتها الشابة الجميلة في خيالهم.

٢ .الخوف من الوحدة

عانت شادية من رهبة شديدة من **"الوحدة"**، خاصة في فترات المساء أو بعد اعتزالها .. ووصفت شعورها في بعض الليالي بـ "الانقباض" والقلق النفسي العميق بسبب خلو بيتها من الزوج أو الطفل، مما جعلها تناجي الله أن يحميها من هذا الشعور.

٣ .الخوف من "الغروب"

ارتبط الغروب في وجدانها بمشاعر الحزن والوداع؛ فكانت تسرع لإسدال الستائر فور غياب الشمس حتى لا ترى لحظات "رحيل" النهار، معتبرة أن **الغروب هو الوداع والنهاية** .كما زاد هذا الخوف بعد فقدان جنينها، حيث كان عازف ناي يعزف وقت الغروب ويذكرها بـ "غروب الأمل. "

٤ .ذبح الطيور (خاصة الحمام)

كانت شادية ترفض تماماً ذبح الحمام أو أكله، وتعتبره رمزاً للسلام، لدرجة أنها **امتنعت عن ذبحه في منزلها** وكانت تشعر بضيق شديد من مشهد الذبح.

٥ .الخوف من المسرح ومواجهة الجمهور

رغم نجاحها الساحق، كانت شادية تشعر بـ **"الرعب "**ورهبة قاتلة في بداياتها عند الوقوف على خشبة المسرح. وظل هذا الشعور يراودها حتى في مسرحية "ريا وسكينة"، حيث وصفت نفسها بأنها كانت "مرعوبة من التجربة" في البداية.

٦ .الخوف من الصحافة وكشف الأسرار

خافت شادية كثيراً من ملاحقات الصحافة التي كانت تهدد بنشر رسائلها العاطفية أو أسرار حياتها الزوجية، مما كان يسبب لها قلقاً دائماً على سمعتها وكرامتها .. كما كانت تخشى في مراهقتها أن يكتشف أهلها خطابات الحب التي كانت تصلها.]

٧ .مخاوف إنسانية وذكريات قديمة

- **بكاء الأطفال :**كانت تكره سماع صوت بكاء الأطفال لأنه يشعرها بألم عميق تعجز عن التعبير عنه.
- **ذكرى الاختطاف :**ظلت تعاني من "ذعر غريب" كلما تذكرت حادثة اختطافها وهي في سن الرابعة.
- **الناظرة والمدرسة :**في طفولتها، كانت ترتعد خوفاً من "الناظرة" في مدرستها، ومن غرفة وصفتها بـ "حجرة الرعب" أُجبرت فيها على الغناء ألول مرة.

- **الفشل الفني :**كانت تشعر بالفزع من فكرة أال تقدم للناس شيئاً ذا قيمة أو أن يمل الجمهور من تكرار أغانيها .

أجواء ترشحها وقبولها للعمل في المسرحية الوحيدة لها وهي مسرحية ريا وسكينة

تُشير المصادر إلى أن تجربة مسرحية **"ريا وسكينة "**كانت العمل المسرحي الوحيد في مسيرة الفنانة شادية، وقد أحاطت بترشحها وقبولها لهذا العمل أجواء من التردد والرهبة قبل أن يتحول الأمر إلى نجاح جماهيري ساحق

وإليك تفاصيل تلك الأجواء بناءً على ما ورد في المصادر:

- **الرهبة والخوف من المواجهة :**كانت شادية في بداية الأمر **"مرعوبة "**من فكرة الوقوف على خشبة المسرح ومواجهة الجمهور مباشرة لساعات .ورغم تاريخها السينمائي الطويل، إلا أنها كانت تخشى ألا تتقن فن اإللقاء المسرحي الذي يختلف عن التمثيل أمام الكاميرا.
- **الدعم والتشجيع الجماعي :**لعب المحيطون بها دوراً كبيراً في إقناعها؛ حيث شجعها المخرج **حسين كمال** والمنتج **سمير خفاجي**، وبذلوا جهداً إلخراجها من حالة التردد .كما كان للفنانة **سهير البابلي** دور بارز في تشجيعها، حيث وصفتها شادية بأنها ساعدتها كثيراً في تجاوز رهبة البدايات.
- **مرونة البروفات :**من أجل طمأنتها، تم االتفاق معها على أن تُجرى البروفات بالطريقة التي تريحها وبالقدر الذي تريده، وهو ما جعلها تندمج تدريجياً في الشخصية وتكسر حاجز الخوف.
- **النجاح الساحق والتحول النفسي :**بمجرد عرض المسرحية، حققت **إقبالً جماهيرياً مذهلاً** ونفدت تذاكرها لشهور طويلة .وذكرت شادية أنها اكتشفت قدرتها على الوقوف فوق الخشبة ومواجهة الجمهور

لساعات دون خوف، بل وأصبحت تستمتع برد فعلهم المباشر.

- **توقيت العمل وقرار الاعتزال :**جاءت المسرحية في وقت كانت تعيش فيه شادية صراعاً داخلياً حول االستمرار في الفن؛ إذ أصيبت بآالم نفسية وقلق وجودي أثناء فترة العرض، مما جعل هذه المسرحية هي "المحطة األخيرة" قبل اتخاذها قرار االعتزال النهائي والحجاب في عام ١٩٨٦

لقد كانت أجواء مسرحية "ريا وسكينة" مزيجاً من التحدي الفني والتردد الشخصي، لتنتهي بكونها العمل الذي أثبت قدرتها كممثلة مسرحية قديرة قبل أن تودع األضواء نهائياً.

دورها الوطني في مصر ودورها في دعم الوطن والجيش وشعب مصر

تمتعت الفنانة **شادية** بدور وطني رائد ومؤثر في تاريخ مصر، حيث تجاوزت علاقتها بالوطن مجرد تقديم الأغاني لتصبح رمزاً حياً للدعم الشعبي والمؤسسي، لدرجة أهلتها للفوز بلقب **"صوت مصر**

وإليك تفاصيل دورها الوطني ودعمها للجيش والشعب المصري بناءً على المصادر:

١ .دعم الجيش المصري والمشروعات القومية (قطار الرحمة)

في عام ١٩٥٣، وبعد قيام ثورة يوليو، شاركت شادية في مشروع **"قطار الرحمة"**، وهو مبادرة إنسانية كبرى أطلقتها ثورة الجيش المصري لجمع التبرعات والمساعدات من جميع محافظات مصر لصالح اللاجئين الفلسطينيين حيث جابت شادية مع زملائها الفنانين قرى ومدن الصعيد، وكانت تغني وتجمع التبرعات من الأهالي وسط ترحيب شعبي كبير، وهي الرحلة التي شهدت أيضاً بداية تقاربها مع الفنان عماد حمدي

٢ .مواكبة الأزمات والحروب بالأغاني الوطنية

كان صوت شادية هو المداوي لجراح المصريين في اللحظات العصيبة والاحتفال بالانتصارات، ومن أبرز محطاتها الغنائية الوطنية:

- **ثورة ١٩٥٢ :**غنت **"يا بنت بلدي "**و"يسقط الاستعمار" و"بشرة خير" تعبيراً عن فجر جديد لمصر
- **عدوان ١٩٥٦ :**قدمت أغنية **"يا مسافر بورسعيد "** دعماً للمدينة الباسلة في مواجهة العدوان الثلاثي.
- **نكسة ١٩٦٧ وما بعدها :**شعرت شادية بمرارة الهزيمة، فقررت بالتعاون مع بليغ حمدي تقديم أغنيات ترفع الروح المعنوية، فغنت **"كلنا عرب "**و"يا أم الصابرين"
- **حرب الاستنزاف :**قدمت الأيقونة الوطنية الخالدة **"يا حبيبتي يا مصر "**وأغنية "يا طريقنا يا صديق ."وتذكر شادية أنها بكت بدموع حقيقية أثناء تسجيل "يا حبيبتي يا مصر" لأنها شعرت أنها تغني لمصر "الأم" التي تعشقها] 521، 522.[
- **مذبحة مدرسة بحر البقر (١٩٧٠) :**غنت صرخة **"الدرس انتهى لموا الكراريس "**تخليداً لذكرى الأطفال الشهداء.

٣ .السينما كأداة للمقاومة والرمزية الوطنية

لم يقتصر دورها الوطني على الغناء، بل جسدت شخصيات رمزية تعبر عن صمود مصر:

- **فيلم "شيء من الخوف :"**جسدت دور **"فؤادة "**التي تحدت الطاغية عتريس، لتصبح صرخة "جواز عتريس من فؤادة باطل" رمزاً شعبياً لرفض الظلم والقهر.
- **أدوار نجيب محفوظ :**قدمت في فيلم **"ميرامار "** شخصية "زهرة" التي اعتبرها النقاد رمزاً لمصر القوية الصامدة أمام التحولات السياسية والاجتماعية.
- **٤ .دعم القضية الفلسطينية والعمل الخيري:**

استمر دورها الوطني والإنساني حتى بعد اعتزالها؛ حيث قامت الجمعية الخيرية التي أسستها بتقديم دعم مادي كبير للشعب الفلسطيني، وخصصت **حصيلة "سوق خيرية "** كاملة لدعم الانتفاضة الفلسطينية .كما تفرغت من خلال مجمعها الخيري (مسجد الحاجة شادية) لخدمة فقراء الشعب المصري وكفالة أيتامه وتوفير رعاية طبية مجانية لهم

.

لقد كان حب مصر في وجدان شادية هو **"الحب الأكبر والأقوى "**الذي عوّضها عن إخفاقات حياتها العاطفية، وظلت تؤمن بأن "الفن رسالة" يجب أن تخدم الوطن والجيش والشعب حتى أخر رمق في حياتها.

ما هي تفاصيل لقائها بالشيخ الشعراوي وقرارها بارتداء الحجاب؟

حدثني عن حكايتها مع شجرتها المحبوبة وعلاقتها بالطبيعة في صباها.

كيف استقبل الجمهور شادية في حفلها الأول وكيف تغلبت على الفشل؟

تفاصيل حادثة اختطاف شادية في طفولتها

تعرضت الفنانة **شادية** لحادثة اختطاف مروعة وهي في سن **الرابعة** من عمرها، وتروي تفاصيلها المؤثرة في مذكراتها كالتالي:

- **الاستدراج** :بينما كانت تلعب في الشارع أمام منزل أسرتها، اقتربت منها امرأة ترتدي "مالءة لف" وتظاهرت بالعطف عليها، ثم أعطتها **قطعتين من الشيكولاتة**.
- **فقدان الوعي** :بمجرد تناولها للشيكولاتة، شعرت شادية بحالة من الدوار ("دوخة")، فقام المرأة بحملها والسير بها إلى مكان مجهول.

- **وكر المختطفين :**وجدت شادية نفسها في بيت صغير يضم حوشاً فيه دجاج وأغنام، وكانت هناك امرأتان (الخاطفة وامرأة أخرى تشبهها) تسكن كل منهما في غرفة .حاولت المرأة تهدئتها وإيهامها بأن والديها سيحضران الستالمها بعد قليل.
- **الهروب والنجاة :**في المساء، نشبت مشاجرة عنيفة وتبادل للضرب واللكمات بين رجلين (أحدهما زوج إحدى المرأتين) وبقية سكان البيت .استغلت شادية حالة الفوضى والرعب، فتسللت إلى باب الحوش وخرجت تجري في الشوارع وهي تبكي دون أن تعرف أين هي.
- **التدخل القدر والشرطة :**وجدها "ابن حلال" وهي تائهة في الطرقات، فأخذها وسلمها إلى **قسم البوليس** .كان والدها قد أبلغ عن اختفائها بالفعل، وهناك في القسم بكت وأخبرتهم بأن "امرأة أخذتها بعد أن أعطتها قطعة شيكولاتة."
- **النهاية :**حاول رجال الشرطة مع شادية العثور على البيت الذي اختطفت فيه، لكن لصغر سنها لم تستطع إرشادهم إلى المكان بدقة وسط المنعطفات، فاعتبر البوليس حينها أن الواقعة كانت مجرد "توهان" لصغر سنها.

ظلت هذه الحادثة تسبب لشادية **ذعراً غريباً** كلما تذكرتها، معتبرة أن العناية الإلهية هي التي أنقذتها من مصير مجهول.

حكايتها مع شجرتها المحبوبة وعلاقتها بالطبيعة في صباها.

نشأت الفنانة **شادية** (فاطمة شاكر) في بيئة ريفية ساحرة شكلت وجدانها وارتباطها العميق بالطبيعة؛ حيث قضت طفولتها وصباها في **"إنشاص "**بمحافظة الشرقية، في "فيلا" بسيطة تطل على مزارع البرتقال والعنب التابعة للتفاتيش الملكية التي كان يعمل بها والدها.

وإليك تفاصيل حكايتها مع الطبيعة وشجرتها المحبوبة كما وردت في مذكراتها:

١ .اعتقادها بأن الأرض "خضراء" فقط

بسبب اتساع الحدائق والمروج الخضراء التي كانت تحيط بمنزلها من كل جانب، كانت شادية في طفولتها تظن أن **اللون الأخضر هو اللون الطبيعي الوحيد للأرض**، ولم تكن تتصور وجود ألوان أخرى للتربة .فقد كانت تفتح عينيها يومياً على جمال الزهور والأشجار الممتدة بلا نهاية، مما مأ قلبها بالصفاء وجعلها تشبه نفسها في تلك المرحلة بعصفور يبني عشه في إحدى تلك الأشجار.

٢ .شجرتها المحبوبة: الصديقة والوحي

امتلكت شادية علاقة استثنائية بـ **"شجرة خضراء كبيرة"**، ظلت تعتبرها لسنوات طويلة "وحي ذكرياتها" وصديقتها الوفية.

- **حب يفوق البشر :**وصفت شادية حبها لهذه الشجرة بأنه **"يفوق حبها للبشر"**، وكانت تحزن بشدة لمجرد سماع فكرة إزالتها أو تحطيمها بالمعاول.
- **المناجاة والحديث :**في ساعات الوحدة، كانت شادية تخلو إلى شجرتها **وتخاطبها وتناجيها**، وكانت تشعر في خيالها كأن الشجرة تبادلها الحديث وتناجيها هي الأخرى.
- **مستودع الذكريات :**كانت تتطلع إلى الشجرة لتسترجع معها "أيام العمر" وبراءة الصبا التي قضتها وسط بقية الأشجار في إنشاص.

٣ .هواية "تسلق الأشجار"

لم تكن علاقتها بالأشجار عاطفية فقط، بل كانت طفلة حيوية جداً لدرجة أنها كانت تهوى **تسلق الأشجار العالية "مثل القرود ."**ورغم شقاوتها الزائدة، كان والدها يتسامح معها، مما زاد من انطلاقها وحبها لهذه البيئة الطبيعية.

٤ .الطبيعة وصراع الشروق والغروب

انعكست طبيعة نشأتها على مشاعرها تجاه الوقت والضوء:

- **عشق الشروق :**كانت تحب لحظات الشروق وتعتبره رمزاً للتفاؤل والأمل وصفحة جديدة بيضاء، وتربطه دائماً بدفء ذكريات الطفولة.
- **رهبة الغروب :**في المقابل، كانت **تخاف من لحظات الغروب** وتسرع لإسدال الستائر فور غياب الشمس؛ لأنها كانت ترى في الغروب رمزاً للوداع والنهاية، وهو ما يسبب انقباضاً لنفسها الحساسة.

لقد ظلت هذه الروابط الوجدانية بالطبيعة تالزمها حتى بعد انتقالها للقاهرة وسكنها في الطوابق العليا، حيث كانت شرفتها تطل على النيل وتمنحها فرصة التواصل مع الطبيعة التي تذكرها بحنان الأبوين وأيام "إنشاص" التي لم تنسها أبداً.

نجاة شادية من موت محقق أثناء تصوير فيلم بقرية قريبة من الأهرامات

نجت الفنانة شادية من موت محقق بفضل **مصادفة قدرية** مرتبطة بوالدها، وذلك أثناء تصوير بعض مناظر أحد أفلامها في قرية قريبة من **أهرامات الجيزة**.

وتتلخص تفاصيل الحادثة فيما يلي:

- **الترتيب المعتاد :**كانت هناك سيارة مخصصة لنقل أبطال الفيلم إلى منازلهم بعد انتهاء التصوير.
- **سبب التأخير :**طلبت شادية من السائق أن يسبقها ويخبر المخرج بأنها **ستتأخر عن موعدها بضع دقائق؛** وذلك بسبب **مرض والدها** وانتظارها لزيارة الطبيب له في المنزل.
- **وقوع الحادث :**أسرع السائق بالسيارة ليبلغ المخرج بتأخرها، وفي الطريق **وقع له حادث تصادم مروع** أدى إلى تحطيم السيارة تماماً.

- **النتيجة :**نجا السائق من الموت بأعجوبة وقضى شهراً في المستشفى، بينما نجت شادية من ركوب تلك السيارة التي تحطمت، معتبرة أن **مرض والدها كان سبباً في إنقاذ حياتها** من موت محقق.

تأثير وفاة أخيها طاهر عليها.

كان لوفاة **طاهر شاكر**، شقيق الفنانة شادية، أثرٌ زلزاليٌّ على حياتها؛ إذ لم يكن مجرد أخ، بل كان السند الحقيقي، والمدير الفعلي لأعمالها، والمرافق الدائم لها في كل خطواتها .

وإليك تفاصيل هذا التأثير بناءً على ما ورد في المصادر:

.1صدمة الرحيل المفاجئ

وقعت الوفاة بشكل مفاجئ بينما كانت شادية مع أخيها طاهر في "شاليه" بمنطقة المعمورة بالإسكندرية .شعر طاهر بألم مفاجئ في معدته أو جنبه، ونُقل إلى المستشفى حيث توفي فجأة، وتم نقله للقاهرة ليدفن فيها، وهي اللحظة التي وصفتها المصادر بأنها **"أكبر لحظة ألم "**مرت بها شادية في حياتها.

.2إعلان "الانكسار" والاعتزال

كانت وفاة طاهر هي القشة التي قصمت ظهر استمرارها الفني؛ إذ تذكر المصادر أن شادية **"أعلنت انكسارها "**فور رحيله .ويُعد رحيله من **الأسباب الأساسية والجوهرية** وراء اتخاذها قرار الاعتزال النهائي؛ إذ اعتزلت بعد وفاته مباشرة تقريباً، لشعورها بأنها فقدت الإنسان الذي لا يعوض في الوسط الفني والحياة الشخصية.

.3الحالة النفسية بعد الوفاة

عاشت شادية فترة حزن مريرة بعد رحيله، وظلت لفترة طويلة تردد وهي تبكي أغنية" :**يا بهية وخبريني يا بوي ع اللي قتل ياسين"**، وكانت دموعها تنهمر بشدة كلما سمعت هذه الأغنية التي ارتبطت في وجدانها بفقدان أخيها .كما وصفت تلك

المرحلة بأنها كانت "فترة حاسمة" في حياتها غيرت نظرتها لكل شيء.

.4تعويض الفقد في ابنه "خالد"

لأنها لم تنجب، وجهت شادية كل مشاعر الأمومة والحب التي كانت تكنها لأخيها طاهر نحو ابنه **"خالد"**، .. اعتبرت خالد ابنها الروحي، وقامت بتربيته والعناية به منذ كان طفلاً لم يعرف النطق بعد، وظل هو السند والبسمة المضيئة التي عوضتها عن رحيل والده وعن حرمانها من الأطفال.

لقد كان طاهر هو "نصفها الآخر" إنسانياً ومهنياً، وبموته شعرت شادية أن العالم من حولها قد تغير، مما دفعها للبحث عن السكينة واليقين بعيداً عن أضواء الشهرة التي كان طاهر هو حارسها الأمين فيها.

تأثير وفاة خطيبها الأول على مسيرتها.

كان لوفاة خطيب شادية الأول، وهو **ضابط جيش أسمر من الصعيد** استُشهد في حرب فلسطين عام 1948، أثر عميق ومزلزل على مسيرتها الفنية وحياتها الشخصية، ويمكن تلخيص هذا التأثير في النقاط التالية وفقاً لما ورد في المصادر:

.1الرغبة في اعتزال الفن مبكراً

قبل استشهاده، كان الضابط قد اشترط عليها اعتزال الفن والابتعاد عن الشاشة بعد الزواج، ووافقت شادية حينها بدافع الحب الجارف، معتبرة أن سعادتها معه أهم من طموحها الفني [71، 295]. وبعد تلقيها خبر استشهاده، شعرت بانهيار كامل وأحست أن حياتها فقدت معناها، مما جعلها **تزهد في السينما** التي كانت تحلم بها، وكادت ترفض كل عقود العمل الجديدة والفرص التي كانت تُعرض عليها في تلك الفترة.

.2فقدان الصوت (أزمة صحية نفسية)

كانت الصدمة قوية لدرجة أنها أثرت على قدرتها العضوية على الغناء؛ فعندما حاولت العودة للعمل والوقوف على المسرح

في الإسكندرية، اكتشفت أنها **غير قادرة على التحكم في صوتها**، وأن صوتها "ضاع" ولم يعد يخرج من حلقها .شخّص الأطباء حالتها بأنها نتيجة **انهيار عصبي وتدهور في حالتها النفسية** بسبب الفجيعة، ونصحه والدها بالسفر للخارج كعلاج وحيد لاستعادة توازنها.

.3السفر إلى تركيا وفترة النقاهة

سافرت شادية مع والديها إلى إسطنبول للإقامة لدى خالها، وظل صوتها محتبساً طوال فترة الرحلة، ولم يعد إليها إلا في اليوم الأخير من الزيارة، مما مكنها من العودة لمصر واستئناف نشاطها.

.4الاستغراق في العمل كوسيلة للنسيان

بعد عودتها، وبنصيحة من أهلها بأن العمل هو "الطريق الوحيد للنسيان"، انطلقت شادية في مسيرتها بقوة غير مسبوقة .بدأت تمثل في أكثر من فيلم في وقت واحد وتنتقل من استوديو إلى آخر لملء فراغها النفسي، مما ساهم في **تحقيق انتشارها الواسع وسيطرتها على شباك التذاكر** في تلك الحقبة.

.5العزوف عن الزواج لسنوات

أدت هذه النهاية الحزينة لقصة حبها الأولى إلى نشوء عقدة نفسية لديها تجاه الزواج؛ حيث شعرت بأن "القدر يعاندها"، فقررت **عدم المجازفة بقلبها مرة أخرى** والعزوف عن فكرة الارتباط لسنوات، مكرسة كل طاقتها وإبداعها لعملها الفني فقط.

لقد حولت شادية هذا الألم الإنساني الكبير إلى طاقة إبداعية، وظلت طوال حياتها تحتفظ بصوت خطيبها المسجل كذكرى غالية من أيام السعادة القليلة التي عاشتها قبل أن يختطفه الموت.

حياة شادية في حي شبرا.

مثلت مرحلة الانتقال إلى **حي شبرا** فصلاً جديداً ومحورياً في حياة "فاطمة شاكر" (شادية)، حيث غادرت هدوء الطبيعة في "إنشاص" لتنخرط في صخب الحياة القاهرية وتخطو أولى خطواتها نحو النضج واكتشاف الموهبة.

إليك تفاصيل حياتها في هذا الحي العريق بناءً على مذكراتها والمصادر:

١ .السكن والبيئة الاجتماعية

- **شارع طوسون :**استقرت الأسرة في شقة متواضعة بالدور الخامس في شارع طوسون بحي شبرا .
- **حياة الشارع :**رغم انتقالها للمدينة، حافظت فاطمة على شقاوتها الطفولية؛ فكانت تخلع ملابس المدرسة فور عودتها لتنزل إلى الشارع وتلعب **"الحجلة "**(أو "الأولى") مع صديقاتها أمام باب البيت، بينما كانت والدتها تراقبها من الشرفة وتنادي عليها للصعود لتناول الطعام .
- **الجيران المشاهير :**من المفارقات القدرية أن الملحن الكبير **بليغ حمدي** كان جارها في حي شبرا في تلك الفترة .تذكر شادية أنها كانت تراه جالساً في حديقة بيته محتضناً عوده، وكانت تذهب مع صديقاتها للعب هناك، فكان يصرخ فيهن ويهربن منه لأنهن كن يزعجنه أثناء العزف.

٢ .الحياة المدرسية وبزوغ الموهبة

- **مدرسة شبرا الثانوية للبنات :**التحقت فاطمة بهذه المدرسة، وهناك برزت شخصيتها القيادية؛ إذ كانت توصف بأنها **"زعيمة "**لمجموعتها، وكانت تدافع بقوة عن التلميذات اليتيمات في المدرسة.
- **اكتشاف "أبلة ليلى :"**لم تكن فاطمة متفوقة في كل المواد، لكنها نبغت في مادة "المحفوظات" بفضل معلمتها "أبلة ليلى" التي أعجبت بجمال صوتها أثناء إلقاء الأناشيد .

- **مواجهة الناظرة :**قامت "أبلة ليلى" باصطحابها إلى مكتب الناظرة التي كانت تخشاها كل الطالبات. وبدلاً من العقاب، طلبت منها الناظرة الغناء، فأنشدت أغنية **"بتبص لي كده ليه "**لليلى مراد وهي ترتعد، فنالت إعجابها وتشجيعها.
-

٣ .السينما والحب الأول

- **سينما دولي :**في شبرا، بدأ عشقها الحقيقي للسينما؛ إذ كان والدها يصطحبها كل يوم خميس إلى **"سينما دولي ."**وهناك شاهدت أول فيلم في حياتها وهو فيلم "ليلى" لليلى مراد، ومنذ ذلك الحين بدأت تقلد ملامح وحركات ليلى مراد أمام المرآة بالساعات.
- **إعجاب النوافذ :**شهد شارع طوسون أول "خفقان قلب" في حياة شادية وهي في سن الثالثة عشرة، وكان حباً صامتاً مع **ابن الجيران** .كانت وسيلة التواصل بينهما هي **الإشارات عبر النوافذ**؛ فإذا كانت النوافذ مفتوحة فذلك يعني "الرضا"، وإذا كانت مغلقة فذلك يعني "الخصام"، وكانت تخشى دائماً أن تكتشف والدتها هذه المشاعر البريئة.

انتهت رحلتها في شبرا عندما انتقلت الأسرة بعد ذلك للعيش في حي عابدين، لكن ذكريات شارع طوسون ومدرسة شبرا ظلت محفورة في وجدانها كبداية لتشكل شخصيتها الفنية والإنسانية.

علاقة شادية بالرئيس جمال عبد الناصر.

اتسمت علاقة الفنانة شادية بالرئيس الراحل **جمال عبد الناصر** بمزيج من التقدير الفني المتبادل والمواقف السياسية والقدرية التي ربطت بين "صوت مصر" وقائد الثورة جمال عبد الناصر:

١ .دعم الثورة واللقب الوطني

بدأ الارتباط الوجداني مع صعود جمال عبد الناصر وقيام **ثورة يوليو ١٩٥٢**؛ حيث واكبت شادية هذا العصر الجديد بأغنيتها الشهيرة" **يا بنت بلدي**"، تلتها سلسلة من الأغاني الوطنية التي جعلت الجمهور يطلق عليها لقب" **صوت مصر** . وتذكر المصادر أن شادية كانت أحد الفنانين الذين شاركوا في" **قطار الرحمة** "عام ١٩٥٣، وهي المبادرة التي أطلقتها الثورة لدعم اللاجئين الفلسطينيين، مما عكس توافقها مع التوجهات الوطنية للنظام الناصري .

٢ .لقاء الخرطوم

من المحطات البارزة في علاقتهما، حضور الرئيس عبد الناصر حفلاً غنائياً أحته شادية في **العاصمة السودانية الخرطوم** . غنت شادية في ذلك الحفل أغنية" **يا حبيبي عد لي تاني** " بكلمات ولحن منير مراد، وقد شرفها الرئيس بالحضور الشخصي، وهو ما كان يمثل تقديراً كبيراً لمكانتها الفنية في ذلك الوقت] 67، 328.[

٣ .واقعة "دعوة العشاء" والمخابرات

تروي المصادر حكاية غريبة تعكس كيف كانت المخابرات تتدخل في رصد علاقات الفنانين في عهد عبد الناصر؛ ففي فترة ارتباط شادية بالكاتب الكبير **مصطفى أمين،** أرسلت رئاسة الجمهورية دعوة للأخير لحضور حفل عشاء مع الرئيس، وطلبوا منه أن يحضر ومعه" **حرمه شادية** "، عندما اتصل مصطفى أمين بعبد الناصر ليوضح له أنه ليس متزوجاً منها، رد عليه الرئيس قائلاً" :**معلوماتنا وتأكيدات صلاح نصر (رئيس المخابرات حينها) تقول ذلك** ."وقد أدى هذا التدخل إلى انتشار إشاعات كثيرة في ذلك الوقت عن زواجهما السري ومحاولات بعض المسئولين التضييق على شادية فنياً بسبب هذه العلاقة.

٤ .موقف ناصر من فيلم "شيء من الخوف"

يُعد موقف الرئيس عبد الناصر من فيلم **"شيء من الخوف "** (١٩٦٩) من أهم اللحظات في تاريخ شادية الفني؛ فبينما

كانت الرقابة تتردد في عرض الفيلم بسبب إسقاطاته السياسية (صرخة "جواز عتريس من فؤادة باطل")، شاهد عبد الناصر الفيلم بنفسه .وبمجرد انتهائه، أمر بعرض الفيلم فوراً قائلاً كلمته الشهيرة" :**لو كنا نحن مثل عتريس وهذه العصابة التي في الفيلم، لاستحقنا الحرق** ."هذا القرار أنقذ الفيلم وسمح لشادية بتقديم واحد من أعظم أدوارها الرمزية التي جسدت فيها صمود مصر.

إجمالاً، كانت شادية في عهد عبد الناصر تمثل **القوة الناعمة للجمهورية الجديدة،** فكان صوتها حاضراً في الانتصارات والأزمات، وظلت تحظى بتقديره كممثلة ومطربة تعبر عن وجدان الشعب المصري.

مصدر هذا الكتاب:

صفحة المذكرات الكاملة لمعبودة الجماهير شادية على الفيسبوك:

الحلقة الأولى:

https://www.facebook.com/shadiaforever/posts/311735729583608

الحلقة الثانية:

https://www.facebook.com/shadiaforever/posts/312066522883862

الحلقة الثالثة:

https://www.facebook.com/shadiaforever/posts/312636356160212

الحلقة الرابعة:

https://www.facebook.com/shadiaforever/posts/171337493623433

الحلقة الخامسة:

https://www.facebook.com/shadiaforever/posts/172931593464023

الحلقة السادسة:

https://www.facebook.com/shadiaforever/posts/174612929962556

الحلقة السابعة:

https://www.facebook.com/shadiaforever/posts/178789512878231

الحلقة الثامنة:

https://www.facebook.com/shadiaforever/posts/179329759490873

الحلقة التاسعة:

https://www.facebook.com/shadiaforever/posts/186889912068191

الحلقة العاشرة:

https://www.facebook.com/shadiaforever/posts/187090232048159

الحلقة الحادية عشر:

https://www.facebook.com/shadiaforever/posts/190622468361602

الحلقة الثانية عشر:

https://www.facebook.com/shadiaforever/posts/202217683868747

الحلقة الثالثة عشر:

https://www.facebook.com/shadiaforever/posts/203503353740180

الحلقة الرابعة عشر:

https://www.facebook.com/shadiaforever/posts/203548973735618

الحلقة الخامسة عشر:

https://www.facebook.com/shadiaforever/posts/205257766898072

الحلقة السادسة عشر:

https://www.facebook.com/shadiaforever/posts/205278573562658

الحلقة السابعة عشر:

https://www.facebook.com/shadiaforever/photos/a.163252494431933/211903122900203/?type=3&theater

الحلقة الثامنة عشر:

https://www.facebook.com/shadiaforever/posts/214439322646583

الحلقة التاسعة عشر:

https://www.facebook.com/shadiaforever/posts/217561152334400

الحلقة العشرون:

https://www.facebook.com/shadiaforever/posts/223606091729906

الحلقة الحادية والعشرون:

https://www.facebook.com/shadiaforever/posts/226576271432888

الحلقة الثانية والعشرون:

https://www.facebook.com/shadiaforever/posts/230051411085374

الحلقة الثالثة والعشرون:

https://www.facebook.com/shadiaforever/posts/239033740187141

الحلقة الرابعة والعشرون:

https://www.facebook.com/shadiaforever/posts/251114552312393

الحلقة الخامسة والعشرون:

https://www.facebook.com/shadiaforever/posts/275916903165491

الحلقة السادسة والعشرون:

https://www.facebook.com/shadiaforever/posts/290925404997974

الحلقة السابعة والعشرون:

https://www.facebook.com/shadiaforever/posts/304637943626720

الحلقة الثامنة والعشرون:

https://www.facebook.com/shadiaforever/posts/322379531852561

الحلقة التاسعة والعشرون:

https://www.facebook.com/shadiaforever/posts/350206822403165

الحلقة الثلاثون والأخيرة:

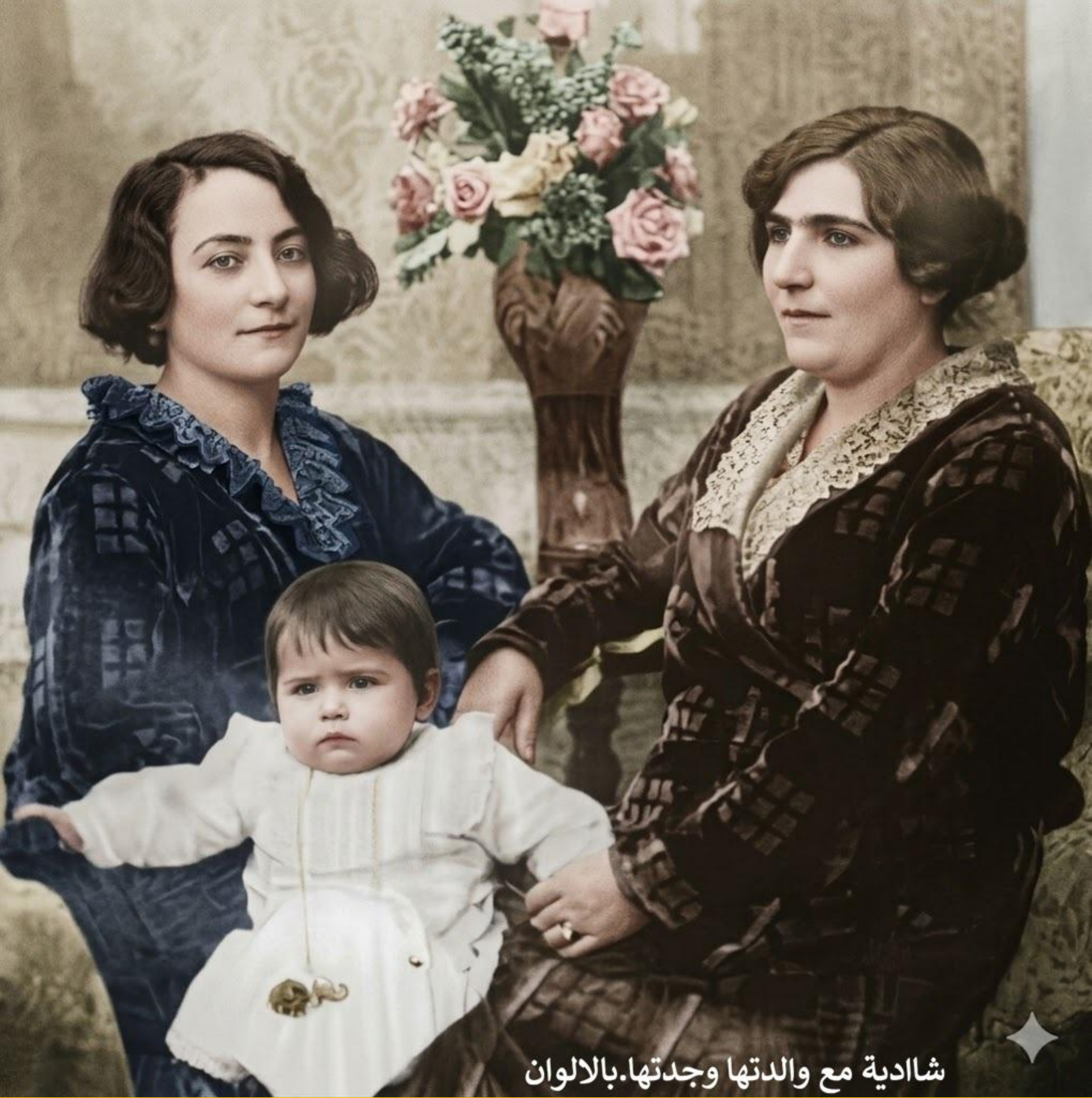
https://www.facebook.com/shadiaforever/posts/353690582054789

ألبوم الصور

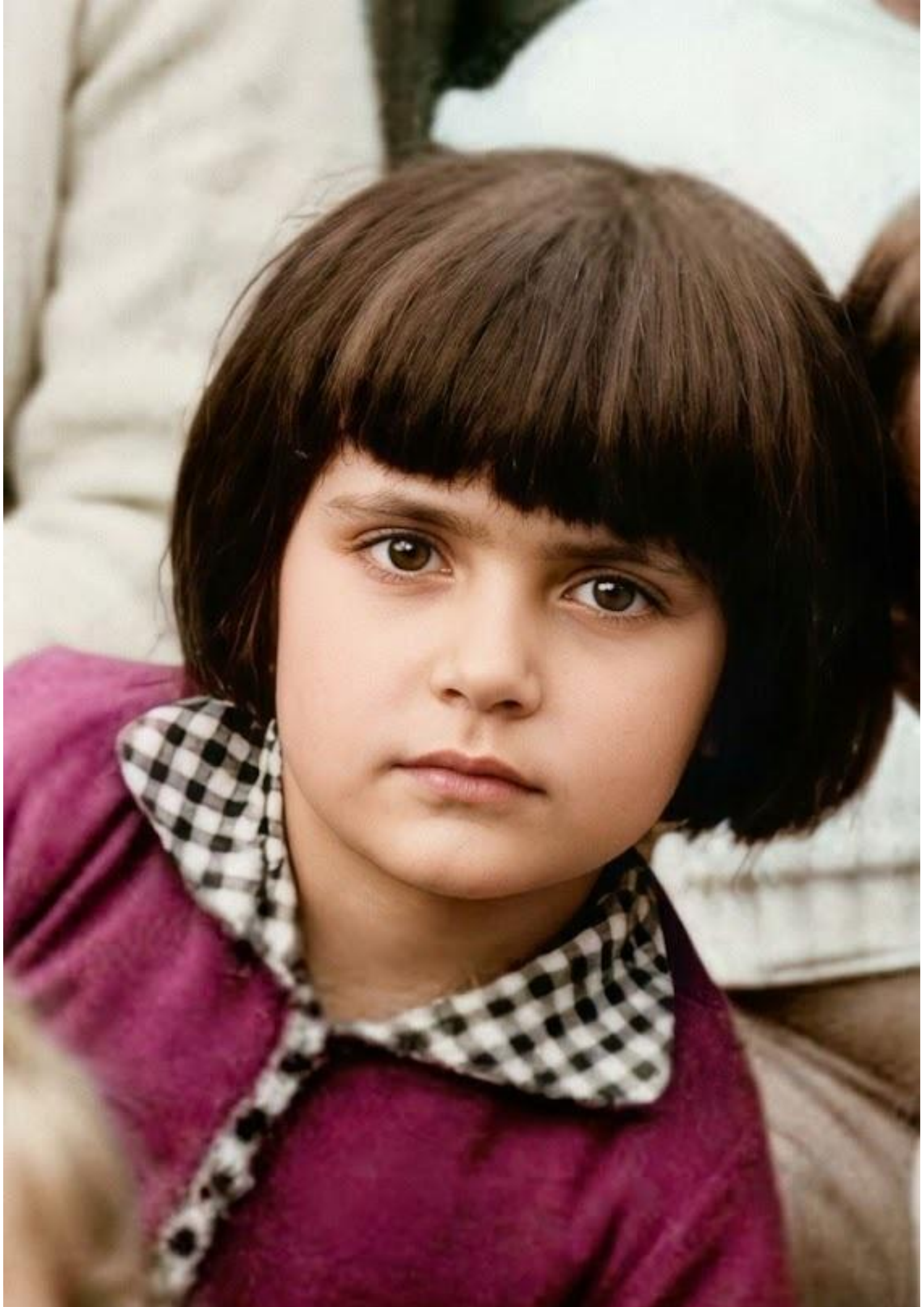




الفنانة شادية وهي طفلة رضيعة



شادية مع والدتها وجدتها




مع تحياتي
شادية

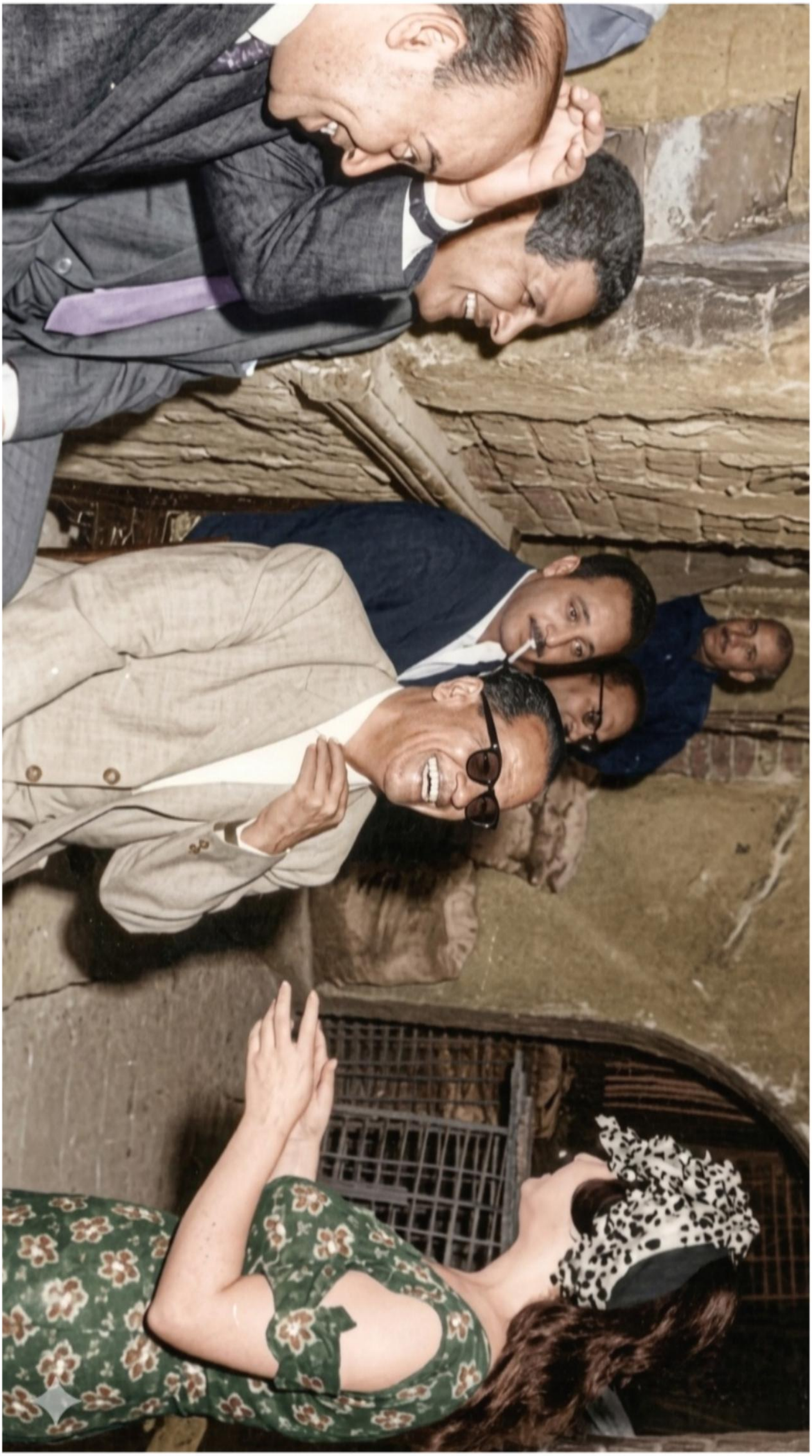


مع والدتها

في فرح أخيها محمد من اليمين السيدة خديجة والدة شادية والسيدة سعاد شاكر أخت شادية والسيد محمد شاكر
شقيق شادية والسيدة ثروت سفيم آنسن زوجة محمد شاكر والفنانة شادية والسيدة نيجار جدة ياسمين لأمها 1952م









شادية والنابلسي وعاطف سالم



شادية بين الأخوين رحباني



شادية مع الفنانة ليلى طاهر